VOICE
of sudanese community

العدد الـ ٣١ صوت السودانيين بدول المهجر - أسبوعية - شاملة - مستقلة ٢١ صفحة

السبت ٢٦ أبريل ٢٠٢٥م أرفع صوتك هيبة وجبرة Saturday 26 APRIL 2025

www.thesdvoice.press

VISION
Creative Media Group
تصميم - طباعة - نشر 0739952763
للإعلان: info@thesdvoiceads.press

4 وجهت نداءً للعودة.. الخرطوم عاصمة تبحث عن سكانها

3 اتفاق مع الصين ومصر بشأن محطات ومحولات كهرباء

2 .. أزمة التمويل تحرم السودانيين بمصر من العلاج

2 شرطي سوداني يُعيد ربع مليون دولار لصاحبه

١١ قتيل وإصابة ٢٢ في هجوم المسيّرات بمخيمَ نازحين بعَطْبَرة

الدعم السريع تقصف قاعدة وادي سيدنا

أفادت مصادر بأن قوات الدعم السريع قصفت مساء أمس الجمعة بالمسيّرات قاعدة وادي سيدنا الجوية ومقر الكلية الحربية في أم درمان.

وكان مصدر عسكري سوداني قال للجزيرة قبل ذلك بساعات إن قوات الدعم السريع قصفت بالمدفعية الثقيلة مقر القيادة العامة للجيش السوداني وسط الخرطوم انطلاقا من مناطقها بأم درمان مما أدى لتصاعد أعمدة الدخان داخل المقر.

وتأتي هذه الهجمات على مقار عسكرية في الخرطوم بعد نحو شهر من طرد الجيش مسلحي الدعم السريع من العاصمة.

وكانت شبكة أطباء السودان قالت أمس الجمعة إن ١١ شخصا قتلوا وأصيب ٢٢ في قصف مسيّرة تابعة لقوات الدعم السريع مخيمَ نازحين بمدينة عَطبَرة بولية نهر النيل شمالي السودان.

كما قالت مصادر سودانية محلية للجزيرة إن طائرات مسيّرة هاجمت مواقع في مدينة عطبرة مما أدى إلى انقطاع التيار الكهربائي.

وتواترت في الأشهر الماضية هجمات بالطائرات المسيّرة على مرافق خدمية في مدن خارج نطاق الصراع، على غرار عطبرة ومروي والقضارف وسنار شمال وشرق السودان.

وتعرضت قوات الدعم السريع في الآونة الأخيرة لانتكاسات عسكرية كبيرة أبرزها هزيمتها في الخرطوم وقبل ذلك في ولاية الجزيرة، علما أنها تسيطر على معظم إقليم دارفور الشاسع.

في محور كردفان اتهمت قيادات أهلية محلية «الدعم السريع» بشن هجوم شرس وارتكاب مجزرة دموية راح ضحيتها ٧٤ من مواطني قرية الزعفة بمحلية الأضية بولاية غرب كردفان، إلى جانب انتهاكات خطرة في حق سكان القرية. وأفادت «شبكة أطباء السودان» بأن مجزرة قرية الزعفة قتل فيها ٧٤ شخصا بينهم ١٢ طفلا وتسع نساء، كما نفذت عمليات اعتقال تعسفية واسعة في حق السكان، وجرى نهب ممتلكات الأهالي وسط حال من الذعر والفرار الجماعي من المنطقة.

ميدانيا أيضا شنت المقاتلات الحربية للجيش غارات مكثفة على نقاط ارتكاز وتجمعات «الدعم السريع» في مناطق أبو حراز بليط، ووادي الكر بولاية شمال كردفان، أدت إلى مقتل ٧١ من مسلحيها وتدمير عدد من العربات القتالية بكامل أطقمها. كما دمرت ضربات الطيران الحربي رتلا لـ«الدعم السريع» بمطقة الكيلو ٨ في مدينة بارا بشمال كردفان أسفر عن سقوط ثمانية قتلى من القادة.

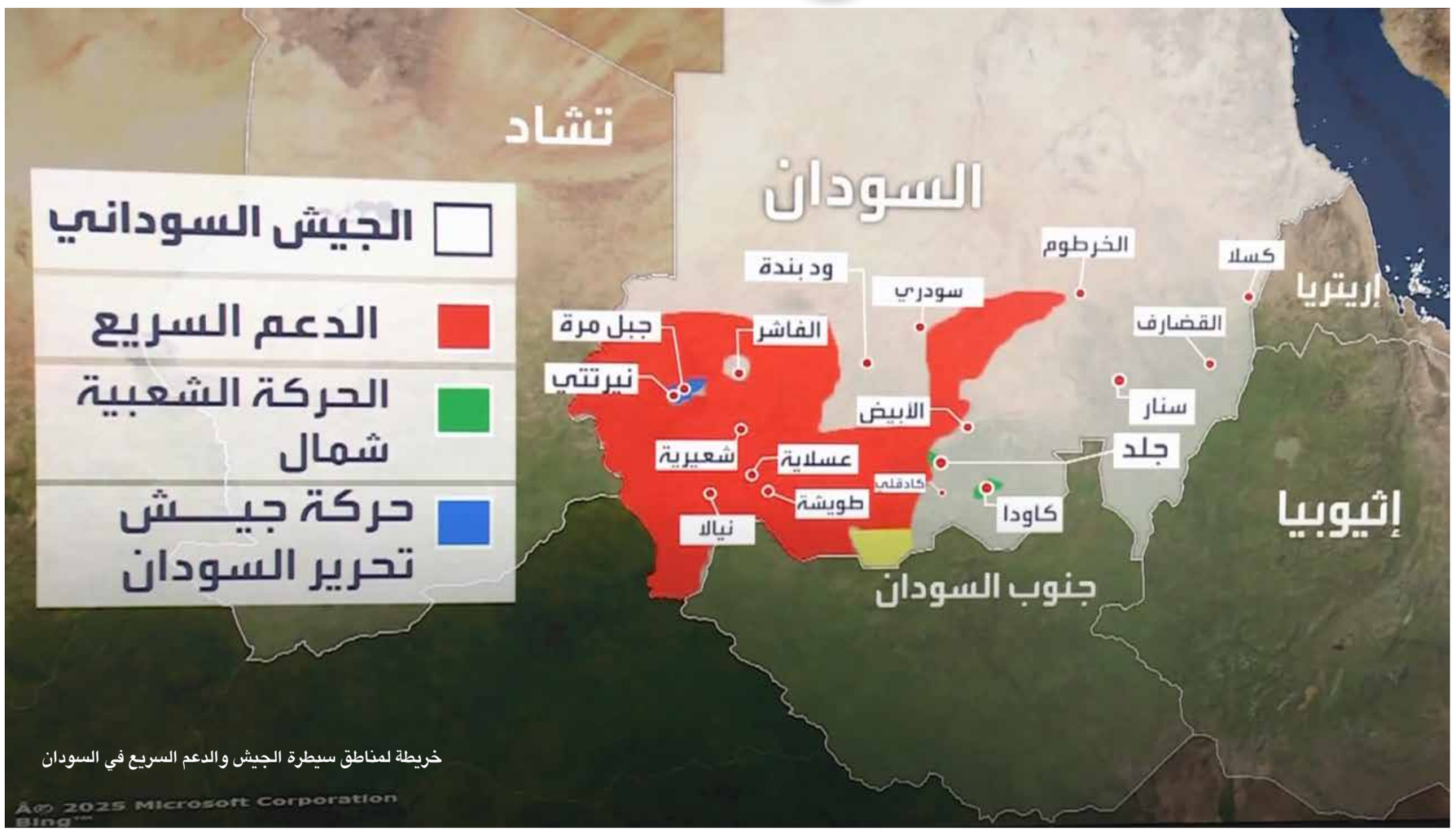

«لا أحد يحكي سوانا» .. صحافيون يخاطرون لتغطية حرب السودان

15

صحة

13

حرب السودان تقضي على المركز الوحيد في العالم لأبحاث المايستوما

مقابلة

معاوية البرير

رجال أعمال خسروا كل شيء بسبب الحرب وبعضهم لم يتحمّل الصدمة وفارق الحياة

6

الأزمة السودانية

الفاشر تئن تحت النار والحصار والجوع .. وانسداد الأفق

5

قضايا

النرجسية: من أسطورة يونانية إلى وباء عصري يدمر المؤسسات

9

رياضة

لاجئ سوداني تقوده الحرب إلى إيقاف رونالدو وماني ..

20

صحة

حبوب التسمين في السودان: جمال مزيف أم كارثة صحية؟

12

د. عمر محمود خالد يكتب: يا بلد اصبحت كيف؟؟ 16

البراء بشير يكتب: الناطقون في المهد .. 11

حسن عبد الرضي يكتب: سودانا القادم.. عملاق تنهض روحه من أعماق التاريخ 10

محمد المهدي يكتب: الرسوم الفلكية للخدمات 10

رئيس التحرير يكتب: (الأنا) الكذوبة عند السودانيين وسجن الأوهام 2

VOICE of sudanese community

السبت ٢٦ أبريل ٢٠٢٥م - ٢٨ شوال ١٤٤٦ هـ
SATURDAY 26 APRIL 2025 - ISSUE No. 31

تنجية

(الأنا) الكذوبة عند السودانيين وسجن الأوهام

الناجي صالح *

● لطالما راقبت بدهشة ذلك التناقض العجيب فينا كسودانيين، ننتفخ كبالونات زهواً بينما نغرق في مستنقع الوهم. لم تكن الأنا المتضخمة ظاهرة فردية عندنا كسودانيين، بل أصبحت مرضاً جماعياً عندما تحولت إلى وعي زائف بالذات، فغرق شعبٌ بأكمله في أوهام العظمة، بينما هو حقيقة يعيش على هامش التاريخ. والسودانيون، شأنهم شأن شعوب مقهورة عانت من التهميش والهزائم المتكررة، لجأوا إلى تضخيم الذات كآلية دفاع نفسية ضد إحساسهم العميق بالضعف. لكن هذه «الأنا الكذوبة» لم تكن تعويضاً بريئاً، بل تحولت إلى عائق أمام التقدم، وإلى غطاء سميك يُخفي تحته مآزق الهوية والانتماء.

من أبرز تجليات هذه الأنا المزيفة، ذلك الإصرار على اختلاق أمجاد تاريخية وهمية، أو المبالغة في تفسير أحداث الماضي لخلق سردية تفوق غيرها. فترى السوداني يتحدث عن «مملكة كوش» وكأنه حمل رايتها البارحة، أو ننسج أكاذيب عن «السودان سلة غذاء العالم»، بينما أرضه لم تُستثمر بعد، وموائدنا خاوية، أو يتباهى بـ«شعبية الثورات السودانية» رغم تكرار إخفاقاتها. وحتى في أقسى لحظات الفضيحة، يلجأ بعض السودانيين إلى نزع الهوية عن المجرم، وكأنَّ الجريمة عدوى لا تصيب إلا «الآخر» الأجنبي، كأنهم يريدون تنقية هويتهم الجماعية من أي عار، وكأن خطايانا قدسية.. كل هذا ليس سوى هروب من واقع مريرٍ، إلى أسطورة جماعية ترضي الغرور وتسكت صوت العقل. وهذا لا ينفي وجود أصوات حاولت كسر هذه الدائرة، لكنها ظلت غائصة في محيط الأوهام السائد.

والغريب أن هذه الأنا المتورمة لا تقتصر على النخب، بل تسري في أغلب شرايين المجتمع، فتجد الفقير الذي لا يملك قوت يومه، يرفع رأسه بإباءٍ زائف، وكأنه سليل السلاطين، والجاهل الذي لم يقرأ كتاباً يتحدث بثقة الفيلسوف. هذا النوع من الكبرياء المرضي ليس شجاعة أخلاقية، بل هو انعكاس لخلل نفسي غائر، إذ هو خوف من الاعتراف بالقصور، وضعف في مجابهة الحقيقة. إنه كمن يقف على حافة الهاوية ويغمض عينيه، ظناً منه أن عدم الرؤية يعني السلامة.

لكن الأخطر من الأوهام الفردية، هي النتائج الاجتماعية المدمرة لهذه العقلية؛ فالمجتمع الذي يعيش على أمجاد وهمية، يفقد القدرة على النقد الذاتي، ومن يفقد النقد الذاتي يفقد أداة التصحيح والتطوير. وهكذا يحكم على نفسه بالانكفاء، بينما يظل يردد كالمعتوه: «نحن شعب متفرد!»، بينما الأمم من حوله تبني وتخترع وتتقدم. لقد أصبح السودانيون أسرى لهذه الأنا المُقعِدة، فرفضوا مراجعة أنفسهم، واستخفوا بالآخرين، وظنوا أن التاريخ سينتظرهم حتى ينهضوا من خيباتهم.

ولكن التاريخ لا يرحم؛ فالشعوب التي تعيش على أوهامها تُدفن تحت رمال الزمن، بينما تترك الحضارة وراءها فقط أولئك الذين يملكون شجاعة مواجهة نقائصهم. السودانيون اليوم أمام سطوة الواقع وبسِيلته، إما أن يستمروا في رقصهم على حافة التاريخ، مستَمتعين بأوهام الاختيال، وإما أن يكسروا مرآة الأنا المخادعة، ليروا انعكاسهم الحقيقي، وليبصروا تشوهات وجوههم.. ويعوا أنهم كبقية الشعوب، لهم إسهاماتهم وإخفاقاتهم، لكنهم لن ينهضوا إلا إذا تخلوا عن المظنون واستمسكوا بالمُنجز.

الخيار الأخير يلوح لي كجسر وحيدٍ، هو أن نتعلم فن التواضع الشجاع. أن نعتز بما نملك حقاً لا بما ندعيه، وأن نضحك على أخطائنا قبل أن تبكينا، وأن نصنع مجداً حقيقياً من رماد أوهامنا.

* رئيس التحرير.

محافظ مشروع الجزيرة: ٥ مليارات جنيه و٤٠٠ ألف جالون وقود حاجة المشروع قبل الموسم الزراعي

○ مدني - «فويس»

● أعلن والي الجزيرة الطاهر إبراهيم الخير، موافقته على إنشاء صندوق لدعم مشروع الجزيرة. وأكد لدى مخاطبته صباح اليوم بقرية إبراهيم عبد الله بمحلية جنوب الجزيرة، أكبر وصول عدد من الآليات لمشروع الجزيرة، معلناً تبنيه لتوصيات الملتقى التفاكري لمناقشة قضايا الزراعة والري لإنجاح الموسم الزراعي الجديد ٢٠٢٥ - ٢٠٢٦م.

كما جدّد، دعوته لوحدة الصف والعمل بقلب رجل واحد وطي الخلافات لاستكمال معركة الإنتاج.

من جانبه، كشف محافظ مشروع الجزيرة المهندس إبراهيم مصطفى، عن حوجة المشروع لمبلغ ٥ مليارات جنيه و٤٠٠ ألف جالون وقود قبل انطلاقة الموسم الزراعي الجديد.

وأشار لجهود إدارته لإنشاء صندوق لدعم مشروع الجزيرة بتمويل من الدولة والبنوك والرأسمالية وأصحاب المصانع والآليات، إضافة لوضع قانون ينظم علاقة المزارع بإدارة المشروع وعلاقة المزارع بالدولة.

ولفت إلى أن أولويات إدارة المشروع إدخال الآليات الحديثة وتوفير التمويل الميسر للمزارعين، مشيراً لإتفاق لتمويل زراعة ٢٠ ألف فدان تمويلا كاملا، إضافة لتمويل ١٥٠٠ فدان بواسطة شركة إرادة.

وقال إنّ الأيام المقبلة ستشهد دخول القطاع الخاص بقوة لتمويل المزارعين.

فيما أعلن مدير عمليات ري المناقل المهندس آدم إبراهيم، عن الشروع في معالجة ١٢٠٠ كسر في قنوات الري الرئيسية والسعي لإيجاد مصادر للتمويل، وأكد أن مياه الشرب وصلت لكل قرى المناقل.

توجيه للجان أمن الخرطوم وجبل أولياء بممارسة أعمالها من داخل المحليات

○ الخرطوم - «فويس»

● وجهت لجنة تنسيق شؤون الأمن بولاية الخرطوم في اجتماعها برئاسة الوالي أحمد عثمان حمزة يوم الخميس، لجان أمن محليتي الخرطوم وجبل أولياء بمباشرة مهامها من داخل المحليات، وأن تكون في حالة انعقاد دائم لضمان بسط الأمن في المناطق التي شهدت هشاشة أمنية عقب استردادها من قوات الدعم السريع.

وشهدت الفترة الأخيرة تمكن الجيش من السيطرة على أنحاء واسعة من ولاية الخرطوم بعد أن ظلت لنحو عامين تحت سيطرة قوات الدعم السريع منذ اندلاع الحرب منتصف ابريل ٢٠٢٣م.

وبحسب إعلام ولاية الخرطوم، أشادت اللجنة بالجهود التي بذلتها الخلية الأمنية في المناطق المحررة مما أسهم بشكل كبير في الحد من الجرائم والتقليل من السرقات وتسهيل حركة عودة المواطنين إلى مناطقهم.

واستأنفت حكومة ولاية الخرطوم بدايات ابريل الحالي، عملها رسمياً من داخل مقرها بالعاصمة، عقب سيطرة الجيش السوداني على محلية الخرطوم وانسحاب قوات الدعم السريع منها.

وأكد الاجتماع ضرورة تكثيف الحملات الأمنية لتنفيذ قرار حظر استخدام الدراجات النارية التي تستخدم في أعمال إجرامية، بالإضافة إلى محاربة الأنشطة العشوائية من بيع الشاي وتعاطي الشيشة في الأماكن العامة.

كما اطمأن الاجتماع على الموقف العملياتي بالولاية واستقرار الوضع الأمني في معظم ارجاء الولاية.

في السياق، أمن الاجتماع على وضع خطة شاملة لتأمين المدن والطرق وتسهيل حركة المواطنين العائدين إلى منازلهم وإشراك المقاومة الشعبية في إسناد ودعم جهود تأمين المحليات وتعزيز تقديم الخدمات للمواطنين.

وكان المديرون التنفيذيون لمحليات الخرطوم وجبل أولياء أكدوا خلال أول اجتماع لحكومة الولاية، مباشرة أعمالهم من مقار المحليات والبدء في إحصاء وتوزيع الدعم الغذائي للمواطنين.

وسبق أن وجهت لجنة الطوارئ بالخرطوم، في مارس الماضي، محليتي بحري وشرق النيل، بالانتقال الكامل إلى مقارها الرئيسية وممارسة عملها هنالك، وذلك تنفيذا لمقررات اجتماع لجنة الأمن.

شرطي سوداني يُعيد ربع مليون دولار لصاحبه

● متابعات - «فويس» - في موقف يُجسّد الشرف والأمانة التي عرف بها الشعب السوداني، قام رقيب بالشرطة السودانية بإرجاع مبلغ مالي ضخم من العملة الأجنبية يُقدّر بحوالي ٢٥٠,٠٠٠ الف دولار أمريكي (ربع مليون دولار امريكي) ومبالغ اخرى بالعملة المحلية. وطبقا لمصادر تعرضت سيارة كان يقودها صاحب الاموال الى حادث مروري بولاية البحر الأحمر شرقي السودان.

الجدير بالذكر ان الرقيب شرطة طه حسين النور يعمل متحريا بقطاع مسمار بولاية البحر.

الحادثة اعادت الى الاذهان نزاهة وامانة الشعب السوداني وشرف الكاكي الشرطي . ووجد الشرطي النزيه الأشادة من زملائه بعد ان ضرب مثلا رفيعا في الأمانة. وحسب تفاصيل الحادث التي كشفها زميله السابق بشرطة المرور فتح الرحمن أحمد عثمان (فتحو ابو شنب ان صاحب المبلغ كان يقود عربته وحيدا بطريق عطبرة هيا وتعرض لحادث مروري وتم اسعافه بواسطة مرور قطاع مسمار و عثر على المبلغ الضخم بالعربة وتم الابلاغ عنه ضمن معروضات الحادث.

مقتل لاجئين سودانيين وإصابة عامل إغاثة في هجمات منفصلة بشرق تشاد

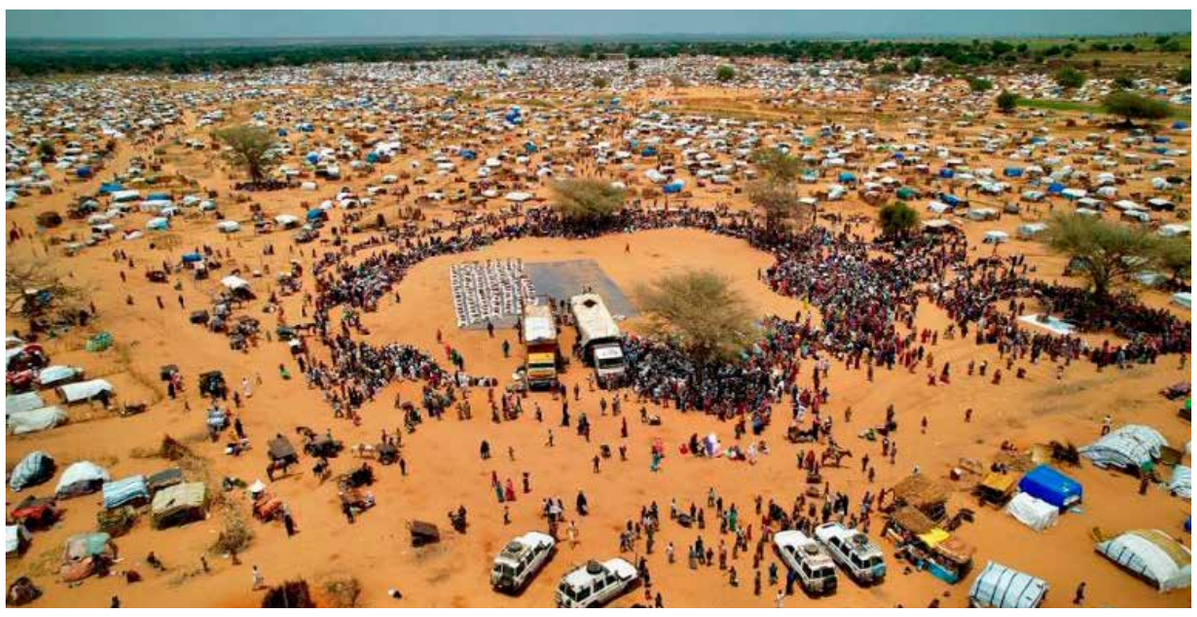

● متابعات - «فويس» - قتل لاجئان سودانيان يومي الجمعة والسبت في حدثين منفصلين بمعسكري تولم وقاقا بشرق تشاد.

وقال لاجئون من شرق تشاد لراديو دبنقا إن اللاجئ السوداني الشاب احمد الحنفي سبيل قتل داخل خيمته بمعسكر تولم للاجئين السودانيين بدولة تشاد مساء الجمعة في ظروف غامضة.

وفي معسكر قاقا قتل عبدالله يعقوب عمر اللاجئ بمعسكر اركوم الجديد أثناء زيارته لأسرته في معسكر قاقا عند السابعة من مساء السبت وذلك بعد إطلاق النار عليه في مخيم قاقا ببلوك واحد عندما كان في طريقه بالقرب من منزل أسرته. وأشار اللاجئون إنه جرى نقله إلى المركز الصحي للمخيم وهو في حالة حرجة حيث فارق الحياة بعد وصوله لمستشفى ابشة الإقليمي.

ونبه اللاجئون إلى أن الحادث هو الثاني من نوعه خلال أقل من أسبوع، حيث جرح خمسة لاجئين وعامل إغاثة ونهبت مبالغ مالية بقوة السلاح الأسبوع الماضي. ولفتوا إلى أن الحادث أدى لحرمان أكثر من ٢٠ بلوك من أصل ٣١ بلوك بمعسكر قاقا دون مساعدات مالية مشيرين لعدم تلقيهم مساعدات منذ ثلاثة أشهر . ويطالب اللاجئون الجهات الانسانية بضرورة استئناف توزيع المبالغ المالية مطالبين السلطات التشادية بضرورة تعزيز الأمن و استئناف عمليات جمع السلاح.

وناشد اللاجئون السودانيون بمعسكر قاقا بشرق تشاد الحكومة التشادية بضرورة الإسراع بإرسال تعزيزات شرطية للمعسكر بشكل عاجل .

ووفقا لاحصائيات الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين فإن أكثر من مليون سوداني عبروا الحدود إلى تشاد بعد اندلاع الحرب. ويشكو اللاجئون من ترد أمني في شرق تشاد مع شح في المساعدات.

معظمهم من السودانيين .. أزمة التمويل تحرم آلاف اللاجئين بمصر من العلاج

○ القاهرة - ««فويس»»

● لم يكن قرار الفرار سهلا، ففي الخرطوم عاشت الأرملة مها عوض الكريم ٥٠ عاما لم تغادر فيها الوطن يوما واحدا، لكنها ومع اشتداد القتال على أعتاب العاصمة السودانية اتخذت قرار الرحيل.

كانت الوجهة هي القاهرة، والرحلة كانت شاقة على السيدة الخمسينية ووالدتها التي تخطت الـ٧٠ عاما، في حين ابنتها ذات الـ١٣ سنة لم تدرك أسباب كل ذلك العناء، استقرت مها في حي فيصل بالقاهرة قبل نحو عام ونصف، لتبدأ رحلة معاناة من نوع آخر، فلا مصدر دخل لهن وتباعا داهمهن المرض.

تقليص الدعم

كانت السيدة السودانية تعمل في بلدها معلمة رياض أطفال، وحين وجدت فرصة عمل بالتخصص نفسه في مصر تعرضت لحادث أدى إلى كسر بالذراع وتمزق بأربطة الساق وضياع الوظيفة قبل أيام قليلة من الالتحاق بها.

وبعد ذلك اكتشفت إصابة عينيها بالمياه البيضاء، كما قال الطبيب إن والدتها تحتاج لجراحة عاجلة بالعمود الفقري.

وفي سبتمبر/أيلول الماضي حصلت مها وابنتها ووالدتها على البطاقة الصفراء من مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، لكنهن لم يحصلن على أي خدمات طبية أو مساعدة مادية رغم سعيهن لذلك.

وقد أعلنت المفوضية مؤخرا تقليص دعمها للاجئين وطالبي اللجوء في مصر جراء أزمة تمويل ضخمة تواجهها المنظمة الدولية.

وتقول مها للجزيرة نت «حاولت كثيرا التواصل مع المفوضية لكنني فشلت في الحصول على دعم طبي لي ولأمي أو دعم تعليمي لابنتي، نحتاج المساعدة لأننا في أشد الحاجة لها».

وأجبرت أزمة التمويل الإنساني المفوضية على تقليص دعمها للاجئين وطالبي اللجوء في مصر، خاصة الدعم الطبي، إذ اضطرت إلى تعليق كافة أشكال العلاج باستثناء التدخلات الطارئة المنقذة للحياة.

وذكر تقرير حديث لها أن عشرات الآلاف أصبحوا غير قادرين على الوصول إلى الرعاية الصحية الحيوية وخدمات حماية الطفل وأشكال المساعدة الأخرى، مما أثر على نحو ٢٠ ألف مريض، بمن في ذلك من يحتاجون إلى جراحات السرطان والقلب والعلاج الكيميائي.

وركزت المنظمة في تقريرها على معاناة اللاجئين السودانيين، وهم الأكثر عددا بين الجنسيات اللاجئة في مصر.

وقال مسؤول الصحة العامة في المفوضية بالقاهرة جاكوب أرهم إن الحصول على الرعاية الصحية كان عاملا رئيسيا دفع العديد منهم إلى الفرار إلى مصر.

وأضاف «النظام الصحي في السودان من أوائل القطاعات التي انهارت بعد اندلاع القتال، والعديد من العائلات التي فرت تضم أفرادا مرضى غير قادرين على تحمّل تكاليف العلاج، ومع أزمة التمويل التي تواجهها المفوضية فإن من المحتمل أن يفقد الكثيرون حياتهم».

ضغوط

وفي السياق، قالت نائبة ممثلة المفوضية في مصر مارتي روميرو إن القاهرة تواجه ضغوطا هائلة، والخدمات الأساسية تُدفع إلى أقصى حدودها، مشددة على الحاجة إلى دعم فوري ومستدام لمنع تفاقم الأزمة. ووفق سجلات منظمة شؤون اللاجئين، هناك نحو ٩٤١ ألف لاجئ في مصر، منهم ٦٣١ ألفا من السودان وحده، في حين يؤكد مسؤولون بالحكومة المصرية أن العدد يصل إلى ٩ ملايين لاجئ، مما يعني -وفق الرقم الرسمي- أن أغلبية الفارين من بلادهم لا يخضعون لمظلة اللجوء القانونية داخل مصر.

VOICE of sudanese community

السبت ٢٦ أبريل ٢٠٢٥م - ٢٨ شوال ١٤٤٦ هـ

SATURDAY 26 APRIL 2025 - ISSUE No. 31

اتفاق مع الصين ومصر بشأن محطات ومحولات كهرباء

الكهرباء .. أزمة مستمرة

تقرير

● كشفت كهرباء السودان عن اتفاق مع مصر والصين لصيانة وتوريد مهمات الجهد العالي خاصة المحولات ، وتطوير البنية التحتية الكهربائية في السودان بعد تعرضها للتدمير والتخريب بسبب الحرب الدائرة في البلاد منذ ١٥ أبريل ٢٠٢٣.

وقالت كهرباء السودان في بيانها انه في إطار تعزيز التعاون الإقليمي بين السودان ومصر والصين، زار المهندس مستشار / عبد الله أحمد محمد علي، المدير العام لشركة كهرباء السودان شركة China XD للمهمات الكهربائية عالية الجهد بمقرها الرسمي بالقاهرة، وذلك لبحث سبل التعاون في مجالات صيانة وتوريد مهمات الجهد العالي خاصة المحولات، وتطوير البنية التحتية الكهربائية في السودان.

وحسب البيان تناول الاجتماع مناقشات فنية واستراتيجية حول سبل دعم شبكة الكهرباء السودانية بالاعتماد على الحلول المتكاملة التي تقدمها China XD مصر ، وخاصة في مجالات مهمات النقل، ومفاتيح الجهد العالي، والمحطات المتكاملة، مع التأكيد على أهمية توطين التكنولوجيا بالتعاون مع الجانب الصيني، والاستفادة من الخبرات المصرية المتراكمة في هذا المجال الحيوي.

وأكد المهندس عبد الله أحمد محمد علي خلال اللقاء أن هذه الزيارة تمثل خطوة أولى نحو شراكة فنية و تجارية طويلة المدى، لافتًا إلى أن هناك اهتمامًا كبيرًا من جانب السودان بتنظيم زيارة ميدانية لاحقة إلى مصانع XD-EGEMAC بمنطقة العين السخنة، للوقوف ميدانيًا على إمكانات التصنيع والصيانة وتدريب الكوادر السودانية وسبل التعاون المباشر في تلبية احتياجات الشبكة السودانية.

واكد البيان ترحيب مسؤولو China XD Egypt بالتعاون مع السودان، ونقلت كهرباء السودان عنهم أن دعم شبكات الكهرباء في القارة الإفريقية يُعد أولوية ضمن توجهات الدولة المصرية في نقل الخبرة وتعميق التعاون التجارى بين البلدين لا سيما فى مجال الطاقة والمهمات الكهربائية ذات الجهد العالى، وأن هناك استعدادًا تامًا لتوفير كافة الخدمات الفنية واللوجستية، وتخصيص برامج تدريبية لتأهيل الكوادر السودانية.

وجرى الاتفاق حسب البيان على تشكيل فريق عمل مشترك لمتابعة خطوات التعاون، والتنسيق بشكل فعلى و اخذ خطوات سريعة وفعالة فى هذا الصدد ، تمهيدًا لوضع خطة تنفيذية لمشروعات التوريد والدعم الفني لصالح شبكة الكهرباء في السودان.

ورطة التمويل وإصلاح الخراب في قطاعي الكهرباء والنفط

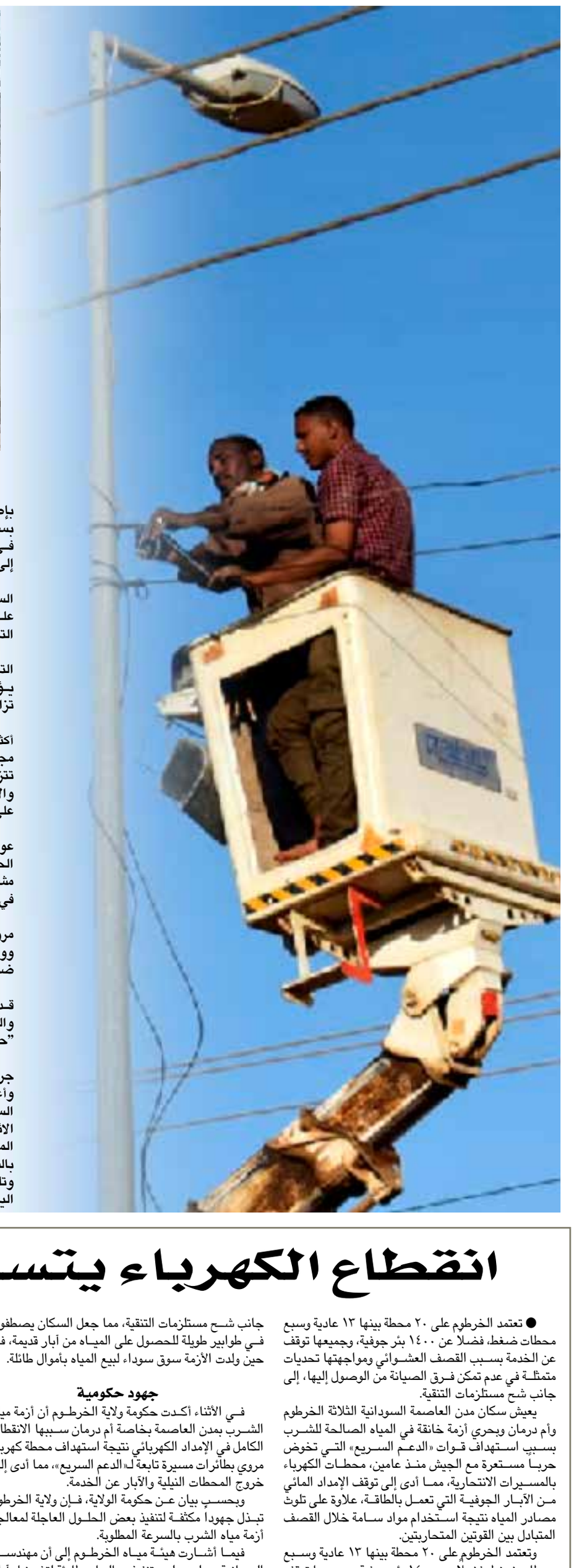

يواجه المسؤولون السودانيون معضلة كبيرة تتعلق بإصلاح الخراب الذي لحق بشبكة الكهرباء وقطاع النفط، بسبب الحرب على مدار العامين الأخيرين، وسط شكوك في قدرة الدولة على القيام بأي خطوات ملموسة بالنظر إلى افتقارها للتمويل اللازم لتنفيذ ذلك.

أضيفت أزمة قطاع الكهرباء وصناعة النفط في السودان إلى أزمات أخرى متعددة الأبعاد تشهدها البلاد على الأصعدة المالية والاقتصادية والنقدية والبنى التحتية والخدمات.

وتشكل انقطاعات الكهرباء جراء استهداف محطات التوليد إنتاج النفط، بما في ذلك فقدان الوقود هاجسا يؤرق المسؤولين، لاسيما وأن الحرب لا تزال تهيمن على المشهد العام في البلاد.

وترزح هذه القطاعات الحيوية لحياة أكثر من ٥١,٣ مليون سوداني تحت مجموعة من العراقيل والتحديات والتي تتزامن مع استمرار الأوضاع السياسية والاقتصادية القاتمة التي تلقي بظلالها على البلاد منذ منتصف أبريل ٢٠٢٣.

وقال وزير الطاقة والنفط بالإنابة محمد عوض الخير إن "قطاع الكهرباء تضرر من الحرب، ويواجه تحديات إعادة الإعمار،" مشيرًا إلى أهمية الطاقة المتجددة ودورها في المساهمة في استقرار الإمدادات.

ولم يكشف الوزير عن حجم الدمار في القطاع، بعد مرور عامين على الحرب بين الجيش وقوات الدعم السريع، ووقوع أكبر محطتين للتوليد الحراري في الخرطوم بحري ضمن دائرة الاشتباكات المسلحة.

وكان وزير الطاقة محيي الدين نعيم الذي أعفي مؤخرا قد أكد في تصريحات صحفية سابقة أن قطاعي الطاقة والنفط هما الأكثر تضررا بسبب الحرب القائمة. وقال إن "حجم خسائر قطاع النفط بلغ حوالي ٢٠ مليار دولار."

وتشير بعض التقديرات إلى أن خسائر قطاع الكهرباء جراء الحرب تتجاوز المليارى دولار بسبب تعرض الشبكة وأغلب محطات الإنتاج إلى التدمير. ولا تملك الحكومة السيولة الكافية لإعادة إعمار هذين القطاعين، كما خطوط الائتمان من الخارج متوقفة وهو ما يزيد من محنة حل هذه المشاكل سريعا. وتواجه الولايات (المحافظات) المرتبطة بالشبكة العامة والآمنة نسبيا أزمة حادة في الكهرباء، وتلجأ شركة التوزيع الحكومية إلى تقنين الإمدادات اليومية، والتي تمتد في الكثير من الأحيان إلى ١٢ ساعة يوميا. ووفق إحصائيات حكومية فإن محطات توليد الطاقة كانت قادرة على إنتاج أربعة آلاف ميغاواط، بينما الطاقة الفعلية لا تتعدى ١٨٢٠ ميغاواط.

ويبلغ متوسط استهلاك السودانيين للطاقة الكهربائية نحو ٤٥٠٠ ميغاواط، توفر كافة الاحتياجات المنزلية والصناعية في البلاد.

وتشمل تحديات قطاع الكهرباء عوامل عديدة، أبرزها عدم توفر وقود كاف للمحطات بسبب شح موارد النقد الأجنبي للبلاد، مع حاجة المحطات إلى قطع غيار وصيانة عجزت وزارة المالية عن الإيفاء بها خلال الفترة الماضية

ويمتلك البلد ٦ سدود بغرض توليد الكهرباء بالاستفادة من مياه النيل، وهي مروي والروصيرص وسنار وجبل أولياء وعطبرة وستيت، فيما يبلغ عدد محطات التوليد الحراري ثلاث محطات، وهي محطتا قري وبحري شمال البلاد ومحطة أم دباكر في الجنوب

محمد عوض خير.

ومطلع هذا الشهر، أعلنت شركة النقل صعوبة معالجة الأضرار عن انقطاع الشبكة الشرقية عن شبكة سد مروي والعاصمة الخرطوم، ما أدى إلى حرمان الجزيرة والقضارف وكسلا من الإمداد الإضافي، وتعتمد فقط على التوليد من سد الروصيرص وخزان ستيت وأعالي نهر عطبرة.

وأحالت الحرب منذ أكثر من عامين البلاد إلى حالة من الأزمات في كل مناحي الحياة، إنسانيا واقتصاديا واجتماعيا، الأمر الذي يثير المخاوف من تعمق التداعيات إذا لم يتم التوصل إلى اتفاق ينهي هذه المحنة.

وتركت هذه الأزمة آثارا مدمرة على الاقتصاد بشكل عام قد تمتد إلى سنوات مقبلة، خاصة وأنه ظل لسنوات يحاول أن يتعافى من عقبات مزمنة لازمته، وسط سعي الحكومات المتلاحقة لتحقيق استقرار اقتصادي من خلال استغلال الموارد الطبيعية.

إلا أن الحرب واستهداف الدعم السريع لهذه القطاعات تسبب في نكسة كبيرة لكل القطاعات الإنتاجية والصناعية والزراعية الأخرى. ويقدر الخبراء أن الاقتصاد تكبد خسائر بأكثر من ١٠٠ مليار دولار مع إكمال سنة منذ اندلاع الأزمة

وكغيرها من القطاعات، تعطلت صناعة النفط جراء المعارك الدائرة بين الطرفين في مناطق إنتاج النفط في ولايتي غرب وجنوب وكردفان. وعانى قطاع النفط خلال السنوات الماضية من عدة عقبات، أبرزها ضعف الاستثمارات، والأوضاع الأمنية التي تحيط بمواقع الإنتاج، بحسب الخبراء. وتراجع إنتاج السودان من النفط، بعد انفصال جنوب السودان في العام ٢٠١١، من نحو ٤٥٠ ألف برميل يوميا إلى حوالي ٦٠ ألف برميل يوميا، ما دفع البلد إلى استيراد أكثر من ٦٠ في المئة من احتياجاته النفطية. وإنتاج الوقود لم يكن بمنأى عن فوضى الحرب، حيث تواجه السلطات تحديا كبيرا الفترة المقبلة لترميم أحد أهم مصافي تكرير النفط بالبلاد بعدما تسببت الحرب في خروجها بالكامل عن الخدمة.

وتوجد على مسافة نحو ٧٠ كيلومترا شمال العاصمة الخرطوم مصفاة الجيلي التي تحتوي على خزانات نفط ضخمة تصل سعتها إلى ١,٢ مليون برميل، لكنها أصبحت مغطاة بآثار حرائق ويعلوها الدمار. ولدى السودان ٤ منشآت للتكرير، فإلى جانب الجيلي، هناك مصافي بورتسودان وأبوجابرة والأبيض، وفق البيانات المنشورة على المنصة الإلكترونية لوزارة الطاقة والنفط. وانعكس انهيار قيمة العملة على مجمل الأوضاع الاقتصادية في البلاد، وعلى معدل التضخم وارتفاع المستوى العام للأسعار، وكذلك في تآكل الاحتياطي النقدي.

20 مليار دولار

حجم خسائر قطاع النفط

2 مليار دولار

حجم خسائر قطاع الكهرباء

أبرز تحديات قطاع الكهرباء عدم توفر وقود كاف للمحطات بسبب شح موارد النقد الأجنبي للبلاد، مع حاجة المحطات إلى قطع غيار وصيانة

انقطاع الكهرباء يتسبب في سوق سوداء للمياه بأم درمان

● تعتمد الخرطوم على ٢٠ محطة بينها ١٣ عادية وسبع محطات ضغط، فضلاً عن ١٤٠٠ بئر جوفية، وجميعها توقف عن الخدمة بسبب القصف العشوائي ومواجهتها تحديات متمثلة في عدم تمكن فرق الصيانة من الوصول إليها، إلى جانب شح مستلزمات التنقية.

يعيش سكان مدن العاصمة السودانية الثلاثة الخرطوم وأم درمان وبحري أزمة خانقة في المياه الصالحة للشرب بسبب استهداف قوات «الدعم السريع» التي تخوض حربا مستعرة مع الجيش منذ عامين، محطات الكهرباء بالمسيرات الانتحارية، مما أدى إلى توقف الإمداد المائي من الآبار الجوفية التي تعمل بالطاقة، علاوة على تلوث مصادر المياه نتيجة استخدام مواد سامة خلال القصف المتبادل بين القوتين المتحاربتين.

وتعتمد الخرطوم على ٢٠ محطة بينها ١٣ عادية وسبع محطات ضغط، فضلاً عن ١٤٠٠ بئر جوفية، وجميعها توقف عن الخدمة بسبب القصف العشوائي وواجهتها تحديات متمثلة في عدم تمكن فرق الصيانة من الوصول إليها، إلى جانب شح مستلزمات التنقية، مما جعل السكان يصطفون في طوابير طويلة للحصول على المياه من آبار قديمة، في حين ولدت الأزمة سوق سوداء لبيع المياه بأموال طائلة.

جهود حكومية

في الأثناء أكدت حكومة ولاية الخرطوم أن أزمة مياه الشرب بمدن العاصمة بخاصة أم درمان سببها الانقطاع الكامل في الإمداد الكهربائي نتيجة استهداف محطة كهرباء مروي بطائرات مسيرة تابعة لـ«الدعم السريع»، مما أدى إلى خروج المحطات النيلية والآبار عن الخدمة.

وبحسب بيان عن حكومة الولاية، فإن ولاية الخرطوم تبذل جهوداً مكثفة لتنفيذ بعض الحلول العاجلة لمعالجة أزمة مياه الشرب بالسرعة المطلوبة.

فيما أشارت هيئة مياه الخرطوم إلى أن مهندسي الصيانة يعملون على تنفيذ معالجات طارئة لتشغيل آبار المياه وإعادة ضخها في الشبكة القومية، كاشفة عن تشغيل ١٥ بئراً، مما أسهم في توفير المياه لبعض المناطق.

معاناة واستغلال

وحول أثر انقطاع المياه أياماً عدة وتداعياته على مواطني ولاية الخرطوم، قال المواطن فتحي الطيب أحد سكان مدينة أم درمان «نعيش في أم درمان كارثة إنسانية متفاقمة بسبب العطش، وأصبح ليس لدينا سبيل غير جلب المياه من النيل مباشرة على رغم المعاناة من جهة والمخاطرة من جهة أخرى بسبب تلوث هذه المياه جراء رمي قوات 'الدعم السريع' الجثث المتحللة في النيل، إضافة إلى اختلاط مياهه بالصرف الصحي، فهناك عدد من الحالات التي أصيبت بالكوليرا». وأضاف الطيب «المشكلة الكبيرة في مياه الشرب أجبرت السكان على قطع مسافاتٍ طويلة لجلب المياه بواسطة عربات صغيرة معروفة شعبياً بـ'بالدرداقة' من الآبار القديمة، التي شغلت بمجهودات الأهالي والجهات الرسمية قبل توقف الكهرباء بشكل تام، وذلك لمنع استغلال البائعة الجائلين بعربات الكارو التي يجرها الحمار، إذ يبيعون البرميل بسعر ١٢ ألف جنيه سوداني (ما يعادل ستة دولارات)».

مباني الخرطوم الأثرية .. ذاكرة تُسرق ومعالم تذوب تحت نار الحرب

لم تكن الحرب في السودانِ مجرد صراع مسلح بين طرفين، بل كانت زلزالاً اجتاح ذاكرة مدينة بأكملها. الخرطوم، التي لطالما تميزت بمعالمها وشواهدها التاريخية، صارت اليوم مدينة تغرق في رماد الماضي. هنا، لم تقتل الأرواح فقط، بل سُحقت الهوية، واحترق التاريخ في صمت. مبانٍ كانت تسرد حكاية أمة أضحت أطلالاً بلا ملامح، ومع كل معلم يتهاوى، تزداد الخشية من أن تغيب الخرطوم عن الذاكرة.

منذ اندلاع الحرب في أبريل (نيسان) ٢٠٢٣، لم تكتفِ نيران الصراع في السودان بحصد الأرواح وتشريد الملايين، بل امتدت لتلتهم ذاكرة البلاد ومعالمها التي شكّلت وجدان أجيال من السودانيين. في الخرطوم، العاصمة التي كانت تزهو بتراثها وتاريخها المعماري، تتساقط المعالم واحدا تلو الآخر. آخرها مبنى «الحقانية» العريق، الذي لم يصمد أمام ألسنة اللهب، كما لم تصمد من قبله رموز أخرى كالمتحف القومي والقصر الجمهوري وجامعة الخرطوم. ويبدو أن تراث العاصمة في طريقه إلى الزوال، ما لم تتخذ خطوات عاجلة لحمايته من الفناء.

مبنى «الحقانية».. آخر الشهود على العدالة

شُيّد مبنى «الحقانية» في العام ١٩٠٨ ليكون شاهدا على تاريخ طويل من العدالة والمؤسسات القانونية في السودان. كان رمزاً للقانون ومنارة للفكر القضائي وواجهة معمارية تحكي فصلاً من تاريخ الخرطوم السياسي والإداري. لكن المبنى، كغيره من المعالم التي وقعت في مناطق الاشتباكات، لم ينجُ من الدمار، فبات مجرد هيكل محترق يختزل انهيار دولة ومؤسساتها.

كيف جُرِّدت الخرطوم من معالمها؟

عن هذا السؤال، تحدثت لـ«العربية.نت» و«الحدث.نت» الدكتورة بسلم القارح، كبيرة أمناء المتاحف في هيئة الآثار والمتاحف السودانية، مشيرةً إلى أن التدمير الذي طال معالم الخرطوم اتخذ عدة أوجه:

–الدمار المباشر بفعل الاشتباكات، فهناك العديد من المباني التاريخية وُجدت في مناطق تماس عسكري بين الجيش السوداني وقوات الدعم السريع، ما أدى إلى تضررها نتيجة القصف أو القتال المباشر.

–الحرق والنهب المتعمد، حيث اقتُحمت مبانٍ تراثية وثقافية وسُرقت محتوياتها، وأُحرقت عمداً في بعض الحالات. كما استخدم بعضها كمقرات وثكنات عسكرية أو مخازن سلاح، ما أدى إلى تفاقم حجم الضرر.

– غياب الحماية والرقابة، حيث إن تدهور الوضع الأمني وغياب سلطة الدولة فتحا المجال أمام الفوضى، من دون وجود أي جهة قادرة على حماية هذه المواقع أو إنقاذها.

فندق كورنثيا بشارع النيل كان يُسمى برج الفاتح سابقا ويعد أحد أشهر معالم الخرطومفندق كورنثيا بشارع النيل كان يُسمى برج الفاتح سابقا ويعد أحد أشهر معالم الخرطوم

شهادات من قلب الخرطوم

«كنت أذهب من حين إلى آخر إلى المتحف القومي مع أطفالي، ليشاهدوا تاريخ بلادهم بأعينهم. كان المكان يعج بالحياة، ويغمره شعور بالفخر. اليوم، لا أستطيع حتى المرور بجانبه، وكل ما بقي هو ذكرى، صورٌ في الذاكرة لا أكثر»، يقول لـ«العربية.نت» و«الحدث.نت» عبدالله موسى، أحد سكان الخرطوم الذي فقد أحبّاءه ومقتنياته الشخصية أثناء الحرب

أما فاطمة الزهراء، وهي معلمة تاريخ في إحدى المدارس الثانوية، فتقول لـ«العربية.نت» و«الحدث.نت»: «كنت أروي لطلابي قصصا عن تاريخنا العريق، عن الآثار التي لا تُقدّر بثمن. الآن، لم يعد لدي ما أقدمه لهم سوى الحزن. كيف سأشرح لهم تاريخنا إذا كان ما بقي منه قد دُمّر؟ أنا حزينة على مستقبلنا الذي أصبح ضبابياً بسبب ما فقدناه».

وفي السياق ذاته تقول سعاد مصطفى، من سكان حي الشهداء بأم درمان: «في طفولتي، كنت أحب الذهاب مع عائلتي إلى بيت الخليفة» في كل مناسبة. كنا نمرّ من أمامه، نشعر بالفخر لكوننا جزءًا من هذا التاريخ. اليوم، أتساءل كيف ستكبر أجيال جديدة من دون أن تعرف تاريخها، من دون أن ترى تلك المباني التي كانت رمزاً لعراقة بلدهم».

ويضيف مصطفى عبد الرحمن، صاحب متجر صغير في وسط الخرطوم: «كل يوم، أذهب إلى السوق العربية التي كنت أعمل فيها. كنت أفتخر بوجودها في قلب العاصمة. ولكن اليوم، بعدما دُمر كل شيء، لا أستطيع سوى السير وسط الأنقاض، وبقايا الحريق، ولا أجد في قلبي سوى الألم والخذلان».

أبرز المعالم التي طالتها الحرب

– المتحف القومي السوداني، الذي يُعد من أعرق المتاحف في إفريقيا، ويحتوي على كنوز فرعونية ومروية ونوبية ثمينة جدا.

– متحف القصر الجمهوري، الذي يضم مقتنيات تعكس تاريخ الحكم في السودان منذ الاستعمار وحتى اليوم.

– متحف السودان الإثنوغرافي، الذي يعرض تنوّع الثقافات السودانية ويقدّم مشهدا بانوراميا غنيا للهوية الوطنية.

بالإضافة لبيت الخليفة في أم درمان، دار الوثائق القومية، متحف التاريخ الطبيعي، والحديقة النباتية، التي نالت أيضا نصيبها من الخراب أو الإهمال أو النهب كما تؤكد القارح لـ«العربية.نت» و«الحدث.نت».

جهود توثيق وسط الفوضى

ورغم فداحة الخسائر، فإن بعض الجهود الفردية لموظفين في الهيئة العامة للآثار والمتاحف، إضافة إلى منظمات دولية كـ«اليونسكو» و«إيكروم»، بدأت بمحاولات توثيق الأضرار. لكن، بحسب الدكتورة القارح، فإن تلك الجهود تجري «بصعوبة شديدة وسط انهيار الوضع الأمني وغياب التنسيق الرسمي».

وأضافت لـ«العربية.نت» و«الحدث.نت» أنه، في محاولة لاحتواء الكارثة، شكّلت لجان متخصصة لحصر الخسائر، خاصة بالمتحف القومي، بدعم من خبراء من داخل السودان ومن خبراء عاملين في القاهرة. كما تم تكوين لجان لحصر أضرار متحف بيت الخليفة ومتحف الجزيرة في مدينة ود مدني». كما تتولى لجنة طوارئ الآثار التي أنشئت بالقاهرة مهمة التنسيق والإشراف، إذ تعمل كحلقة وصل بين إدارة الهيئة في الداخل والجهات الدولية، ضمن محاولة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من التراث السوداني

تراث على حافة النسيان

ما يحدث اليوم في الخرطوم ليس مجرد تدمير لبنايات من الطوب والحجر، بل هو محوٌ لذاكرة أمة، وجريمة في حق التاريخ والثقافة. وبينما ينشغل العالم بالحرب وأبعادها السياسية والإنسانية، يمرّ انهيار الإرث الحضاري بصمت، من دون أن يجد صدى يتناسب مع حجم الكارثة.

وجهت نداءً للعودة.. الخرطوم عاصمة تبحث عن سكانها

○ الخرطوم – «الجزيرة»

● كشف الناطق الرسمي باسم حكومة ولاية الخرطوم الطيب سعد الدين –للجزيرة نت– عن توجيهٍ نداءٍ لسكان ولاية الخرطوم بالعودة لمنازلهم، بعد أن أصبحت آمنة، بعد نحو عامين من الحرب التي اندلعت في ١٥ أبريل/نيسان ٢٠٢٣.

وقال إن العودة مهمة جدا للاطمئنان وتفقد المنازل وتأمين الأحياء السكنية «لأن الحكومة مهما أوتيت من قوة وإمكانيات لا تستطيع أن تؤمّن كامل أحياء ولاية الخرطوم –التي تمتد أفقيا لمسافات طويلة– في ظل غياب المواطنين».

وأقرّ الناطق باسم الحكومة أن المواطن سيعاني في البداية لحين اكتمال الإجراءات الإسعافية التي تقوم بها ولاية الخرطوم، لتجاوز الصعوبات التي تسببت فيها قوات الدعم السريع، بتخريبها محطات المياه ومحولات وكوابل ومحطات الكهرباء.

وفيما ذهبت بعض التقديرات الرسمية إلى أن سكان ولاية الخرطوم بلغ عددهم قبل اندلاع الحرب نحو ١١ مليون نسمة، أشار الناطق الرسمي إلى أن بعض التقديرات تشير إلى مغادرة أكثر من ٥ ملايين منهم لأحيائهم السكنية، ولكنه أكد أن العودة الآن تتم بمعدّل كبير ومن المتوقع استمرارها بصورة أكبر خلال الفترة القادمة.

عودة داخلية وخارجية

رصدت الجزيرة نت عودة مستمرة لسكان ولاية الخرطوم منذ إحكام الجيش سيطرته عليها أواخر مارس/آذار الماضي، حيث بات مألوفا دخول أعداد كبيرة من الحافلات والسيارات التي تحمل العائدين من النزوح الداخلي، ومن اللجوء الذي اضطروا إليه خارج السودان.

وكشف عبد القادر عبد الله القنصل العام لجمهورية السودان بمحافظات جنوب مصر في أسوان –للجزيرة نت– عن إحصائية شبه رسمية للمواطنين السودانيين الذين عادوا طوعا من مصر، حيث أوضح أن عدد العائدين منذ مطلع يناير/كانون الثاني الماضي حتى ٢٠ أبريل/نيسان الحالي بلغ نحو ١١٤ ألف شخص.

كما أشار أن أعداد العائدين من مصر بعد عيد الفطر بلغت في المتوسط ٢٥٠٠ شخص في اليوم، كما ذكر أنه خلال العام الماضي بلغ عدد العائدين بشكل عام قرابة ٧٥ ألف شخص.

وما زالت تتوالى أفواج سكان الخرطوم العائدين إليها، من مراكز الإيواء بالولايات التي نزحوا إليها، وسط أجواء احتفالية في بعض الأحيان بانتصارات الجيش السوداني والقوات المساندة له والتي جعلت عودتهم إلى ديارهم ممكنة.

تحديات العودة

يواجه العائدون للخرطوم تحديات على صُعد مختلفة، بسبب الدمار الذي لحق بالخدمات وفقدان الممتلكات، في وقت تحتاج فيه الولاية لإسناد متقدم لإعادة الحياة لطبيعتها، وفق ما أكده الفريق ياسر العطا عضو مجلس السيادة ومساعد القائد العام للجيش السوداني.

كما قال الناطق الرسمي باسم حكومة الولاية الطيب سعد الدين –للجزيرة نت– إن أبرز التحديات التي تواجهها الخرطوم هي توفير إمكانيات لتعمير ما خربته قوات الدعم السريع، مشيرا إلى أن «الولاية فقدت مواردها المالية بسبب خروج كل المواعين الإيرادية في مجالات الصناعة والتجارة والخدمات والإنتاج الزراعي والحيواني، بعد توقّف عجلة الإنتاج بالخرطوم».

وأكد أن الولاية تحتاج للمال والوقت، كما أنه بدأ التفاهم مع بعض المنظمات الدولية لاستعادة الخدمات الأساسية للمواطنين، بعد أن كانت هذه المنظمات تركز على الغذاء الذي بات وحده لا يكفي في ظل حاجة المواطنين للماء والكهرباء ولمقومات كثيرة بعد نهب منازلهم.

ورغم تحديات العودة التي أشار إليها الناطق باسم الحكومة، فإنه أكد أن الخرطوم الآن أصبحت آمنة ومشجعة على العودة التي توقع زيادة معدلاتها، مع توفر الخدمات وتمكّن سكان الولاية الذين ما زالوا خارجها من التغلب على الظروف المحيطة بهم وبأبنائهم نهاية العام الدراسي وبداية فصل الخريف.

تطبيع الحياة

شهدت ولاية الخرطوم –خلال الفترة الماضية التي أعقبت سيطرة الجيش عليها– عودة تدريجية لإدارات الشرطة وعدد من المؤسسات الاتحادية التي انتقلت بعد الحرب لممارسة أعمالها في العاصمة الإدارية بورتسودان، وسط توقعات بوصول العديد من المؤسسات الأخرى لمزاولة أعمالها من العاصمة الخرطوم.

وكان وزير الداخلية الفريق خليل باشا سايرين قد أعلن في ١٠ أبريل/نيسان الجاري بدء العمل من داخل مقر الوزارة في شارع النيل بالخرطوم، وذلك لدعم برنامج الولاية لتطبيع الحياة.

بينما قال والي الخرطوم أحمد عثمان حمزة –حسب تعميم صحفي عقب لقائه وزير الداخلية– إن «تطهير أغلب أراضي الولاية من المتمردين وضع الخرطوم أمام تحديات كبيرة لاستعادة الخدمات الضرورية التي نهبتها وخربتها المليشيا المتمردة، وعلى رأسها بسط وحسم التفلتات الناتجة عن الحرب».

وفي غضون ذلك، شرعت وزارات أخرى بتفقد مقارها وتحديد حجم الخسائر تمهيداً لاستئناف العمل من العاصمة الخرطوم، في وقت يتخوف فيه البعض من وجود مشاكل صحية وبيئية بسبب مخلفات الحرب والجثث، خاصة مناطق وسط الخرطوم.

عودة عكسية

وفرضت الحرب واقعاً قاسياً على سكان الخرطوم الذين ما زال الملايين منهم بين نازح داخل السودان ولاجئ خارجه، رغم سيطرة الجيش على الولاية وتحريرها من قبضة قوات الدعم السريع.

ويتخوّف البعض من العودة بسبب تردي الأحوال البيئية، خاصة منطقة الخرطوم التي دارت فيها معارك شرسة لفترات طويلة، وفيها الكثير من الجثث والنفايات العضوية، مما يهدد بتحولها إلى بؤر للأوبئة والأمراض، إلى جانب انعدام المياه والكهرباء، لذلك بقي كثير من سكان الخرطوم حيث هم في المناطق التي نزحوا ولجؤوا إليها رغم نداءات العودة.

وتقول أم محمد، وهي إحدى اللائي كن يقطن بأحد أحياء أم درمان القديمة ولجأت إلى مصر عقب الحرب، إنها سارعت بالعودة للخرطوم فور سيطرة الجيش عليها لتفقد منزلها والاستقرار به، بعد أن عانت كثيراً من توفير قيمة الإيجار بمنطقة فيصل بالجيزة.

لكنها أوضحت –للجزيرة نت– أنها لم تستطع التأقلم والبقاء لأكثر من أسبوعين في الخرطوم التي تحبها، فقد وجدت منزلها منهوبا بالكامل، والحياة بلا ممتلكات أو خدمات كالمياه والكهرباء ومقومات الحياة الأخرى «قاسية للغاية» وفق تعبيرها، فعادت مرة أخرى مع أطفالها إلى مصر، ريثما تستقر الأوضاع تماماً وتتوفر الخدمات في ولاية الخرطوم.

VOICE of sudanese community
السبت ٢٦ أبريل ٢٠٢٥م - ٢٨ شوال ١٤٤٦ هـ
SATURDAY 26 APRIL 2025 - ISSUE No. 31

الفاشر

تئن تحت النار والحصار والجوع .. وانسداد الأفق

○ **الفاشر - «وكالات»**

● بين سندان الموت تحت القصف والجوع والمرض، ومطرقة النزوح إلى المجهول، يواجه مئات الآلاف من سكان مدينة الفاشر حاضرة ولاية شمال دارفور، والمخيمات حولها، واقعاً إنسانياً مؤلماً، فالموت العاجل أو «البطيء» يتهددهم إن بقوا في مدينتهم أو نزحوا إلى مكان آخر.

ما يُثير الأسى والحزن هو وقوع السكان بين خيارين؛ أحلاهما مر، فبين رفض القوات المشتركة التي تُقاتل مع الجيش، السماح للسكان بالفرار، وتدعوهم إلى البقاء والقتال «دفاعا عن الأرض والعرض»، تعمد «قوات الدعم السريع»، التي تطالب السكان بالخروج، بقصف المدينة والمخيمات غير مبالية بالدمار وهتك الأرواح وسفك الدماء.

قصف وحصار

وتشهد الفاشر المحاصرة منذ أكثر من عام ونصف العام عمليات حربية وقتالية بين الجيش والقوات المشتركة المتحالفة معه من جانب و«قوات الدعم السريع»، التي تفرض حصارا مشددا على المدينة التي يُقدر عدد سكانها بنحو مليون شخص، إضافة إلى نحو نصف مليون آخرين جاءوا إلى المدينة من مخيمات النزوح القديمة، منذ حرب دارفور ٢٠٠٣، ويعيشون حول المدينة.

بعد هزيمة وانسحاب «قوات الدعم السريع» وسط البلاد والعاصمة الخرطوم، شددت حصارها على المدينة وما حولها، ونتج عن الحصار ندرة وارتفاع جنوني في أسعار السلع الغذائية، وتوقفت الخدمات الأساسية، وشحّت الأدوية المنقذة للحياة، وعجزت المنظمات الإنسانية عن إيصال المساعدات والإغاثات للسكان المحاصرين.

كما تصاعدت حدّة المواجهات العسكرية، واتّسع نطاق العمليات، سواء عبر القصف المدفعي، أو ضربات المسيّرات الحربية، أو الغارات الجوية، ما أسفر عن مقتل وإصابة المئات من المدنيين. وبلغت المخاطر ذروتها مع اندلاع المعارك في مخيّم زمزم للنازحين، الذي يبعد نحو ١٢ كيلومتراً عن مركز مدينة الفاشر.

ممرات آمنة

نشطت دعوات لفتح ممرات آمنة لخروج المواطنين، وتبنت حركتان مسلحتان، ضمن تحالف «تأسيس» الموالي لـ«قوات الدعم السريع»، هما «تجمع قوى تحرير السودان»، بقيادة عضو مجلس السيادة السابق، الطاهر حجر، و«حركة تحرير السودان»، بزعامة عضو «السيادة» السابق، الدكتور الهادي إدريس، عمليات إخلاء للمدنيين. وأعلنت «قوات الدعم السريع» استعدادها لـ«تأمين عمليات النزوح».

وواجهت دعوة إجلاء المدينة «رفضاً» قوياً من الجيش والقوات المشتركة، ونقلت صحيفة «دارفور ٢٤»، أن الجيش والقوات المشتركة المتحالفة معه ومقاتلي «المقاومة الشعبية»، منعوا مجموعة من المواطنين من المغادرة، في حين نشطت منصات التواصل الاجتماعي الموالية للجيش لحث المواطنين على البقاء في المدينة ومعسكرات النازحين، للدفاع عن «الأرض والعرض».

وقال المتحدث باسم «المنسقية العامة للنازحين واللاجئين»، (جماعة أهلية طوعية)، آدم رجال، في بيان إن القوات المشتركة والجيش اعتقلوا قادة ونشطاء من النازحين في مخيم أبو شوك، واتهموهم بتحريض السكان على مغادرة منازلهم ومخيماتهم، و«التعاون» مع «قوات الدعم السريع».

أوضاع حرجة

في آخر تقاريره، ذكر مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية التابع للأمم المتحدة «أوتشا»، أن نحو ٤٠٠ - ٤٥٠ ألف شخص في معسكرات مثل زمزم وأبو شوك نزحوا نحو منطقة طويلة، ومناطق أخرى حول جبل مرة.

وقال إن حركة النزوح أصبحت «سريعة وغير متوقعة»، بسبب الأعمال العدائية المستمرة من طرفي النزاع، والمخاوف من هجوم واسع النطاق على الفاشر، من قبل «قوات الدعم السريع»، وتفاقم وتزايد مستويات انعدام الأمن الغذائي.

وأكد النازح آدم عبد الله آدم إجبارهم على «التهجير القسري» بقوله: «هناك من طلبوا منا مغادرة معسكر زمزم»، (يقصد «قوات الدعم السريع»)، دون أن يسميهم: «هؤلاء نقلونا إلى منطقة طويلة».

وقالت النازحة من الفاشر، أماني الطيب إبراهيم، إنهم هربوا خوفاً من «التدوين» (القصف بالدانات) العشوائي، التي تتم عبر «قوات الدعم السريع»، والجوع وانعدام الغذاء والدواء. وتابعت: «رطل السكر بلغ سعر ٨ آلاف جنيه (نحو ٣ دولارات)، والملح ٧ آلاف، وقطعة الصابون ٥ آلاف، نحن بلا دخل، ولدينا أطفال بحاجة لرعاية وأكل وشرب».

وقالت نازحة أخرى -رفضت ذكر اسمها- إنهم نزحوا هربا من المعاناة، وقلة الطعام، وانعدام العلاج، ومن قصف «قوات الدعم السريع» العشوائي، وتابعت: «نحن الآن بحاجة للطعام والماء ومواد الإيواء».

ازدواج معايير

وطالب نشطاء وسياسيون بفتح ممرات آمنة لإجلاء المدنيين من الفاشر، وعدّوا منعهم الخروج من الفاشر أو إجبارهم على النزوح «جريمة ضد الإنسانية»، وطالبوا بتدخل عاجل يحفظ حياة المتبقين من الجوع والمرض والقتال.

وتستمر المواجهات المسلحة في مدينة الفاشر شمال غربي السودان والمناطق المحيطة بها، حيث تشتد الاشتباكات بين الجيش السوداني وحلفائه من جهة، وقوات الدعم السريع من جهة أخرى، مما يزيد من سوء الأوضاع الإنسانية في المنطقة.

نزوح اكثر من مليون شخص

ونزح أكثر من مليون شخص من مخيم زمزم للنازحين إلى مدينة الفاشر في الأسبوعين الماضيين، وفقا لمفوضية العون الإنساني في شمال دارفور.

ووفقا لأحدث تقرير صادر عن المفوضية الحكومية، بلغ إجمالي النازحين في مدينة الفاشر مليونا و٧٩٨ ألفا، أي ما يعادل ٣٥٠ ألفا و٢١٧ أسرة بفعل الهجمات المتكررة التي شنتها قوات الدعم السريع على المدنيين

وتشير الأرقام إلى أن عدد النازحين من مخيم زمزم إلى مدينة الفاشر بين ١١ أبريل/نيسان ٢٠٢٥ وحتى ١٦ أبريل/نيسان ٢٠٢٥، بلغ نحو ١٠٣ آلاف و٧١٢ أسرة، ما يعادل ٥١٥ ألفا و٤١٥ فردًا، وفقا للمعلومات الواردة من الإدارة المجتمعية بالمخيم ومنظمات الهجرة الدولية.

وقال المتحدث الرسمي باسم النازحين في مخيم زمزم، محمد خميس دودة، للجزيرة نت، إن أوضاع النازحين في مدينة الفاشر في تدهور متزايد يوما بعد يوم، موضحا أن الجميع يعاني من نقص حاد في المأوى والغذاء والمياه الصالحة للشرب والرعاية الصحية.

وأشار إلى أن العديد من النازحين يضطرون للنوم على الأرض تحت الأشجار، دون أن يجدوا ما يسد جوعهم، وناشد المجتمع الدولي بالتدخل العاجل لتخفيف معاناتهم وتوفير الدعم الضروري للنازحين المحاصرين.

وعانت مدينة الفاشر والمخيم من حصار وقصف مدفعي عنيف عدة أشهر قبل أن تسيطر الدعم السريع على المخيم في ١٣ أبريل/نيسان الجاري، حيث أدت عملية الاقتحام إلى تفاقم معاناة النازحين، الذين فروا إلى الفاشر مع فقدهم كثيرا من مقومات الحياة الأساسية.

وقال دودة، إن اللجنة العليا للمخيم قد سجلت ١٥٠٠ قتيلا في الهجوم الذي استهدف المخيم، وأشار إلى أن من الضحايا عددًا كبيرًا من الأطفال والنساء وكبار السن، إضافة إلى طلاب الخلاوي (المدارس القرآنية) الذين كانوا موجودين في المنطقة أثناء الهجوم.

وأضاف أن هذه الحصيلة تمثل مأساة إنسانية كبيرة، حيث فقدت العديد من الأسر أحباءها في لحظات من الرعب والدمار، وذكر أن اللجنة تعمل على توثيق الأضرار وتقديم تقارير للجهات الدولية لضمان تقديم الدعم اللازم للمتضررين.

ورغم ذلك، لا يزال الجيش السوداني وحلفاؤه يسيطرون بقوة على المواقع الحيوية في مدن الفاشر التاريخية وبعض المناطق المحيطة بها، محققين تقدمًا يوميًا على مختلف الجبهات.

وفي تطور ميداني، قال الإعلام العسكري التابع للفرقة السادسة عبر صفحته على فيسبوك الأربعاء، إنه تمكن من إحباط محاولة هروب عناصر من الدعم السريع في قرية تبلدية قرب الفاشر.

وأشار إلى أن المدينة شهدت اشتباكات عنيفة أسفرت عن مقتل العشرات من عناصر المليشيا، إضافة إلى إحراق ثلاث سيارات دفع رباعي، بينما فر الباقون إلى غرب المدينة.

وأكد أن العملية تمت بالتنسيق بين القوات المسلحة والقوة المشتركة والشرطة والأمن والمقاومة الشعبية، بهدف القضاء على الأوكار التي يتحصن فيها المقاتلون الفارون.

وفي سياق متصل، أعلن مجلس السيادة، أن الحكومة السودانية وافقت على طلب الأمم المتحدة بإقامة قواعد إمداد لوجستية في مدينتي طويلة ومليط، لتسهيل العمل الإنساني في هاتين المنطقتين.

وجاءت هذه الموافقة في اتصال هاتفي تلقاه رئيس مجلس السيادة، عبد الفتاح البرهان، من مساعد الأمين العام للأمم المتحدة، توم فليتشر، وقد أعرب المتحدث الرسمي باسم الإدارة العليا لمخيم «زمزم»، محمد خميس دودة، عن تحفظاته على المقترح المقدم من الأمم المتحدة.

وقال للجزيرة نت، إن المناطق المقترحة كنقاط انطلاق لتوزيع المساعدات تقع تحت سيطرة أحد أطراف النزاع المسلح، مثل منطقة مليط التي تخضع حاليا لسيطرة قوات الدعم السريع، وأشار إلى أن هذه المنطقة تخضع لقوانين وإجراءات تفرضها الدعم السريع، مما يجعل قبول هذا الاقتراح غير ممكن.

ولفت إلى أن منطقة طويلة التي تخضع لسلطات حركة جيش تحرير السودان بقيادة عبد الواحد نور، متهماً هذه الجهات بعدم الحياد في إيصال المساعدات للمستحقين.

ومنذ أن أعلن الجيش السوداني سيطرته الكاملة على العاصمة الخرطوم، تحول الصراع بوضوح نحو غرب السودان، وبالتحديد إلى مدينة الفاشر، التي عادت لتكون محور الاهتمام وسط تصاعد التعقيدات الأمنية والإنسانية فيها. حيث يعاني المدنيون المحاصرون الآن من أوضاع صعبة، ويطلبون المساعدة من جميع الجهات.

.. إصابات خطيرة وعلاجات بدائية

● يُعتبر محمد (٨ أعوام) من المحظوظين في مدينة الفاشر الواقعة في غرب السودان، رغم أن ذراعه التي تحتوي على شظايا قد عولجت بقطعة قماش لا تزال تلفها، وذلك في ظل معاناة جرحى حرب آخرين من إصابات أكثر خطورة تصعب معالجتها، نظرا للحصار الذي تشهده المدينة ولشحّ المعدّات الطبية فيها.

والأسبوع الماضي، شنّت قوات الدعم السريع التي تخوض حربا ضد الجيش منذ عامين، هجوما داميا على عاصمة شمال دارفور ومحيطها، حيث انهار النظام الصحي أيضا.

ويقول عيسى سعيد (٢٧ عاما) والد محمد لوكالة فرانس برس في اتصال عبر الأقمار الصناعية ستارلينك، في ظل انقطاع الاتصالات في المنطقة بشكل كامل، «بمساعدة جارتنا التي كانت سابقا تعمل في مجال التمريض، أوقفنا النزيف لكن اليد فيها تورّم ولا ينام (محمد) ليلا من الألم». وكما هو حال سكان آخرين في مدينة الفاشر المحاصرة من قوات الدعم السريع منذ مايو ٢٠٢٤، فإنّ عيسى لا يمكنه نقل ابنه إلى غرفة الطوارئ في أي مستشفى.

وقد أدّت الهجمات المتكرّرة التي شنّتها قوات الدعم السريع على العاصمة الإقليمية لمنطقة دارفور الشاسعة، إلى جعل أي تحرّك للمدنيين محفوفا بالمخاطر.

ويقول محمد وهو منسّق مساعدات إنسانية نزح إلى الفاشر هذا الأسبوع، إنّ مئات الجرحى يجدون أنفسهم محاصرين حاليا في المدينة.

وكان هو نفسه قد أُصيب في فخذه خلال الهجوم الدامي الذي نفذته قوات الدعم السريع على مخيم زمزم للنازحين الواقع على بعد ١٥ كيلومترا جنوب الفاشر.

وبحسب مصادر إنسانية، فإنّ مئات آلاف الأشخاص فرّوا من مخيّم زمزم الذي أعلنت الأمم المتحدة أنّه يعاني من مجاعة، وذلك للجوء إلى مدينة الفاشر.

ويضيف محمد الذي رفض الكشف عن اسمه الكامل لأسباب أمنية، إنّ «الناس فاتحة بيوتها وكلّ الناس يتلقّون العلاج بشكل خصوصي في البيوت».

وفي الفاشر، يحاول الناس تقديم الإسعافات الأولية وعلاج الحروق أو الجروح الناجمة عن الرصاص وشظايا القذائف، بالاعتماد على مواد بدائية للإسعافات الأولية وباستخدام نباتات طبية.

ويروي محمد أبكر (٢٩ عاما) أنّه كان يحاول إحضار الماء لأسرته عندما أُصيب بطلق ناري في رجله.

ويقول «حملني جيراني إلى داخل المنزل واستدعوا جارنا الذي لديه خبرة في معالجة الكسور بالجبيرة وهو نوع من العلاج الشعبي... باستخدام أخشاب وقطع قماش».

VOICE of sudanese community
السبت ٢٦ أبريل ٢٠٢٥م - ٢٨ شوال ١٤٤٦ هـ
SATURDAY 26 APRIL 2025 - ISSUE No. 31

رئيس اتحاد الغرف الصناعية ورجل الأعمال السوداني معاوية البرير

القطاع الخاص يقود التعافي

○ حوار / فتح الرحمن شبارقة

● كشف رئيس اتحاد الغرف الصناعية، رجل الأعمال السوداني البارز معاوية البرير، أن القطاع الخاص في السودان تكبّد خسائر فادحة بسبب الحرب، قدّرت في القطاع الصناعي وحده بأكثر من ٥٠ مليار دولار.

وأوضح -في حوار خاص مع الجزيرة نت- أن هذه الخسائر شملت تدمير المصانع والمعدات وأجهزة التحكم والشبكات الإلكترونية، إلى جانب نهب المواد الخام والمنتجات الجاهزة.

وأشار البرير إلى أن القطاع الزراعي لم يكن بمنأى عن هذه الخسائر، حيث تُقدَّر خسائره بنحو ٣٠ مليار دولار، شملت محطات الري، والآلات، والمولدات، والمحاصيل. وأضاف أن قطاع الخدمات والبنوك تلقّى أيضا ضربات قاسية، لا سيما أن معظم الناتج المحلي والثروة الاقتصادية متركزة في الخرطوم.

وقال إن تدمير محطات الكهرباء انعكس بشكل مباشر على ارتفاع تكلفة الإنتاج، مما يجعل بدائل الطاقة مكلفة وغير مستدامة للقطاعين الصناعي والزراعي. وأكد أن القطاع الخاص المحلي، إلى جانب المستثمرين الأجانب والأشقاء العرب، سيكونون الركيزة الأساسية لمرحلة إعادة الإعمار، مشددا على أهمية عدم وضع العراقيل أمامهم.

وأضاف البرير: «هناك رجال أعمال خسروا كل شيء بسبب الحرب، وبعضهم لم يتحمّل الصدمة وفارق الحياة، فيما يعاني آخرون من عدم القدرة على تلبية التزاماتهم، وهو ما يُنذر بأزمات قانونية ما لم تُقدَّم حلول واقعية».

وعن رؤيته لمستقبل السودان الاقتصادي، قال بثقة: «لسنا الدولة الوحيدة التي دُمّرت، ونؤمن بأننا قادرون على النهوض مجددا كما فعلت أوروبا واليابان بعد الحرب. السودان سيعود أفضل مما كان، بشرط التخطيط السليم، وتصحيح الأخطاء، وتولية الكفاءات المناصب المناسبة، لا سيما في الوزارات الاقتصادية»

وفيما يلي أبرز ما جاء في الحوار:

30 مليار دولار
خسائر القطاع الزراعي.

50 مليار دولار
خسائر القطاع الصناعي

هناك رجال أعمال خسروا كل شيء بسبب الحرب، وبعضهم لم يتحمّل الصدمة وفارق الحياة،

تدمير محطات الكهرباء انعكس بشكل مباشر على ارتفاع تكلفة الإنتاج، مما يجعل بدائل الطاقة مكلفة

أشقاؤنا العرب لا سيما دول الخليج، لم يتوقفوا عن المساهمة أثناء الحرب، وننتظر منهم أكثر

الكفاءات السودانية الحريصة على الوطن ستعود وتُضحي من أجل السودان

○ ما حجم الخسائر التي تعرض لها القطاع الخاص وقطاع الأعمال بسبب الحرب في السودان؟

● **القطاع الخاص السوداني تكبّد خسائر مهولة، تُقدّر في القطاع الصناعي وحده بحوالي ٥٠ مليار دولار. وتتمثل هذه الخسائر في تدمير كامل أو جزئي للعديد من المصانع، وتلف المعدات، وأجهزة التحكم، والشبكات الإلكترونية، ومولدات الطاقة، والكوابل الكهربائية، بالإضافة إلى نهب المواد الخام والمنتجات الجاهزة.**

كما تضررت الصناعة أيضا نتيجة تضخّم الأموال في السوق، ووجود مديونيات بالعملة الصعبة أصبحت عبئا على المصنّعين.

أما في القطاع الزراعي، فبلغت الخسائر نحو ٣٠ مليار دولار، شملت محطات الري، والآلات، والمولدات، والمحاصيل. على سبيل المثال، محطة ري «أبو نعامة» التي تبلغ تكلفتها ٤٠ مليون دولار تعرّضت للتدمير.

وتعرض قطاع الخدمات والبنوك هو الآخر لأضرار كبيرة، إذ إن أغلب الناتج المحلي للبلاد يتمركز في الخرطوم.

○ في ظل استهداف الدعم السريع لمشاريع الطاقة ونقص الكهرباء، هل يمكن أن يمثل ذلك إعلان وفاة الصناعة في السودان؟

● **تدمير محطات الكهرباء أثّر سلبا على المواطن والصناعة والزراعة، لأن البدائل المتاحة لإنتاج الطاقة مكلفة للغاية، مما يزيد من تكلفة الإنتاج ويهدد استدامة النشاط الصناعي والزراعي.**

○ ما فرص السودان للتعافي الاقتصادي إذا توقفت الحرب؟

● **السودان قادر على النهوض مجددا، بل العودة أفضل مما كان عليه قبل الحرب، بإذن الله. نحن بحاجة لتصحيح الأخطاء السابقة، والتخطيط السليم، ووضع الشخص المناسب في المكان المناسب، وخاصة في الوزارات الاقتصادية. ونطمح إلى وطن معافى، يُضيف إلى اقتصاده، ويتجاوز الصراعات، وتكون فيه المنافسة بين رجال الأعمال قائمة على الجودة والقيمة المضافة، لا على الإقصاء.**

○ برأيك من يتحمل فاتورة إعادة إعمار ما دمرته الحرب؟

● **القطاع الخاص، والمواطن السوداني، والمستثمرون الأجانب، والأشقاء العرب هم من سيتحملون فاتورة إعادة الإعمار. أشقاؤنا العرب، ولا سيما دول الخليج، لم يتوقفوا عن المساهمة حتى أثناء الحرب، ونحن ننتظر منهم مساهمة أكبر في المرحلة المقبلة.**

> **أبرز التحديات هو تغيير النظرة إلى القطاع الخاص، واعتباره شريكا أساسيا وليس مجرد مصدر للضرائب هو الذي يشغل ملايين السودانيين**

○ ما حجم الكفاءات والأيدي العاملة التي قد تكون هاجرت بسبب الحرب وربما لن تعود؟ وما أثر ذلك على الاقتصاد؟

● **الكفاءات السودانية الحريصة على الوطن ستعود وتُضحي من أجل السودان، مهما كانت الظروف. أما من وجدوا فرصا أفضل في الخارج، فهم سيبقون داعمين لنا عبر المشورة، والخبرة، وتحويل الأموال لدعم الاقتصاد الوطني.**

> **عودة رجال الأعمال تتطلب من صناع القرار وضع سياسات داعمة وألا يضعوا العقبات أمامهم مثلما فوجئنا بفرض ضريبة دخل مقدماً بنسبة ٢ في المئة**

○ هل سيعود رجال الأعمال السودانيون بعد الخسائر التي تعرضوا لها للعمل في السودان مجددا، أم أنهم سيظلون في الدول التي نقلوا إليها استثماراتهم بعد الحرب؟

● **أغلب رجال الأعمال سيعودون إلى السودان بعد تسوية أوضاعهم في الخارج، لكن العودة تتطلب من صناع القرار وضع سياسات داعمة، وألا يضعوا العقبات أمامهم. للأسف، فوجئنا مؤخرا بفرض ضريبة دخل مقدما بنسبة ٢٪ على ترحيل المواد الخام، وهو أمر لم يكن معمولا به قبل الحرب.**

○ هل صحيح أن هناك رجال أعمال سودانيين أفقرتهم الحرب تماما وأصبحوا عاجزين حتى عن إعالة أسرهم؟

● **نعم، هناك عدد كبير من رجال الأعمال خسروا كل شيء، وبعضهم لم يتحمل الصدمة النفسية وتوفي، بينما يعاني آخرون من العجز عن الوفاء بالتزاماتهم. فإذا لم توضع حلول واقعية، فقد نشهد مشاكل قانونية كبيرة في المرحلة المقبلة.**

○ التقيت معك في جولتك الميدانية لتفقد عدد من المشاريع في السودان بعد الحرب واجتماعك مع عدد من المسؤولين في الفريق الاقتصادي.. ما نتائج هذه اللقاءات؟

● **كانت لقاءات مثمرة. اجتمعنا بوزيري المالية والزراعة، إضافة إلى ولاة ولايات الخرطوم، الجزيرة، سنار، والشمالية. ووعد وزير المالية بتقديم دعم محدود للقطاع الخاص، وإنشاء منصة للحوار مع الصناعيين، مؤكدا أنه لا يدعم الدعم المطلق. أما وزير الزراعة، فقد وعد بإدخال بذور محسنة وتقنيات جديدة، ونحن ننتظر حاليا تنفيذ هذا الوعد كتابة.**

○ رغم وجود موارد ومواد خام في السودان، هل ترى أن المستثمر الأجنبي لن يغامر بالاستثمار في السودان حتى بعد انتهاء الحرب؟

● **أنا متفائل جدا بعودة المستثمرين، خاصة إذا تم تهيئة بيئة استثمارية جاذبة بعد الحرب. لسنا الدولة الوحيدة التي دُمّرت ثم نهضت. وقد فعلت أوروبا واليابان ذلك، ونحن قادرون أيضا بعزيمتنا، بشرط اتخاذ قرارات جريئة من أجل الصالح العام.**

○ ما الدور الذي يمكن أن يلعبه القطاع الخاص في إنعاش الاقتصاد السوداني؟

● **القطاع الخاص هو العمود الفقري لإنعاش الاقتصاد، خصوصا بالشراكة مع الاستثمارات الخارجية وبتمويل من الأشقاء. يجب منحه المساحة والحرية ليستعيد نشاطه ويخلق فرص العمل.**

○ ومن مِن الأشقاء تتوقع أن يكون لديه استعداد للمشاركة في التمويل، في ظل ظروف السودان الحالية؟

● **بكل وضوح: دول الخليج، التي لطالما وقفت مع السودان في السراء والضراء، ولها الإمكانيات والخبرة والرغبة في المشاركة الفعالة.**

○ برأيك ما أبرز تحديات إعادة الإعمار، وهل يمكن أن ينهض السودان كما نهضت ألمانيا واليابان بعد الحرب؟

● **أبرز التحديات هو تغيير النظرة إلى القطاع الخاص، واعتباره شريكا أساسيا وليس مجرد مصدر للضرائب. القطاع الخاص هو الذي يشغل ملايين السودانيين، ويجب أن يُعامل كمُنتج أساسي للاستقرار والنمو، لا كعبء على الدولة.**

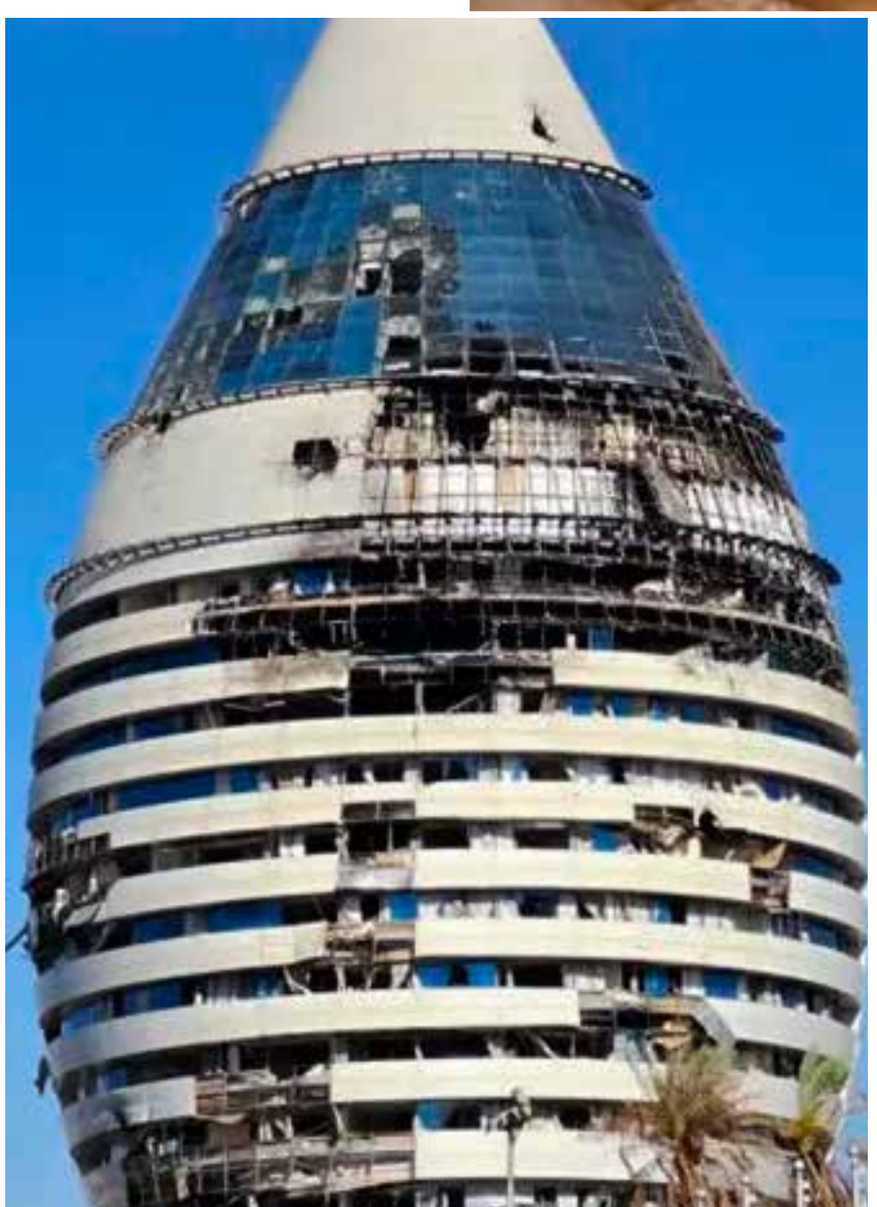

VOICE of sudanese community

السبت ٢٦ أبريل ٢٠٢٥م - ٢٨ شوال ١٤٤٦ هـ

SATURDAY 26 APRIL 2025 - ISSUE No. 31

خسائر سنوية بـ١,٥ مليار جنيه

هربًا من الفواتير الخانقة... آلاف الأسر في بريطانيا تسرق الكهرباء

● في بريطانيا، يتزايد عدد الأسر التي تلجأ إلى سرقة الكهرباء والغاز، وسط أزمة ديون طاقة غير مسبوقة وارتفاع مستمر في الأسعار، بحسب تحذيرات نشطاء مكافحة فقر الوقود.

ووفقًا لتقديرات رسمية، تبلغ قيمة الطاقة المسروقة من شبكات الكهرباء في بريطانيا العظمى نحو ١,٥ مليار جنيه إسترليني سنويًا، وهو ما يعادل إضافة نحو ٥٠ جنيهًا إسترلينيًا إلى فواتير جميع الأسر سنويًا لتعويض هذه الخسائر.

وذكر موقع صحيفة «الغارديان» The Guardian أن شركات الطاقة تحذر من تزايد لجوء الأسر «اليائسة» إلى التلاعب بعدادات الغاز والكهرباء لتجنب الوقوع في ديون أعمق، في وقت تستغل فيه العصابات الإجرامية شبكات الكهرباء في أنشطة غير قانونية مثل زراعة القنب وتعدين العملات الرقمية. ووفقًا لشركة كهرباء الشمال الغربي، التي تقدم خدماتها لما يقارب ٥ ملايين شخص في مناطق مثل مانشستر الكبرى ولانكشاير وكامبريا، فإنها تتلقى نحو ٩٠٠ بلاغ شهريًا بشأن سرقات طاقة يُشتبه بوقوعها.

ويشير نشطاء إلى أن أزمة الطاقة التي بدأت في عام ٢٠٢١ ساهمت في ارتفاع كبير في حالات سرقة الطاقة، حيث تقدر خدمة الإبلاغ الرسمية أن واحدًا من كل ١٥٠ منزلًا قد تلاعب بعدادات الكهرباء أو الغاز أو بأنابيب وكابلات التوصيل. كما بلغ عدد المكالمات الشهرية إلى الخط الساخن لمكافحة الجريمة (Crimestoppers) ذروته عند ١٠٠٠ بلاغ، فيما يُعتقد أن نحو ٢٥٠ ألف حالة سرقة طاقة تمر دون إبلاغ سنويًا.

وأظهرت بيانات رسمية نشرت هذا الشهر أن ديون الطاقة في بريطانيا العظمى وصلت إلى مستوى قياسي بلغ ٣,٩ مليار جنيه إسترليني، أي أكثر من ضعف مستويات الديون غير المسددة قبل أزمة ٢٠٢١. ووفقًا للهيئة المنظمة لقطاع الطاقة «أوفجيم» (Ofgem)، فإن متوسط الديون المتأخرة للأسر التي تملك خططًا للسداد بلغ ١٢٩٦ جنيهًا إسترلينيًا، بزيادة ٥٪ عن العام الماضي، بينما قفزت الديون المعدومة لمن لا يملكون خطط سداد بنسبة ٢٤٪ للكهرباء و٢٦٪ للغاز، لتصل إلى ١٦١٧ و١٣٧٦ جنيهًا إسترلينيًا على التوالي.

وتزامن الكشف عن هذه البيانات مع إعلان الحكومة عن رفع سقف أسعار الطاقة للربع الثالث على التوالي، ليبلغ متوسط الفاتورة السنوية للأسرة العادية ١٨٤٩ جنيهًا إسترلينيًا، وهو أكثر من ضعف المستوى الذي كان سائدًا قبل اندلاع الحرب في أوكرانيا.

وقال مات كوبلاند، رئيس قسم السياسات في منظمة العمل الوطني للطاقة، إن استمرار ارتفاع الأسعار وتراكم الديون يدفع الأسر إلى اتخاذ خطوات «يائسة» للبقاء في منازلها. ودعا حكومة المملكة المتحدة إلى التحرك السريع، عبر تقديم دعم مالي مباشر هذا الشتاء، وتفعيل خطة «المنازل الدافئة» لتخفيف العبء عن الأسر ذات الدخل المحدود.

إطلاق سراح المتضامن مع فلسطين بعد تسلقه «بيغ بن» رافعًا العلم الفلسطيني

● أفرجت محكمة ساوثوورك كراون عن دانيال داي بكفالة مشروطة، بعد مثوله أمامها بتهم تتعلق بتسلق برج الساعة الشهير «بيغ بن» في لندن رافعًا علم فلسطين، في خطوة أثارت اهتمامًا واسعًا وتضامنًا شعبيًا.

وأنكر داي، البالغ من العمر ٢٩ عامًا، جميع التهم الموجهة إليه، والتي شملت التسبب عمدًا أو بتهور في إحداث إزعاج عام، والتعدي على موقع محمي، وذلك بعد صعوده إلى برج إليزابيث حافي القدمين صباح يوم ٨ مارس، واعتلائه البرج لأكثر من ١٦ ساعة، قبل إنزاله بواسطة رافعة بعد منتصف الليل.

وشهدت قاعة محكمة وستمنستر الابتدائية لحظات مؤثرة خلال جلسة الاستماع الشهر الماضي، حيث تعالت الهتافات من الجمهور الحاضر دعمًا لداي، مع عبارات مثل «ابق قويًا دان» و«نحن نحبك»، فيما احتشد عدد من المتظاهرين خارج المحكمة رافعين الأعلام الفلسطينية وقرعين الطبول، رفضًا للتهم الموجهة إليه وتضامنًا مع رسالته.

وينحدر داي من مقاطعة إسكس، وقد لفت الأنظار بعد صعوده البرج في تحرك احتجاجي رمزي، داعمًا للقضية الفلسطينية ومطالبًا بوقف العدوان الإسرائيلي على غزة.

غلاسكو تُعلق استقبال طالبي اللجوء

● أعلن مجلس بلدية غلاسكو عزمه تعليق استقبال طالبي اللجوء إلى المدينة، في خطوة أثارت انتقادات واسعة من منظمات إنسانية حذرت من تداعيات القرار على الفئات الأكثر هشاشة.

وتُعد غلاسكو ثاني أكثر المدن استقبالاً لطالبي اللجوء في المملكة المتحدة بعد العاصمة لندن، إذ تستقبل أعدادًا كبيرة منهم سنويًا، مما يفرض ضغطًا متزايدًا على الخدمات العامة، خصوصًا قطاع الإسكان.

وبررت السلطات المحلية قرارها بالقول إن "البنية التحتية تعمل بأقصى استطاعتها"، مؤكدة أن موارد المدينة لم تعد قادرة على تلبية احتياجات الوافدين الجدد، وطالبت وزارة الداخلية البريطانية بوقف إرسال مزيد من طالبي اللجوء.

في المقابل، عبّر المجلس الاسكتلندي للاجئين عن رفضه التام للقرار، محذرًا من أنه "سيُلحق ضررًا أكبر من أي فائدة مرجوة"، وقد يؤدي إلى "ارتفاع حالات التشرد" في المدينة. وقال المدير التنفيذي للمجلس، صابر زازاي: "نحن قلقون بشدة من أن يؤدي هذا القرار إلى تشرد عدد من طالبي اللجوء، في ظل غياب بدائل إنسانية واضحة"

وأضاف زازاي أن "غياب الشفافية بشأن مدة تطبيق القرار وشروط إنهائه يزيد من ضبابية الموقف الرسمي للمدينة"، مشيرًا إلى أن المجتمعات المحلية في غلاسكو استفادت لعقود من إسهامات اللاجئين الاقتصادية والثقافية، ومشددًا على أن "المدينة أصبحت نموذجًا للتعايش، ولا نريد أن نخسر هذا التقدم".

واختتم زازاي بالتحذير من أن "الإخفاق في حماية الفئات المعرضة لخطر التشرد، سيكون تقصيرًا خطيرًا من المسؤولين الحكوميين"، داعيًا إلى إيجاد بدائل إنسانية تضمن كرامة الإنسان وتراعي الواقع القائم.

ولم تصدر بعد وزارة الداخلية البريطانية أو مجلس مدينة غلاسكو أي تعليق رسمي بشأن هذه الانتقادات.

في عام واحد: أكثر من ١٠ آلاف حادثة اعتداء على الموظفين في سجون إنجلترا وويلز

● سجلت الحوادث التي استهدفت موظفي السجون في إنجلترا وويلز رقمًا قياسيًا في العام الماضي بلغ ١٠,٦٠٥ حوادث اعتداء، بزيادة قدرها ١٥٪ مقارنة بالعام السابق. هذا التصاعد في العنف يعكس الأزمة المتفاقمة في السجون المزدحمة في المملكة المتحدة.

وفقًا للإحصاءات التي نشرتها وزارة العدل يوم الخميس، شهدت السجون أيضًا زيادة في الهجمات على السجناء الآخرين وحوادث الإيذاء الذاتي. تأتي هذه الأرقام بعد وقوع حادثة في سجن HMP فرانكلاند في مقاطعة دورهام، حيث تعرض ثلاثة ضباط للاعتداء على يد هاشم عبيدي، أحد المتورطين في تفجير مانشستر أرينا، الذي ألقى زيت الطهي الساخن على الضباط، واستخدم أسلحة محلية الصنع للاعتداء عليهم.

وحسب ما ذكرته صحيفة الإندبندنت «Independent» بدأت بعض السجون في تجربة استخدام سترات مقاومة للطعن، كما ستُختبر أجهزة الصعق الكهربائي في سجون أخرى ضمن برنامج تجريبي يبدأ هذا الصيف. ويشمل هذا البرنامج السماح للضباط باستخدام رذاذ الفلفل في السجون التي تحتجز الجناة الشباب، حيث ترتفع فيها معدلات الاعتداءات على الموظفين.

وتُظهر الإحصاءات أن الظروف في السجون البريطانية تتدهور، حيث تم تسجيل زيادة بنسبة ٣٧٪ في الوفيات داخل السجون بين عامي ٢٠٢٤ و٢٠٢٥، مع ارتفاع عدد الوفيات من ٢٩١ إلى ٣٩٩ حالة. كما شهدت السجون زيادة في عدد جرائم القتل من حالة واحدة إلى سبع حالات سنويًا.

في حادثة منفصلة، تم العثور على السجين جون مانسفيلد، ٦٣ عاما، ميتا في سجن HMP وايتموور في كامبريدجشاير بعد تعرضه لإصابة في رأسه. وفي وقت لاحق، تم القبض على سجين آخر بتهمة القتل. كما تم العثور على القاتل جاريث داك ميتا في سجن HMP فرانكلاند.

من جانبه، أكد أندرو نيلسون من جمعية «هوارد ليغ» لإصلاح العقوبات أن هذه الإحصاءات تكشف عن المعاناة المتزايدة في السجون البريطانية. وأشار إلى أن نظام السجون يعاني من ضغط شديد بسبب الاكتظاظ وزيادة العنف.

وفي محاولة للتعامل مع هذه الأزمة، كشفت وزارة العدل أنها أفرجت عن أكثر من ١٦ ألف سجين بين سبتمبر وديسمبر ٢٠٢٤ ضمن خطة طوارئ لتوفير المزيد من المساحة في السجون. ومع ذلك، أظهرت الأرقام الأخيرة أن هناك فقط ٥٥١ مكانا شاغرا في سجون الرجال بحلول منتصف أبريل ٢٠٢٥، في وقت بلغ فيه عدد السجناء ٨٤,٢١٠ من الرجال و٣,٥٥٤ من النساء.

كما أظهرت البيانات أن أكثر من ٢,٦٠٠ سجين يقضون فترة سجن غير محددة في إطار نظام «الحبس من أجل الحماية العامة» (IPP)، مما يكلف دافعي الضرائب البريطانيين ١٤٥ مليون جنيه إسترليني سنويا.

نواب عمال يطالبون ستارمر بدعم خطة لتنقل الشباب مع الاتحاد الأوروبي

● طالب أكثر من ٦٠ نائبًا من حزب العمال زعيمهم كير ستارمر بدعم خطة لتأشيرات «تنقل الشباب»، تتيح للمواطنين الأوروبيين والبريطانيين بين ١٨ و٣٠ عامًا العيش والعمل مؤقتًا في كلا الجانبين. ويُنظر إلى هذا البرنامج كعنصر محوري في أي اتفاق تجاري موسع بين المملكة المتحدة والاتحاد الأوروبي.

وحسب ما ذكرته صحيفة الغارديان «The Guardian» تأتي هذه الدعوة في وقت تجرى فيه مشاورات بين لندن وبروكسل لإعادة بناء العلاقات التجارية بعد خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، فيما يُتوقع أن يلتقي ستارمر برئيسة المفوضية الأوروبية أورسولا فون دير لاين، يوم الخميس في لندن، تمهيدًا لقمة ثنائية مرتقبة في مايو.

وقالت وزيرة الخزانة راشيل ريفز، من واشنطن، إن المناقشات مع الاتحاد الأوروبي مستمرة، مشددة على أن الحكومة لن تعود إلى نظام حرية الحركة، لكنها تسعى لخفض صافي الهجرة مع الحفاظ على علاقات تجارية مرنة مع أوروبا. الخلاف داخل الحكومة لا يزال قائمًا بشأن تفاصيل الخطة، فبينما تدعم ريفز إصدار تأشيرات شبابية محددة المدة، تصر وزيرة الداخلية إيفيت كوبر على وضع سقف عددي لا يتجاوز ٧٠ ألف تأشيرة سنويًا، ومدة إقامة لا تزيد عن عام واحد.

وفي رسالة موجهة إلى وزير التفاوض مع الاتحاد الأوروبي نيك توماس-سايموندز، دعا ٧٠ نائبًا ولوردًا من الحزب إلى اعتماد برنامج شبابي شبيه باتفاقيات سابقة أبرمتها بريطانيا مع دول مثل أستراليا وكندا، لتوفير فرص جديدة للشباب البريطاني في أوروبا والعكس.

وأكد النواب أن البرنامج يجب أن يكون «محدد المدة وخاضعًا لسقف عددي»، مشددين على ضرورة تعميق التعاون التجاري مع أوروبا بما يتجاوز توجهات الحكومة الحالية

وإلى جانب خطة تنقل الشباب، تستعد بريطانيا لبدء مفاوضات مع الاتحاد الأوروبي حول اتفاق صحي وزراعي لتقليل الفحوصات على السلع الغذائية، واتفاق بشأن خفض انبعاثات الكربون. وتشير المصادر إلى إحتمال استلهام الاتفاق الزراعي من نموذج أبرم مع سويسرا عام ٢٠٢٣، مع تعديلات كبيرة لتجاوز تعقيداته.

كما يلوح في الأفق اتفاق دفاعي بين الطرفين، بعد أن فتح «الكتاب الأبيض» الأوروبي حول الدفاع الباب أمام شركات بريطانية مثل «BAE Systems» و«بابكوك» للاستفادة من صندوق دفاعي أوروبي بقيمة ١٥٠ مليار يورو.

ومن المتوقع أيضا الإعلان عن اتفاق لتبادل المعلومات الاستخباراتية والتعاون في مكافحة التهريب، في إطار تشديد السياسات تجاه الهجرة غير النظامية. وطالب النواب الحكومة أيضا بتسهيل اختبار المنتجات داخل المملكة المتحدة بدلا من تصديرها إلى أوروبا للفحص، لتقليل التكاليف والبيروقراطية، كما دعوا لعقد اتفاق «اعتراف متبادل» بالمعايير مع الاتحاد الأوروبي، على غرار النموذج الكندي، خاصة في القطاعات الحيوية مثل الصناعات الدوائية.

دراسة: «التفتيش الوقائي» قد يخفض جرائم الطعن في لندن بنسبة ٣٠٪

● أظهرت دراسة جديدة أن إعادة تفعيل «التفتيش الوقائي» على نطاق واسع كما كان الحال بين عامي ٢٠٠٨ و٢٠١١، قد يساهم في تقليص جرائم القتل باستخدام السكاكين في لندن بنسبة تصل إلى الثلث، أي نحو ٣٠ جريمة قتل سنويًا، بالإضافة إلى خفض الإصابات الناتجة عن الطعن بنسبة ١٦٪.

وأعد الدراسة البروفيسور لورانس شيرمان، كبير العلماء السابقين في شرطة العاصمة البريطانية، بالتعاون مع عالم الجريمة أليكس بيكيرو. واعتمدت على بيانات جمعت خلال ١٥ عامًا حتى عام ٢٠٢٣، شملت أكثر من ٥٧ ألف إصابة و٤,٣ مليون عملية تفتيش.

وحسب ما ذكرته صحيفة التليغراف «Telegraph» خلص الباحثان إلى أن رفع عدد عمليات التفتيش الشهرية من ١٠ آلاف إلى ٤٥ ألفًا، كما كان سابقًا، قد يقلل جرائم الطعن القاتلة من ٦,٧ إلى ٤,١ شهريًا. كما أظهرت البيانات أن تقليص التفتيشات بنسبة ٦٦٪ منذ عام ٢٠١٤ أدى إلى ٤٤ جريمة قتل إضافية و١٢٧٦ إصابة أكثر من المتوقع، في حين ساهمت زيادة بنسبة ٥٥٪ عام ٢٠١٨ في خفض الإصابات بـ٢٧ حالة شهريًا.

وبحسب الدراسة، فإن انخفاض الإصابات قد يوفر نحو ٢,٦ مليون جنيه إسترليني سنويًا في تكاليف الرعاية الصحية. وأوصى الباحثان بتركيز عمليات التفتيش في المناطق التي تسجل أعلى معدلات الجريمة لتحقيق نتائج أفضل، مؤكدين في الوقت نفسه أن زيادة التفتيشات لم تؤدِ إلى تراجع ثقة الجمهور بالشرطة، بحسب استطلاعات الرأي.

وتأتي هذه النتائج في وقت تشير فيه التوقعات إلى أن الأرقام الرسمية التي ستُنشر الخميس قد تسجل مستوى قياسيًا جديدًا لجرائم الطعن. فقد بلغ عدد هذه الجرائم في لندن حتى سبتمبر ٢٠٢٤ نحو ٥٥,٠٠٨، بفارق طفيف عن الرقم القياسي البالغ ٥٥,١٧٠ في عام ٢٠٢٠. وفي المقابل، تراجعت عمليات التفتيش في إنجلترا وويلز من ١,٢ مليون عام ٢٠١٠/٢٠١١ إلى ٥٣٥ ألفًا فقط خلال العام المنتهي في مارس ٢٠٢٤.

وأثارت النتائج مجددًا الجدل حول فعالية التفتيش الوقائي، حيث قال وزير الداخلية فيحكومة الظل، كريس فيلب، إن «الاعتراضات الأيديولوجية على التفتيش تكلف أرواحًا، خصوصًا في مجتمعات الأقليات»، مطالبًا عمدة لندن صادق خان بزيادة وتيرة التفتيش. وأضاف أن استخدام كاميرات الجسد قلل من المخاوف المرتبطة بسلوك الضباط خلال هذه العمليات.

من جهتها، وصفت وزيرة الشرطة، ديانا جونسون، التفتيش الوقائي بأنه «أداة مهمة لمكافحة الجريمة»، لكنها شددت على أن فعاليته تعتمد على وجود شرطي مستمر في الأحياء. وأشارت إلى أن حكومة حزب العمال تسعى إلى تعزيز هذا الوجود من خلال نشر ١٣ ألف شرطي وضابط دعم مجتمعي، وتنفيذ دوريات منتظمة في مراكز المدن.

وأكدت جونسون أن الحكومة تهدف إلى خفض جرائم الطعن إلى النصف، عبر حظر بيع السكاكين الخطرة عبر الإنترنت، وتفعيل شراكات مجتمعية لمساعدة الشباب المعرضين لخطر الانخراط في الجريمة.

الذاكرة السودانية

حوار الأطراف المعنية في الكتب السودانية (١ ـ ٢)

محمد الشيخ حسين
mohed1618@gmail.com

● بعد ثلاثة أيام من الانقطاع عن القراءة سيصبح الكلام بلا نكهة، بهذه الحكمة الصينية القديمة نبدأ رسم خارطة طريق لحوار الأطراف المعنية في السودان.

ويبدو أن رسم مثل هذه الخارطة بات أمرا مطلوبا بشدة في هذه الأيام. ولن أتفق أبدا مع من يرى أن حوار الأطراف المعنية المنشود بمنزلة تبرير لإصدار أحكام، فمثله لا يحتاج إلى تبرير، فالمؤلف قام بما ينبغي أن يقوم به كل مطلع على الواقع المؤسف للقراءة والمأساوي للحوار في بلادنا.

وعندما قررت أن أكتب عن الحوار عبر كتب قرأتها وجدت معارضة للفكرة ممن حولي، لأنها وفق ما قالوه لي، لن تستهوي أحدا، ولن تجد لها جمهورا، وبالفعل فهذا الكلام منطقي إلى حد كبير، فكيف لي أن أقنع أناسا لا تقرأ، وربما تفعل ذلك، لأنها لا تريد أن تقرأ أصلا.

> الكتابة السودانية لا تتميز بالكشف الدقيق لحالات الإنسان وهو يبني تصوراته وأحلامه وأوهامه

فن الحياة

هل القراءة هواية؟ قد تكون الإجابة المباشرة عن هذا السؤال بلا، خاصة أن آراء عدد كبير من المفكرين والمثقفين تدل على أن القراءة أكثر من مجرد هواية نمارسها، وإنما القراءة هي الحياة، والقراءة السليمة هي فن الحياة.

وهناك من يرى أن القراءة تلك السنة الإلهية التي كانت أول كلمة في الرسالة الخالدة (اقرأ) أدركها غير المسلمين وتناساها وأغفلها المسلمون في يوم من الأيام فكانت بداية النهاية للحقبة الماضية من عمر الحضارة الإسلامية. ماذا ولماذا وأين ومتى وكيف؟

أسئلة وأهداف

سكب مداد غزير عن فن القراءة من جهة طرح خمسة أسئلة: ماذا نقرأ، لماذا نقرأ، أين نقرأ، متى نقرأ، وكيف نقرأ؟

بداهة ينبغي على المرء قراءة كل ما يحبه ويستمتع به، وقراءة كل ما هو مفيد. وهنا يتعين علينا التحذير من الوقوع في فخ الرغبة في قراءة الكتاب كاملا، مستشهدين بمقولة أوسكار وايلد (إذا وجدت أنك لا تستمتع بقراءة الكتاب نفسه مرة بعد مرة، فأعلم أنه لا داعي لأن تقرأه على الاطلاق).

وهناك سبعة أهداف للقراءة هي: الرغبة في الاستمتاع، الحصول على الثقافة العامة، استكشاف الصورة العامة للكتاب، المراجعة حيث يقرأ القارئ كتابا ويعود إليه بعد فترة لتثبيت ما فيه من معرفة في الذاكرة، البحث عن المعلومات، القراءة بدافع تدقيق المكتوب ومراجعته وتصحيحه كما يفعل المصحح اللغوي، الرغبة في السيطرة واستيعاب المادة المقروءة والقدرة على تذكرها، والسعي لنقد محتوى الكتاب كما يفعل الناقد.

الأساس الحضاري

القراءة وحدها حسب الأستاذ محمود عباس العقاد (هي التي تعطي الإنسان الواحد أكثر من حياة واحدة). وارتفاع نسبة قراء الكلمة المطبوعة، حسب المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي (هو الأساس الحضاري لتصنيف البلدان في العالم إلى دول متخلفة أو نامية أو متقدمة). وفيما يتصل بتاريخ القراءة، سجل البرتو مانجويل في كتابه (تاريخ القراءة)، تجربته في القراءة من جهة أنها (مفتاح فهم العالم). ويتذكر مانجويل جيدا الكلمة الأولى التي قرأها، ويتحدث عن شغفه الكبير بالقراءة منذ نعومة أظفاره. لكن أهمية كتاب مانجويل أنه يعيد للكتاب تألقه وللقارئ وجوده بعد أن أدرك قرّاء اليوم أنهم معرضون للفناء أمام الزحف التقني لأساليب الثقافة المعاصرة، وأمام ثورة المعلوماتية الحديثة. ويعرض تاريخ القراءة بأسلوب فلسفي وبإحساس مشبع بالعاطفة، وكأنه يروي حكاية الحب العظيم بين الإنسان والكتب، وساعده في ذلك مقدراته الهائلة على التصوير، المقترنة بمقدرات وكفاءات المثقف العالم ليفتح الكتاب بذلك الأبواب من أجل الدخول إلى عالم محفوف بالأسرار كي لا يترك القارئ لحظة واحدة وحيدا على الرغم من كثرة المعلومات والاقتباسات والملاحظات القيمة التي يتحف القارئ بها. لقد تبنى تعطش القراء إلى الكتب وحوّل هذا الموضوع بنجاح ماهر إلى كتاب رائع. وجولة على محتويات الكتاب يجد القراء بأنه حفل بموضوعات طريفة وقيمة تدور في مجملها حول القراءة والكتب حيث نقرأ.

النهضة الحضارية

يقتضي الإنصاف، القول إن التعرض لأهمية الكتاب ودوره في النهضة الحضارية نال حظه في الكثير من المناهج التعليمية والوسائل الإعلامية، إلا أن التعريف بالآليات الفنية في التعامل معه وطرق قراءاته وتقييمه يغيب عن حياتنا في ندرة متناهية.

إن هذه الآليات هي ما يحاول (حوار الأطراف المعنية في السودان) بسطه بعد استخلاصها من أفكار المؤلفين وكتاباتهم في مسالكهم مع الكتب.

غير أن واقع الحال يفيد أن هناك كتب نقع في غرامها من النظرة الأولى حتى قبل أن نلتقيها بمجرد قراءة خبر ما عن أجوائها، وكتب أخرى نعشق مفرداتها ونحفظها عن ظهر قلب ونبدأ في تدوينها في الصفحة الأخيرة من الكتب التي نلتقيها بعدها.

وعندما انتهيت من قراءة مئات الكتب السودانية، خطر في ذهني أن انتقل من تأملات قارئ شغوف في عالم من القراءة، إلى بناء قاعدة لحوار يجمع الأطراف المعنية في بلادنا، عشما في أن تبدد هذه القاعدة العوالم المتراكمة والمعقدة من الماضي، انعكاسا للفوضى السوداوية التي يحياها عالمنا الحاضر.

وتأسيسا على أن القراءة عبارة عن محادثة، القراءة فعل مريح، منعزل، هادئ وحسي. وربما لهذا السبب خطر لي أن أعيد قراءة عدة كتب هي هجين من المذكرات الشخصية والكتاب الرصين والدراسات المبتكرة والكتب العادية، في (حوار) يشتمل على ملاحظات وتأملات وأدب رحلات وصور وصفية لأصدقاء ولأحداث عامة وشخصية مستلهمة كلها من قراءاتي. ثم وضعت قائمة بالكتب التي سأختارها. بدا لي من المهم ومن أجل التوازن أن يكون هناك قليل من التنوع من كل شئ وبما أنني قارئ انتقائي فإن هذا الأمر لم يكن صعبا. إذ لا وعي بلا قراءة، ولن تنفع القراءة بلا منهجية تستطيع تأمين جني الثمار وتجاوز القراءة كوسيلة لقتل الوقت أو المتعة إلى استثمار القراءة كأداة قابلة للتفعيل والاستثمار في حياتنا اليومية وأيضا في مختلف المجالات.

الكتابة السودانية

واقع التجربة ربما يشير إلى أن الكتابة السودانية لا تتميز بالكشف الدقيق لحالات الإنسان، وهو يبني تصوراته وأحلامه وأوهامه. وشغل هذا الواقع ذهن الأستاذ محمد أحمد محجوب وعبر عنه بجملة مباشرة (لا تزال هذه البلاد في حاجة إلى كتاب ثائرين يجمعون بين قوة الفكرة واتساقها وجمال الأسلوب ويخرجون من الكتب ما يحمل طابع هذه البلاد).

ومنذ أكثر من ربع قرن من الزمان ظللت أتابع ما سميته بالكتابة السودانية، و أقصد بها الكتب التي كتبها سودانيون عن قضايا سودانية. وظللت أبحث فيها عن الوفاء لقضايا السودان الذي طبعها بطابعه.

وكنت أتساءل بعد كل كتاب انتهي من قراءته: من أين وكيف تأتي أفكاره ومن أي بحر تتموج أحداثها؟ وأعني بذلك طبعا المؤلفات الغرائبية المحشوة بالمعلومات التي تشعر بكاتبها، وكأنه جاء من نجم بعيد عن الأرض.

وأصبح الراجح عندي أن المعرفة التي تتولد عن القراءة قد تكون بطاقة حجز للنجاح، والكتب هي خزائن تجارب لمفكرين وحكماء أبلوا في الحياة ونقلوا تجاربهم لنا لنستفيد منها في حياتنا وسلوكنا.

وهكذا تتحدث الكتب التي يضمها حوار الأطراف المعنية عن أشياء كثيرة دفعة واحدة، فتصاب بالدوران خاصة إذا كنت تفترش ما يقال بعد القراءة. وتحاول أن تتغطى بالذي يرسخ فيك، وهنا أذكر قصة لطالب علم كان يترك حلقة الدرس في منتصفها كل مرة فسأله المعلم: ولكن لماذا؟ قال الطالب: يا معلمي إني في كل مرة آخذ الذي يكفيني وأخاف إذ أنا حصلت من علمك الوافر على أشياء عدة ينسيني بعضها البعض، فأنا أخرج كل مرة من حلقتك بشيء واحد عالق عليّ أن أرتبه في سكينتي خير من أن تتلقفني دهشة الزحم.

منهج جيد

قد يكون هذا منهج جيد، غير أن ترتيب المعارف في السكينة هو الفكرة الأهم، ولا أعرف لماذا تشعر حالما تنهي كتاب الدكتور منصور خالد القيم (الثلاثية الماجدية) بضرورة إشعال شمعة وترتيب المعارف التي قدمها لك وسط سكينة شمعة، ربما ينتقل لك أهميتها وربما أكثر من هذا حيث تحاول مراقبة أو بالأحرى تحسس شعلتك الداخلية فالإنسان قد يكون شعلة ناطقة هكذا.

> المعرفة التي تتولد عن القراءة قد تكون بطاقة حجز للنجاح والكتب هي خزائن تجارب لمفكرين وحكماء

وفي حوار الأطراف المعنية هذا يأتيك الدكتور حسن الترابي بزخم مرتب، فإضافة إلى منهجيته المميزة في رصد الأشياء ها هو في كتابه المذهل (المصطلحات السياسية في الإسلام) يدعوك إلى مخبره لتشهد عملية تشريح بالغة الدقة بل وخطيرة جدا وخيال خصب، لمعاني الكلمات والأشياء، بصورة لا تدري معها هل هو غوص شاعري أم إسقاط آخر أوسع؟ إن هذا من شأنه التبيين أن الخيال يكون شعلة نفسية يقدمها الدكتور حسن الترابي المفكر تضئ الطريق لضبط المعنى والمدلول للفظ في حياتنا، خاصة حين يضبط الموضوع بحديث رجل القانون الضليع بتأكيد أن (اللغة التي تعبر عن الحياة السياسية في بيئة ما إنما تتطور اتساعا في التصريف ورسوخا في المعاني مع تطور تلك الحياة والثقافة نموا واستقرارا أو بؤسا واضطرابا).

وكتب أخرى بجانب سريري تقرأ نفسها لي بصوت عال أثناء نومي. وقبل أن أطفئ الضوء أتصفح واحدا منها، أقرأ مقطعا أو مقطعين، أضعه جانبا ثم أتناول كتابا آخر بعد عدة أيام يكون لدي انطباع بأني أعرفها كلها.

ومن يقرأ سطور كتاب الأستاذ بدر الدين سليمان (بدائل جديدة للنمو ـ نتائج النمو الأخلاقية)، سيدرك من السطر الأول أن المؤلف يقدم إنجازا مهما يتميز بالجدة خصوصا في ربط السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

ويضيف هذا الكتاب للمكتبة السودانية جهدا فكريا مهما في تحليل العلاقة المتشابكة المعقدة بين السياسة والاقتصاد والمجتمع، وما يسفر عنها من تعقيدات وخصومات وآحن.

أطلال الوقائع

أما جديد أستاذ الأجيال البروفسير يوسف فضل حسن، فيقتضي إيراد سيرته الباهرة وغوصه الجديد في مخطوطة (كاتب الشونة)، استنادا على سيرته فقد استعرضنا كتابا مهما بعنوان (ملامح من العلاقات الثقافية بين المغرب والسودان منذ القرن الخامس عشر وحتى القرن التاسع عشر) رصد فيه تأثر السودانيين بالإنتاج العلمي المغاربي في جانبيه الفقهي والصوفي.

ويعتبر هذا الكتاب فتحا في سيرة صناعة ثقافة التسامح، وعكس الظروف السياسية والثقافية والاجتماعية التي نشأ فيها هؤلاء الأسلاف في البلدين الشقيقين. وبين قدرتهم الفائقة على العيش في تلك الظروف دون المساومة أو التنازل عن قيمهم الأساسية.

وبهدوء شديد مصحوب بتواضع العلماء الراسخين في المعرفة، أعد البروفسير عبد الملك محمد عبد الرحمن، أستاذ الفيزياء النظرية والمدير الأسبق لجامعة الخرطوم كتابا متميزا بعنوان (جامعة الخرطوم ـ الحاضر والمستقبل). يحتوي الكتاب على أفكار وأحلام تؤكد أن جامعة الخرطوم تكتسب أهمية كبرى، كونها مركز إشعاع حضاري وسط المجتمع. فرسالتها رسالة وطنية وإنسانية وحضارية شاملة.

ولا تحتوي بقية الكتب المستعرضة في حوار الأطراف المعنية، على عملية إعادة قراءة فقط، بل هو حديث عن قائمة متضمنة شيئا من الوقوف بين أطلال الوقائع والإفادات والأحداث، وكذلك الحنين للذكريات والأماكن والأصدقاء والصور والكلمات وكأنه يقتفي أثر كل ذكرى من خلال هذه الوقائع وكما يقول بإمكاني كتابة نوع من السيرة الذاتية الوطنية وفقا للأشياء التي منحت لي من هذه الكتب

نقلا عن موقع المحقق

VOICE of sudanese community

السبت ٢٦ أبريل ٢٠٢٥م - ٢٨ شوال ١٤٤٦ هـ
SATURDAY 26 APRIL 2025 - ISSUE No. 31

بين تقارير سرية وتحذيرات دينية.. هل نتعلم من التاريخ دروساً أم نكرر أخطاء إبليس؟

النرجسية: من أسطورة يونانية إلى وباء عصري يدمر المؤسسات

د. عبدالرحمن بابكر علي

مفهوم النرجسية

● النرجسية ترجع إلى قصة أسطورية يونانية وإغريقية قديمة، والتي مفادها

أنه كان هناك شاب جميل وسيم ابن أحد الآلهة اسمه نرسيس، ويعني باللغة العربية (نرجس). كان هذا الشاب جميل الوجه، أنيقاً يتصف بمظهره الجميل الذي يلفت انتباه جميع فتيات البلاد في ذاك الزمن.

ولكنه لا يأبه لذلك، ولم يهتم لحب الآخرين له، بل كان مغرماً بنفسه كثيراً، يحب وجهه الفاتن، وخاصة عندما نظر إلى نفسه في ماء البحيرة وعشق انعكاس صورته، لدرجة أنه كان يحدق في الماء في كل لحظة، حتى إنه مات وهو ينظر إلى انعكاس صورته.

وفي المكان الذي مات فيه نبتت زهرة جميلة تحدِّق بوجهها في ماء البحيرة، وسميت هذه الزهرة (زهرة النرجس).

كما أن زهرة النرجس من الزهور الشعبية المحببة، وهي من زهور الفأل الحسن، وترمز إلى الجمال والنماء عند بعض الناس.

النرجسية

هي اهتمام استثنائي بالذات، أو الإعجاب بها.

وهي الاهتمام المفرط أو المثير لتقدير الذات، أي الإفراط في حب الذات.

النرجسية: هي مرض خطير، نتيجة لتركيب سلوكي ونفسي معقد؛ وفق تأكيد علماء النفس والسلوك.

النرجسية: حب النفس والأنانية، وهذا الحب المتفرد، هو اضطراب في الشخصية؛ حيث تتميز بالغرور والتعالي والشعور بالأهمية والكسب على حساب الآخرين، والغيرة من الآخرين والعجرفة عليهم، وفرط الحساسية تجاه آرائهم وعدم تقبلها، بالإضافة إلى السخرية منها.

أما النرجسية كحالة سلوكية ونفسية قد انتشرت في القرن التاسع عشر، بسبب الاضطرابات السلوكية والاجتماعية والاقتصادية التي تعرضت لها المجتمعات المدنية في العالم.

وصارت أكثر وضوحاً في المؤسسات والشركات وفي الحياة اليومية.

الأسباب التي تؤدي إلى الشخصية النرجسية

أولاً: البيئة

وتعني العلاقات العائلية والأسرية والعلاقات بين الآباء والأبناء، التي تتسم إما بفرط التدليل. وإما بفرط النقد. بما لا يتناسب مع تجارب الأبناء وإنجازاتهم الفعلية.

ثانياً: الوراثيات

وهي الخصائص الوراثية والجينات، مثل السمات الشخصية والشعور والميول والعواطف.

ثالثاً: فترة الطفولة

وهي من الفترات المهمة في تاريخ الإنسان. فالشخصية النرجسية تكون نتاج فترة طفولة معقدة مؤلمة، مع تقويض الشعور الحقيقي لتقدير الذات والتعلم.

والإنسان النرجسي يكون قد تعرّض لصدمات وهزات نفسية في طفولته، أو تعرّض للحرمان في إشباع رغباته بسبب حالة فقر أسرته، أو عدم استقرارها مادياً أو عاطفياً، أو بسبب انفصال والديه عن بعضهما البعض، وانعكس هذا على تكوينه النفسي والعاطفي، وأدى إلى السلبية في سلوكه، مع إحساسه بالدونية وعدم الثقة بالنفس.

القائد أو المدير النرجسي

هو شخص توقف تطوره النفسي عند مرحلة الطفولة. ولم تحترم مشاعره، ولم يجد الدعم العاطفي المناسب، مما سبب له خيبات الأمل، والخيبات التي تعرّض لها تسببت في اضطراب شخصيته، التي تتميز بنمط العظمة و لحاجة الماسة للإعجاب، والتعالي الملازم لحياته.

رابعاً: البيولوجيا العصبية

هي الرابط بين الدماغ والسلوك والتفكير.

أهمّ النرجسيين في العالم

أصاب مرض النرجسية الكثير من المخلوقات ومن البشر، منهم:

أولاً: إبليس

هو أول نرجسي في الكون، وقد رفض السجود لآدم،

عندما أمر الله جل في عليائه الملائكة أن يسجدوا لآدم. فسجد الملائكة كلهم إلا إبليس رفض السجود، قائلاً: (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين).

فهذا الرفض يعكس نرجسية إبليس.

ثانياً: قابيل

وهو من أبناء سيدنا آدم - عليه السلام- وكان يتصف بالغرور وحب النفس.

إذ تقرب هو وأخوه هابيل بقربان إلى الله سبحانه وتعالى.

(هابيل كان طيب النفس).

إذ كان قابيل يعمل بالزراعة، وهابيل يعمل برعي الأغنام،

وتقبل الله قربان هابيل ولم يتقبل قربان قابيل.

قال الله تعالى:

(واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ،

قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين) سورة المائدة.

ثالثا: النمرود بن كنعان

وهو من الشخصيات النرجسية المتعرجفة المغرورة. وقد دخل في جدال مع سيدنا إبراهيم الخليل - عليه السلام-

قال الله تعالى:

(ألم تر إلى الذي حاجّ إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت، قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين).

ويعدُّ النمرود من الشخصيات النرجسية صاحبة الأنفة والتعالي.

رابعاً: فرعون

من الشخصيات النرجسية التي ادّعت الربوبية،

وقال أنا ربكم الأعلى، وهذه الأنهار تجري من تحتي.

وكان لا يسمح بصوت يعلو فوق صوته. هو كل شيء وهو الكل في الكل.

خامساً: قارون

قارون كان من قوم موسى، وعاش زمن فرعون، وحباه الله بالمال الوفير.

فتغطرس وتجبّر على الناس. وكان يحسّ بالزهو والغرور في كل أحواله. قال الله تعالى: (إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم، وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين)

الآية ٧٦ القصص.

وقال الله تعالى:

(قال إنما أوتيته على علم عندي) سورة القصص.

النرجسية والعائلة

(أ) النرجسي مع والديه وأخواته

يفتعل النرجسي صراعات مع والديه وإخوانه وأخواته، بسبب انعدام شعوره بالتعاطف أو الحب تجاه الآخرين.

وسلوكيات الشخص النرجسي تسبب مشاعر مختلطة لدى أفراد العائلة، ولا يستطيعون فهم دوافعها بسبب سلوك النرجسي في خلق بيئة عائلية مرهقة مليئة بالتوترات، مشحونة بالصراعات اليومية.

(ب) النرجسي مع زوجته وأبنائه

الزوج النرجسي يفرض سيطرته على زوجته، ويجعلها تشعر بعدم الاطمئنان والإحباط و والسيطرة عليها عاطفياً وفق مزاجه المتقلب.

ويستخدم النرجسي ويكرر التهديدات والوعيد مع زوجته، بهدف التحكم في رغباتها وطلباتها.

أما الأب النرجسي،

فيسيطر على عائلته، ويقدم احتياجاته ورغباته على احتياجات أبنائه. ويطالبهم بالاحترام والإعجاب المطلق، ويستخدم عددا من الأساليب للتحكم الكامل فيهم وفي رغباتهم و ميولهم.

الأب النرجسي يتوقع من أبنائه التفوق، ويحفزهم على تحقيق إنجازات ونجاحات ترفع من شأنه في المجتمع، واستغلال هذه النجاحات في التباهي أمام الآخرين، وينسب هذه النجاحات لجهده واهتمامه بهم

القيادة أو الإدارة النرجسية

هي نمط قيادي أو إداري أساسه اهتمام القائد بنفسه، ويكون ذلك بالضرورة على حساب المرؤوسين.

يمارس القائد النرجسي نشاطه الإداري والقيادي بتعال وفوقية، ولا يتردد بالعناد والاهتمام بالذات والتمصلح من الوظيفة.

وتتصف إدارة القائد النرجسي بصفات الغطرسة المتعنتة، والاهتمام بالذات ومصلحته الشخصية والأنانية للحصول على النفوذ والإعجاب، مما يسبب اختلال الإدارة، نتيجة الإهمال، وتأخير العمل، والروتين الممل، واللا مبالاة، والتغطرس.

وأكدت الدراسات الحديثة أن النرجسية هي سبب في انهيار كثير من الشركات والمنظمات والمؤسسات.

النرجسية مرض نفسي ملازم للشخص

إن المدير أو القائد النرجسي شخصيته مختلفة عن بقية الأشخاص. وهو شخص غير اعتيادي، ويفتقد الشعور بالأشياء والمواقف، وذلك لأن طريقة حزنه وفرحه تختلف عن بقية البشر.

كما أن الإساءة للآخرين جزء لا يتجزأ من العلاقة مع الشخص النرجسي، وقد يجد نفسه في: إهانة الآخرين وإذلالهم.

المدير النرجسي لا يعرف ردّ الجميل ولا المعروف.

ويسعى بكل وسعه لتجاهل الشخص الذي قدّم له معروفاً وتدميره.

المدير النرجسي لا حياة عاطفية خاصة به، وليس لديه هوية منفصلة، ويسعى إلى سرقة هوية الأشخاص الآخرين. ويتصف بالغيرة والحسد لكل من يتفوق عليه، أو يكون ناجحاً، أو صاحب سمعة طيبة، أو خبرة عالية.

وهو لا يحب أن يرى الآخرين سعداء، حتى لو كانوا يعملون معه، ويسعى إلى تعاستهم.

النرجسيون لا يصلحون أن يكونوا قادة، هم مغامرون بامتهان العمل الإداري الذي يضمن نجاحاً باهراً.

النرجسية تتسبب في انهيار المؤسسات وزوالها، لأن نمط السلوك هو الاستبداد والأنانية المفرطة.

يعاني المرؤوسون من الضيق والحيرة والضياع، وعدم الراحة والاطمئنان في ظل القيادة النرجسية.

القائد النرجسي لا يؤمن بتأهيل مرؤوسيه ورفعتهم ليكونوا قادة في المستقبل، ويكره المنافسة وأصحاب الرأي السديد والشخصيات القوية. يريد مرؤوسين أصحاب شخصيات ضعيفة تعرف (نعم) للقائد في كل أحواله.

وأتباع القائد النرجسي صنفان لا ثالث لهما

إما تابع منافق

وإما مفارق.

وأتباع القائد النرجسي يجيدون النفاق في أعلى صوره.

القائد النرجسي لا عهد له ولا وعد. كما يتوجب على تابعيه أخذ الحيطة والحذر من تقلّب مزاجه، ولا يتعلقون بالنتائج لأنه لا أمان له.

القائد أو المدير النرجسي يسقط فشله وفشل سياساته على مرؤوسيه. وينسب النجاح لنفسه، ويسرق جهد مرؤوسيه ونجاحهم.

ويحرص على زيادة مرتبه ومخصصاته أضعافاً مضاعفة،

ولا يحفز مرؤوسيه ولا يزيد مرتباتهم أو مخصصاتهم،

ويستأثر بالحوافز والتدريب الداخلي والخارجي لنفسه،

ويحرص كل الحرص أن يكون لبسه أفضل من لبس غيره، وسيارته أفخم سيارة، وتلفوناته تكون أحسن التلفونات.

ويغضب ويثور لو وجد أحد مرؤوسيه يفوقه في اللبس أو السيارة أو التلفون أو المكتب، أو إذا كان يقاطعه أثناء حديثه، أو يدلي برأي أفضل من رأيه؛

وكل ذلك نتيجة لمرض النرجسية المصاب به، الذي يؤدي إلى الحسد والغيرة الضارة.

النرجسية والإسلام

يدعو الإسلام إلى مكارم الأخلاق، ويحث على الفضيلة، ويبث المحبة والحرية بين الناس.

يشجع الإسلام العمل والكسب الحلال، ويشجع النجاح والإبداع في إطار الشرع الإسلامي الحنيف.

ويعطي الإسلام كل ذي حق حقه،

وكل إنجاز ينسب إلى صاحبه.

ويشجع الإسلام العمل الجماعي، والتفاني في العمل والاخلاص.

بمبدأ (من أخذ الأجر حاسبه الله بالعمل).

ويدعو الإسلام إلى حب الخير للناس،

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه).

النرجسية هي حب النفس، والاهتمام المفرط بحقوق النفس، والأنانية والعجرفة، وحب العظمة والظهور،

وسرقة جهد الآخرين ونجاحهم وانتسابه لها، وإسقاط الفشل على الآخرين.

والاستئثار بالحوافز و المخصصات وحرمان الآخرين من التابعين والمرؤوسين،

والمدح والثناء والإطراء....

والنفاق أمام الرؤساء.

والتعالي على التابعين والمرؤوسين. والحديث عن الأنا والنفس بدون إنجاز وعمل.

والنرجسية تمثل النفاق في أدق صوره.

فالقائد أو المدير النرجسي إذا حدث كذب؛ وإذا وعد أخلف؛ وإذا اؤتمن خان؛ وإذا خاصم فجر.

أثر النرجسية على القيادة

القيادة شيء إيجابي ومهم بالنسبة لأي مجتمع أو تنظيم إداري، أو مؤسسة معينة، في حين أن النرجسية تمثل المرض النفسي السرطاني للقيادة.

لذا يجب ألا تجتمع النرجسية مع القيادة في مركب واحد.

عندما يكون القائد نرجسياً هذا يعني اختلالاً حتمياً في القرارات الإدارية والقيادية المختلفة.

القائد النرجسي غير مرغوب في قيادة الشركات والمؤسسات والمنظمات والدول؛ لأنه لا يحقق نجاحات في جميع المجالات.

الشخصية النرجسية تحطم الرضا الوظيفي للعاملين في المؤسسة أو في أي كيان إداري آخر .

القائد النرجسي لا يعجبه الموظف المتفوق والمبدع، لأنه يخطف منه أضواء العظمة. ويعمل جاهداً لتحطيمه وتأخره.

في ظل النرجسية يتحول سلوك القائد إلى سلوك عدائي دكتاتوري، ويظهر ذلك جلياً في الأنظمة السياسية المستبدة، ويعمل على تحويل كادره الأول إلى أدوات داعمة للنرجسية ومنفذة لأهدافها.

ويحدث هذا السلوك نفسه في المؤسسات والشركات، ويتحول الكادر الملازم للمدير إلى أبواق تردد ما يريده، وداعمين ومتملقين لشخصه. وهذا ما يزيد من شعوره بالغرور والعظمة، ويدفعه إلى الاستمرار في إدارته الدكتاتورية المتسلطة، حيث تكون قراراته ارتجالية غير مدروسة، ومحطمة لقدرات الموظفين الممتازين المرموقين، ويقرب المؤيد له والمتزلف؛ وهذا بدوره يؤدي إلى تقاعس المؤسسة وانهيارها في المستقبل القريب.

النرجسية وحرب الكرامة

عندما تمرّدت قوات الدعم السريع على الدولة، اشتعل فتيل الحرب في البلاد، وتوقفت معظم مؤسسات الدولة وشركاتها سواء كانت في قطاع عام أو قطاع خاص.

وبعد هذا التوقف ظهرت كثير من الأنماط القيادية والإدارية جلية واضحة.

ظهرت الأنماط القيادية الإنسانية.

كما ظهرت الأنماط النرجسية في كثير من قيادات مؤسسات الدولة العامة والخاصة، بصورتها الأنانية المتسلطة.

كثير من مديري عموم الوزارات والمؤسسات أصدروا المنشورات بخفض المرتبات إلى نسب متدنية، متعللين بظروف الحرب وعدم الإنتاج، وغضوا الطرف عن الجانب الإنساني، وطبقوا اللوائح ومواد القوانين المجحفة في حق العاملين، وتركوا الجانب المشرق في القوانين؛ وهو روح القانون لا مواده.

خفضت معظم قيادات المؤسسات المرتبات بنسب متفاوتة منهم ٥٠٪، ومنهم ٢٥٪، ومنهم من حرم العاملين من المرتبات وجعلهم يقفون في صفوف التكايا يطلبون الإحسان من أهل الخير لسد رمق أطفالهم وذويهم،

في حين تجد المدير العام في المؤسسة والمقربين منه يأخذون مرتباتهم كاملة بالإضافة للمخصصات، والرحلات خارج البلاد بقصد النزهة والترويح.

وهناك مؤسسة مالية فصلت معظم العاملين بها، والمدير العام وكابينة القيادة أخذوا المرتبات والمخصصات بالكامل وبالدولار الأمريكي.

وكذلك هناك من مديري عموم المؤسسات من يسافر خارج السودان كل شهر أو شهرين، ليلحق بزوجته وأبنائه الذين سافروا إلى دول العالم المختلفة بتذاكر خصماً على المؤسسة التي حُرِمَ كثير من العاملين فيها من مرتباتهم ومخصصاتهم؛

هذه هي النرجسية في أقبح صورها.

حماية المؤسسات والشركات من القيادات النرجسية

بما أن النرجسية هي سرطان المؤسسات وعدو النجاح والإبداع وتطوير الفكر، فإن ذلك يحتّم على المؤسسات أن تحمي نفسها من القيادات النرجسية.

وهناك عدة أساليب تحدّ من وصول مثل هذه الشخصيات المريضة إلى قمة الهرم الإداري، وذلك

بإعداد التقارير السلوكية من الجهات الرقابية المستقلة داخل المؤسسة وخارجها للموظف منذ تعيينه في المؤسسة، بجمع المعلومات الخاصة بسلوكه الشخصي والملاحظات اليومية، والاحتفاظ بها بملف سري.

تقوم الجهة الرقابية بتحليل المعلومات والتصرفات السلوكية للموظف بصورة دورية نصف شهرية، وبطول المدة تكون للجهة الرقابية معلومات وافرة عن كل موظف؛ وبعد التحليل الدقيق والمستمر يظهر جلياً سلوك الموظف.

إذا كان سلوكاً معتدلاً، فهذا يصلح لقيادة المؤسسة.

أما إذا أظهر التحليل أن هذا السلوك نرجسياً، فيبعد من قيادة المؤسسة؛ وبهذه الطريقة والتحليل الدقيق تتم حماية المؤسسة من تربع الشخصيات النرجسية على قمة هرمها الإداري.

الفرق بين الشخصية النرجسية والشخصية السيكوباتية

الشخصية النرجسية تحب ذاتها ونفسها، وتحب العظمة والإطراء، وتتسلق إلى أهدافها بأي من الوسائل على حساب الآخرين.

بعد وصول الشخصية النرجسية إلى أهدافها، تنكر جميل من أوصلوها إلى هذه المرتبة العليا، بل وتعمل على تجاهلهم وتحطيمهَم، ولا تعرف رد الجميل ولا المعروف، وليس لها صداقات دائمة بل مصالح آنية.

الشخصية السيكوباتية هي شخصية أنانية، تبالغ في حب ذاتها وتعظيمها،

وتسعى إلى مصالحها عبر كل الوسائل، حتى لو لم تكن أخلاقية. الشخصية السيكوباتية لا يهمها الإطراء أو الظهور، همها الأول والأخير مصلحتها حتى لو كانت على الأشلاء. تنعدم العاطفة عند الشخصية السيكوباتية، ولا تندم على إيذاء الآخرين، ولا تتعاطف مع ضحاياها. تتلذذ بمعاناة الآخرين، ونفسها أمَّارة بالسوء، تتجدد فيها رغبة استغلال الآخرين وإذلالهم.

VOICE of sudanese community

السبت ٢٦ أبريل ٢٠٢٥م - ٢٨ شوال ١٤٤٦ هـ
SATURDAY 26 APRIL 2025 - ISSUE No. 31

رد فعل

رحلة إلى أرض الموت والدمار (٢)

عماد أبوشامة *

● الدكتور عبدالعظيم عبدالله أحد أصدقائي بالفيس بوك أرسل لي رسالة بعد نشر الحلقة الأولى، يقول فيها (تمنيت لو كان عنوان المقال: رحلة إلى أرض الصمود والكرامة بدلاً من رحلة إلى أرض الموت والدمار. لأن المقام مقام انتصار ، أما الحديث عن الدمار والقتل فيأتي لاحقا). وقد تبنى الدكتور عبدالعظيم موقفاً عاطفياً وربما وطنياً أقدره وأقف إلى جانبه، فالصمود الذي أظهرته عاصمة البلاد أمام أكبرَ وأعنف وأغرب غزو يشهده تاريخ الحروب على الإطلاق، لم يحدث خبط عشواء، وإنما كان نتاج عزيمة شعب فريد، تمثل وتجسّد في رجالات القوات المسلحة والقوات المساندة لها بكل أطيافها واتجاهاتها.. ليت مدونو التاريخ لا يمرون عند هذه اللحظة مروراً سريعاً، فهو بخلاف موقعة كرري بكل بشاعة ما حدث فيها، ولا شيكان بكل زخمها، ولا حتى تحرير الخرطوم ومقتل غردون باشا وبداية عهد المهدية وتاريخها المزوّر.. لا أدري كيف يصنف التاريخ ويضع في أي خانة احتلال الخرطوم وخنقها بتلك الطريقة من مليشيا قبلية جبارة، حتى كاد سكانها أن يفقدوا الأمل في استعادتها وعودة الأمان والاستقرار إليها مرة أخرى.

التجوال في أرض ومدن وشوارع كان يتجول فيها ياجوج ومأجوج وبقّال والجوفاني وعمر جبريل وودملاح وكل أبواق إعلام المليشيا الزائفة، وقاداتهم الوهمية، قواتهم الهمجية يمارسون غرورهم وصلفهم في وجه الشعب السوداني المشرد في كل بقاع الأرض مع كل صباح ومساء، يبثون تحديهم الأجوف بأن هذه الأرض أصبحت لهم، وأنهم لن يتزحزحوا عنها قيد أنملة.. كنت أقول إن التجوال فيها يزيد من نشوة النصر التي عمّت القلوب يوم أن اجتاح الجيش السوداني العاصمة في وضح النهار، وحررها شبراً شبراً بقوة واقتدار.. وإن بقيت منها بضعة أمتار في غرب أمدرمان تمثل نقص القادرين على التمام، نتمنى أن لا يتأخر إكماله، لأن أعيننا هناك في دارفور الجرح الغائر، الذي يستوجب علاجه ونضافته بعناية فائقة، لا يتجدد بعده نزفه على مر الحقب القادمة بإذن الله.

إذا عدت بكم إلى وصف الأجواء في الخرطوم بعد تحريرها، ونحن نتجول في أجزاء واسعة منها، رغم أن التجوال كان سريعاً، ولكن مشاهد الدمار والخراب كانت مؤلمة، فهؤلاء الأوباش لم يتركوا مكاناً دخلوه دون أن يضعوا عليه بصمة غلهم وحقدهم، إمعاناً في احساسهم الداخلي أن هذه الأرض لن تكون لهم في يوم من الأيام.. على مدى عامين توسعت مساحة ممارستهم الغبية في كل حي من أحياء مدينتي الخرطوم والخرطوم بحري وجزء من أحياء أمدرمان.. المكان الذي لم يسرقوه أو عجزوا عن نقل محتوياته دمروه بلا رحمة.. ولكن لاحظت أن الحي الذي كان يكثر وجودهم فيه ويسكنونه بأسرهم- مثل حي المعمورةمثلاً - أقل نصيباً في الدمار والخراب، بعض المنازل لم يطلها ذلك، ربما غادروها على عجل يوم أن هربوا فزعين والجيش يضيّق عليهم الخناق في العاصمة.. دخلنا مدرسة خاصة هناك (في المعمورة)، كانت يهم أمرها مرافقي المهندس معاوية يس، غفيرها لم يغادرها لحظة ومعه أسرته.. وهذه المدرسة لم تنقص منها طبشيرة واحدة، رغم أن جدرانها مرصعة بمكيفات الفريون والاسبلت الغالي ثمنها، وأشياء كثيرة قيمة تكتظ بها حجراتها، حتى إن آخر درس للطلاب قبل نشوب الحرب كان لا يزال على السبورة بتاريخه ١٣ أبريل.. عزا معاوية ذلك إلى أمانة غفيرها، ولا أدري هل كانت تجدي الأمانة شيئاً أمام جبروت جنود المليشيا الذين لا يرحمون متى ما رغبوا في أخذ شيء وسرقته.. وربما في الأمر سر آخر لم نتوقف كثيراً لبحثه، والوقت ليس مناسباً ولا يسعف.

مؤكد أن السيارات التي سرقت وعبرت إلى دارفور ومنها إلى خارج البلاد، بلغت عشرات الآلاف، ولكن أرتال السيارات المحروقة المنهوبة في شوارع الخرطوم لا يتصورها بشر.. تجدها مكومة بطريقة تبدو غريبة.. هذه غير المتناثرة على جوانب الطرق.. أكثر ما يحيرك لماذا تم حرق أغلبها بشكل كامل، مع أنها سيارات تبدو جديدة وحديثة الموديل.. أحد جنود الجيش قال لنا أغلب هذه السيارات تم إطلاق الرصاص داخل خزان وقودها لتشتعل وتحرق، ولم يستطع أن يفسر لنا سبب هذا السلوك الغريب غير الانتقام.. أعداد كبيرة أخرى نهبت تماماً وتركت كالهيكل العظمي الذي تحلل لحمه.. وقد فضّل ناهبوها اسبيراتها التي يمكن التصرف فيها بسرعة دون مسؤولية.. مسؤولية الدولة والشرطة أن تعرف أين تباع هذه الاسبيرات.

ما حدث للمباني ومساكن المواطنين ووصفه يحتاج إلى حلقة قائمة بذاتها.

نواصل.

* كاتب صحفي.

قلم تصحيح

الرسوم الفلكية للخدمات

محمد المهدي *

● والمواطن يعاني الأمرّين من ارتفاع تكاليف المعيشة، وفقدان الكثير من أصحاب الأعمال مواردهم، بعد ما رأيناه من نهب للممتلكات من البيوت والأسواق، وتدمير للمصانع والسيارات، وتوقف الدولة عن دفع الرواتب بانتظام، مع ضعفها، كل ذلك كان على حساب المواطن.

والناس في تلك الحال، كان المأمول من الحكومة أن تأخذ بزمام المبادرة، وهي ترى الحال وما وصلوا إليه، فتبتدع الحلول، لتخفف عنهم ما هم فيه من بلاء.

لكن يبدو أن هناك من يتولى أمر العباد وليس لديه ما يقدمه للناس سوى التعسّف في استخدام السلطات، وتحميلهم فوق طاقتهم. فنجد ذلك ماثلاً في الرسوم المفروضة على أهمّ مجالات، وهي الصحة والتعليم، وقبل ذلك الناحية الأمنية.

عندما بدأت الحرب وأخذت في التمدد من ولاية إلى أخرى، كان من الضرورة أن يحمل كل شخص إثبات شخصيته، خصوصاً مع تسلل عناصر من الجنجويد إلى مختلف المناطق والإقامة فيها بين السكان، إما انتظاراً لوصول قواتهم إلى تلك المنطقة، وإما هرباً من مناطق سيطر عليها الجيش.

لكن بدلاً من تسهيل إجراءات استخراج البطاقة القومية وتخفيض رسومها، وجعلها إلزامية، تم إيقاف إصدار البطاقة، والتركيز على جوازات السفر، مع مضاعفة الرسوم، وتفاوتها من ولاية إلى أخرى، بل من مركز إلى آخر داخل الولاية، فتراوحت الرسوم بين ١٢٧ ألف جنيه و١٥٠ ألفاً. مما اضطر كثيراً من الناس إلى صرف النظر عن حمل وثائق شخصية.

وفي مجال الصحة، ارتفعت كلفة العلاج، خصوصاً العمليات الجراحية، والفحوصات والتشخيص، فصار العلاج مثل الحج لمن استطاع إليه سبيلاً.

هل يتجول ولاة الأمر في المدن والأحياء، ليروا الناس وهم يأكلون من التكايا، ويسكنون في مراكز الإيواء؟

هل صلوا في مساجد تلك الأحياء، وشاهدوا بأعينهم وسمعوا بآذانهم الشيوخ والنساء والأطفال، الذين يناشدون المصلين، منهم من يطلب طعاماً لأسرته ولو كان خبزاً جافاً، ومنهم من يطلب ثمن شراء دواء، ومنهم من يطلب العون في دفع تكاليف عملية جراحية. فمن أين يأتي هؤلاء بالملايين؟

الضلع الثالث التعليم، إن ما يحدث في هذا المجال يدعو للإحباط، فالجامعات أصبحت رسومها مرهقة حتى للموسرين، فما بالك بأصحاب الدخل المحدود، كما اعتادت الجامعات على زيادة رسومها سنوياً، وفرض رسوم جديدة خارج الرسوم الدراسية (رسوم مركز، رسوم تدريب.... إلخ). كل ذلك في غياب تام أو في ظل صمت مخجل من وزارة التعليم العالي.

والأدهى من ذلك رسوم امتحان الشهادة السودانية، حيث فرضت وزارة التربية على الطالب ٥٠ ألف جنيه، ورسوم استخراج الشهادة ٢٥ ألف جنيه، وأضيفت رسوم متفاوتة من كل ولاية، فولاية الخرطوم فرضت ٤٠ ألف جنيه على الطالب. إضافة إلى ما فرضته المدارس أيضاً، بمعنى أن الرسوم تتجاوز المئة ألف جنيه.

المتعارف عليه أن الرسوم الحكومية ورسوم الخدمات في الدول، لها علاقة تناسب مع دخل المواطن، لكن الذي نود معرفته والإجابة عليه، الآتي:

أولاً: من المكلف بتحديد الرسوم آنفة الذكر؟

ثانياً: ما المعايير المتبعة في تحديد القيمة المالية للرسوم؟

ثالثاً: هل يعلم المكلفون بتحديد الرسوم شيئاً عن سلم رواتب العاملين بالدولة والقطاع الخاص، وكم يبلغ الحد الأدنى للأجور؟

لقد اطلعت على الهيكل الراتبي الذي يعمل به الآن، فمدخل الخدمة للدرجات العمالية وهو الحد الأدنى يبلغ ١٢ ألف جنيه، إضافة إلى بدل وجبة يبلغ ٧٢٠٠ جنيه. يعني ما زال هناك من يبلغ راتبه سعر كيلو من اللحمة.

عامل نفترض أن لديه ثلاثة أبناء سيجلسون لامتحانات الشهادة الابتدائية والمتوسطة والثانوية، يحتاج إلى قرابة ٢٠٠ ألف جنيه لسداد تلك الرسوم، راتب كم من الشهور يساوي هذا المبلغ؟

هل بلغكم أيها المسؤولون أن كثيراً من الطلاب لم يذهبوا إلى المدارس لضيق ذات اليد، ولكن أتت الحسرة من أن الذين درسوا من منازلهم عجز ذووهم عن سداد هذه المبالغ التي لا قبل لهم بتوفيرها.

ما أقسى انكسار أب وضعفه وشعوره بالعجز أمام ابنه، يكفي ما يعانيه أرباب الأسر في ظل هذه الظروف، فإن لم تستطيعوا أن تكون عوناً وسنداً لهم، فلا تكونوا اليد التي تغرس الخنجر في قلوبهم.

نداء إلى المسؤولين: كونوا مثل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– الذي خشي أن يسأله الله عن بغلة عثرت بأرض العراق لِمَاذا لم يمهد لها الطريق.

الملايين من البشر يعانون شظف العيش، ومأساة النزوح وفقدان الممتلكات، فهم أحق بالرأفة.

يقول الرسول– صلى الله عليه وسلم: اللهم مَن وَلِيَ من أمر أُمَّتي شيئًا فرفق بهم فارفق به، ومَن وَلِيَ من أمر أمَّتي شيئًا فشقَّ عليهم فاشقُقْ عليه.

* مستشار التحرير وكاتب صحفي.

تطواف

تَبْيِق ٢-٢

عمر حسن غلام الله *

● وسكتت زقزقة العصافير، وكف القمري عن الهديل بعد أن أوى إلى قمم النخيل، ولم يعد يأتيني ثغاء الشياه من زرائب البهائم الملحقة بالبيوت، وكفت السواقي عن الأنين، وأطبق صمت رهيب إلا من هدير أمواج النيل تلطم القيفة على مقربة مني.. وتلاحقت ضربات قلبي حتى صرت لا أسمع حتى صوت الأمواج، وكأن ضربات قلبي طبل إفريقي عظيم موضوع على كتفي يدقه فتى زنجي مفتول العضلات يتفجر حيوية ونشاط.

حمدت الله أنني حشيت ما يكفي من اللوبيا– أو هكذا خيل لي– ولملمتها وربطتها بالحبل على عجل وعيناي تدوران في محجريهما في كل اتجاه – إلا تجاه اللوبيا– ونهضت حاملاً الرزمة إلى رأسي وأسرعت لأغادر المكان على عجل.. إلا انه شدني من القش وأوقفني عن المسير.. تسمرت في مكاني.. ولم أجرؤ على الالتفات إليه، فصحت به متوسلاً:

– عليك الله يا (تبيق) تفكني، عليك يا الله يا (تبيق) تخليني

وتحركت إلى الأمام، إلا أن (تبيق) لم يخل سبيلي، فما زال ممسكا بحزمة القش التي فوق رأسي، وكلما تحركت جذبني إلى الخلف.

لا أدري كم من الوقت بقيت هكذا أترجى في هذا الـ (تبيق) واستحلفه بالله أن يعتقني ويتركني في حالي، وفجأة سمعته يرد عليّ:

– ود حمد.. انت جنيت؟

– لا يا (تبيق) أنا ما جنيت، أنا بس ماشي البيت، عليك الله خليني.

خرج صوتي من حلقي حشرجة، ثم جاءني الصوت مرة أخرى:

– يا ود حمد قول بسم الله، تبيق شنو أنا البشير!

– يا بتيق انت بقيت تشير، يا تبيق انت بقيت بشير، اقصد يا البشير انت بقيت تبيق؟

– لا حول ولا قوة إلا بالله، يا ..

ودخل في دائرة نظري فإذا هو البشير، طيب من الذي ما زال يمسك بي.

– عليك الله يا البشير خلي (تبيق) يفكني

– (تبيق) شنو يا مجنون

– (تبيق) الماسكني من القش

وفجأة نتق القش من رأسي، ولفتني بقوة إلى الخلف، فلم أجد شيئا غير قشي ملقى على الأرض.

– وينو (تبيق)؟

– يمكن خاف منك يا البشير ورمى قشي وجرى دخل البحر!

– يا عوير لا كان فيه (تبيق) ولا (ود امبعولو)، الكان ماسك قشك هو ده ..

وأمسك بفرع من اللوبيا من ضمن حزمة القش التي كانت على رأسي، وتابعها بيده حتى الأرض، فإذا هي ضاربة بجذورها في باطن الأرض، إذاً فالذي حدث هو أنني في عجلتي ربطت عرق لوبيا غير مقطوع مع حزمة اللوبيا المقطوعة، وعندما نهضت واضعا اللوبيا في رأسي كان هذا العرق يشد بقية الحزمة معه إلى الأرض.

خجلت من نفسي خجلاً شديداً، وطلبت من البشير إلا يفضحني في الحلة، والمهم في الأمر أن البشير أفهمني أن (تبيق) هذا مجرد أسطورة اختلقها أصحاب البساتين ليبعدوا عنها الصبية حتى لا يعبثوا بالفواكه.

* قاص وكاتب صحفي.

أفكار

سوداننا القادم.. عملاق تنهض روحه من أعماق التاريخ

حسن عبدالرضي الشيخ *

● في لحظة من الصدق، وأمام ضمير الوطن، لا بدَّ لنا أن نتوقف عن ترديد الأوهام، وأن نرجع البصر كرتين، ونعيد النظر في الواقع الذي نعيشه، وفي الآفاق التي يمكن أن نبلغها، متى ما صدق العزم وخلصت النيات.

نتحدث عن «الخرطوم» على أنها مدينة، بل وعاصمة، وهي في حقيقتها – وللأسف – لا تستحق حتى وصف «قرية». فأين الصرف الصحي؟ وأين شبكة الطرق؟ أين محطات المياه؟ أين الكهرباء والساحات العامة؟ وأين شبكات الاتصال التي أصبحت عصب الحياة؟! الخرطوم اليوم ليست سوى كومة من الخراب تتنكر في ثياب الماضي، بينما الحاضر يئن، والمستقبل معلق على مشجب الخيبة.

وفي المقابل، زرنا في عيد الفطر المبارك منطقة زراعية مصرية تدعى «أوسيم»، وهناك، في قلب الريف، وجدنا ما يعجز اللسان عن وصفه: عمارات شاهقة بين الحقول، حدائق وملاعب، طرق ممهدة، تنظيم دقيق، حياة زاخرة بالجمال والنظام. سألني ابني محمد، وهو مندهش: «يا بابا، دي زي مدني؟» فأجبته: «لا يا ولدي، دي زي السدرات أو ود المنسي!» ثم سألت صاحبة البيت هناك: «هل هذه مدينة؟» فأجابتني في هدوء: «نحن في بادية!»... يا للعجب، إن كانت هذه بادية، فماذا نسمّي ما نحن فيه؟!

هل لنا أن نعيد النظر قبل أن نفكر في عودة الموظفين والعمال إلى تلك الخرابات التي نسميها مدن؟ هل لنا أن نستلهم تجربة الأشقاء المصريين، الذين ورغم قلة الموارد مقارنة بنا، استطاعوا أن يشيدوا بنية تحتية تجعل من أبسط مناطقهم أكثر رقياً من عاصمتنا المنهكة؟!

نحن نمتلك كل شيء: الماء، والشمس، والهواء، والإنسان الذكي، والأراضي البكر، والمعادن الثمينة، والتاريخ العريق، والثروة الحيوانية، والزراعة المتنوعة، والمناخات المتعددة. نمتلك ما يجعل من السودان جنةً حقيقية على هذه الأرض، لا مجازا شعريا، بل واقع ملموس ممكن.

ولا ننسى إرثنا الروحي والأخلاقي العظيم، هذا الإرث الذي يضرب بجذوره في عمق الزمان والمكان. ففي أرضنا خُلق الإنسان، ومنها بدأت ديانات التوحيد. هنا عاش لقمان الحكيم، وهنا سار الخضر، ومنها جاءت أمّنا هاجر – جدة الأنبياء. هنا عاش الأولياء والمشايخ، وهنا بزغ مفكرونا الأفذاذ، الذين أناروا دروب الفكر في العالم. سودانيون ساهموا في نهضة أوروبا، وفي إعمار الخليج، وحكموا دولاً في أمريكا الجنوبية، وشاركوا في حروب التحرير في آسيا وإفريقيا.

نعم، نحن شعب الشمس والتاريخ والمستقبل. شعبٌ إذا صدق مع نفسه، لن تقوم له قائمة إلا في العُلا. ولن يكون السودان القادم إلا عملاقاً، لا يحاكي العالم، بل يُلهمه.

إذن فلنبدأ..

فلنبدأ بصدق النيات، وبالاعتراف بأنَّ التحديات عظيمة، لكننا أعظم. فلنترك التبرير ونمسك بزمام الفعل، نعيد النظر في التعليم، ونصلح البنية التحتية، ونعيد ترتيب أولوياتنا، لا لمجرد العودة إلى ما كان، بل لبناء ما يجب أن يكون.

فلنبدأ بالتخطيط كما يخطط الناجحون، وننظر إلى العالم لا بانبهار، بل بثقة، لأننا جزء من صناعته. ولنعلم أن الشعوب التي تقدمت لم يكن لها من الثروات مثل ما لنا، لكنها أحسنت استخدام القليل، فصنعت به المعجزات.

سوداننا لا يحتاج معجزة، فقط يحتاج أن نؤمن به.

فليكن إيماننا بوطننا هو الشرارة التي تضيء درب النهوض.

سوداننا القادم.. ليس حلماً، بل وعدٌ حان وقت الوفاء به.

* كاتب صحفي.

رؤى وتحليلات

نحو تطبيق الذكاء الاصطناعي في تعزيز الصحة العامة بالسودان

أ. د. فيصل محمد فضل المولى *

● شهد السودان في السنوات الأخيرة تصاعدًا واضحًا في التحديات الصحية التي تتسم بتعقيد وتنوع غير مسبوق؛ من وتشعّب أنماط تفشي الأمراض المعدية مثل الملاريا والكوليرا وحمى الضنك، إلى تبعات النزوح والتهجير القسري في المناطق المتأثرة بالنزاع، مما أدى إلى تدهور ملحوظ في البنى التحتية الصحية وتفاوت حاد في الوصول إلى الخدمات بين الحضر والريف. إلى جانب ذلك، يعمل ارتفاع معدلات الأمراض غير المعدية، كالسكري وأمراض القلب والأوعية، على زيادة العبء على المنظومة الصحية، في وقت تعاني فيه الموارد البشرية والطبية من نقص حادّ وضغوط مالية كبيرة.

في هذا السياق، بات استثمار الكمّ الهائل من البيانات المتوفرة عبر السجلات الصحية الإلكترونية، والمسوح الوبائية، والبيانات البيئية والديموغرافية ضرورة استراتيجية. يوفر توظيف الذكاء الاصطناعي وتعلم الآلة فرصةً فريدةً للارتقاء بقدرات التحليل والتنبؤ، بحيث يمكن للمسؤولين الصحيين الاستباق في الكشف عن البؤر الوبائية، وتوجيه الموارد بدقة، وتصميم تدخلات مخصصة تراعي خصوصية البيئات المحلية.

وتهدف خارطة الطريق هذه إلى تقديم إطار عملي متكامل لبناء البنية التحتية الرقمية في السودان، وتطوير نماذج ذكاء اصطناعي محكمة، وضمان دمجها بسلاسة في عمليات صنع القرار الصحي، مع مراعاة أهم معوقات التنفيذ وسبل التخفيف منها.

مصادر البيانات في السودان

لضمان فعالية النماذج، يجدر توسيع مصادر البيانات لتشمل:

– السجلات الصحية الإلكترونية: تسجيل الزيارات الطبية، التشخيصات، نتائج المختبرات وخطط العلاج، مع تحديث فوري يتيح تتبع تطورات المرضى.

– برامج المسح الوبائي الميداني: بيانات جمعها متطوعون وصحة المجتمع لرصد انتشار الأمراض وفهم عوامل الخطورة على مستوى القرى والمناطق الحضرية

– بيانات التلقيح: سجلات التطعيمات المدرجة ضمن الأنظمة الحكومية ومنصات الأمم المتحدة، ضرورية لتقييم التغطية المناعية وتحديد الفجوات الجغرافية.

– مؤشرات البيئة والمياه: معلومات عن جودة المياه الصالحة للشرب، تركيز الملوثات، مستويات الأمطار ودرجات الحرارة التي تؤثر في نشاط البعوض ونقل الأمراض.

– المسح الديموغرافي والاجتماعي: بيانات التعداد السكاني، معدلات الفقر، ومستويات التعليم تسهم في رصد الفئات الأكثر هشاشة وتخصيص تدخلات موجهة

التقنيات الرئيسية

١. التنبؤ الزمني (TimeSeries Forecasting)

نماذج LSTM وProphet تلتقط الاتجاهات الموسمية والدورية في أعداد الإصابة، مما يتيح توقع الموجات الوبائية قبل وقوعها بفترة كافية.

٢. النمذجة المكانية (Spatial Modelling)

خوارزميات DBSCAN وMoran’s I تحدد البؤر الوبائية بدقة عالية، وتترجم الاكتشافات إلى خرائط حرارة (heatmaps) لتوجيه الفرق الميدانية.

٣. تصنيف المخاطر (Risk Stratification)

نماذج Random Forest وXGBoost تصنف المرضى والفئات السكانية حسب احتمالية التعرض لمضاعفات، مما يساعد في ترتيب أولويات الرعاية.

٣. معالجة اللغة الطبيعية (NLP)

تحليل تقارير الصحة العامة، الأخبار المحلية، ومنشورات التواصل الاجتماعي لاكتشاف الشكاوى المبكرة والأخبار عن تفشيات محتملة قبل الإعلان الرسمي.

٤. التعلم التعزيزي (Reinforcement Learning)

محاكاة سيناريوهات توزيع اللقاحات والموارد في المراكز الصحية لضبط السياسات الميدانية وتحقيق أقصى استفادة من القدرات اللوجستية.

حالات الاستخدام في السودان

– الكشف المبكر عن تفشيات الكوليرا

عبر دمج بيانات جودة المياه مع نماذج التنبؤ الزمني، يمكن إصدار إنذارات مسبقة للسلطات المحلية قبل وصول المرض إلى ذروته.

– تحسين توزيع اللقاحات

استخدام خوارزميات تخصيص ديناميكي لضمان وصول لقاح شلل الأطفال وحمى الضنك إلى المناطق ذات التغطية الأقل، مع تقليل الهدر ونقص المخزون.

– رصد تأثير التغير المناخي على الملاريا

بدمج متغيرات الطقس والرطوبة مع بيانات الإصابة، تُحتسب مؤشرات تنبؤية للتدخلات الميدانية وتقليل نسبة الوفيات.

– توجيه فرق التدخل السريع في مناطق النزاع

الاستعانة بصور الأقمار الصناعية وبيانات النزوح لاستنباط أولويات الرعاية الصحية وتوزيع الإمدادات العاجلة.

خارطة طريق التنفيذ

١. بناء البنية التحتية للبيانات

توحيد المعايير: اعتماد FHIR وHL٧ في تسجيل البيانات والمصطلحات الطبية لضمان التواصل بين الأنظمة.

مستودع مركزي آمن: تصميم قاعدة بيانات وطنية قابلة للتوسع مع ضمان تشفير البيانات وتحديد صلاحيات الدخول.

تعزيز الشبكات: توفير حواسيب وأجهزة تخزين للمراكز الريفية، وربطها بشبكة إنترنت مستقرة مدعومة بخدمات الأقمار الصناعية عند الضرورة.

٢. تطوير النماذج وتجربتها

شراكات بحثية: عقد اتفاقيات تعاون مع جامعات مثل جامعة الخرطوم والخرطوم للعلوم والتكنولوجيا، ومنظمات مثل منظمة الصحة العالمية.

مشاريع تجريبية: تنفيذ نموذج للكشف المبكر عن الكوليرا في دارفور، وآخر لمتابعة حمى الضنك في النيل الأزرق.

منهجية علمية: استخدام تقسيم بيانات للتدريب والاختبار، وتطبيق الـcrossvalidation لضمان استقرار النموذج.

٣. دمج النتائج في صنع القرار

لوحات قيادة تفاعلية: عرض مؤشرات الحالة والإنذارات على مستوى الولايات باستخدام أدوات تعبيرية بسيطة.

تدريب الكوادر: ورش دورية لمسؤولي الصحة عن تفسير نتائج النماذج وفهم حدود الثقة والاعتماد على البيانات في التخطيط.

تكامل الأنظمة: ربط هذه اللوحات بمنصات إدارة الأوبئة القائمة (DHIS٢) لتجنب ازدواجية الجهود.

٤. التقييم والمراجعة المستمرة

مراقبة انحراف النموذج: رصد الأداء عند وصول بيانات جديدة وإعادة التدريب الدوري.

جلسات مراجعة نصف سنوية: مشاركة خبراء البيانات والأوبئة وممثلين عن المجتمع المحلي لتبادل النقاشات والدروس المستفادة.

تعديل المعايير: تحديث المتغيرات المنظورة في النماذج بما يتناسب مع تطورات الظروف المناخية والاجتماعية.

التحديات واستراتيجيات التخفيف

ضعف البنية الرقمية في المناطق النائية

توفير حواسيب لوحية تدعم إدخال البيانات ميدانيًا وربطها عبر الأقمار الصناعية.

نقص الخبرات الفنية

إطلاق برامج تدريب معتمدة بالتعاون مع الجامعات والمنظمات الدولية، وتقديم منح بحثية للمتخصصين الشباب.

مخاوف الخصوصية وافتقار الثقة

تبنّي أساليب الخصوصية التفاضلية (Differential Privacy)، وإشراك قيادات المجتمع في حملات توعية لضمان قبول واسع.

تمويل محدود واستدامة

تنويع مصادر التمويل عبر شراكات مع جهات مانحة دولية وصناديق استثمار التقنية الصحية.

توصيات

– البدء بمشاريع مصغرة في الولايات الأعلى جاهزية ثم التوسع تدريجيًا.

– تأسيس وحدة وطنية للذكاء الاصطناعي الصحي بوزارة الصحة لتنسيق الجهود وتوحيد المعايير.

– تعزيز الشراكات متعددة القطاعات مع منظمة الصحة العالمية والقطاع الأكاديمي والقطاع الخاص.

– وضع سياسات واضحة لإدارة ومشاركة البيانات، مع إرشادات صارمة لحماية خصوصية المرضى.

– قياس الأثر عبر مؤشرات أداء رئيسية (مثل انخفاض معدل الوفيات وسرعة الاستجابة) لضمان تحقيق العائد المرجو.

يشكّل توظيف الذكاء الاصطناعي وتعلّم الآلة في الصحة العامة بالسودان خطوة تحويلية تضع البلاد في طليعة الدول النامية التي تستفيد من قوة البيانات في صياغة السياسات الصحية. من خلال تأسيس بنية تحتية رقمية متينة، وتوحيد معايير تسجيل البيانات، وتطوير نماذج تنبؤية ومكانية دقيقة، ودمج المخرجات في عمليات صنع القرار اليومي، تتعزز قدرة السودان على:

١. الكشف المبكر والتنبؤ بتفشيات الأمراض قبل وقوعها وتحجيم الخسائر الإنسانية.

٢. تخصيص الموارد بشكل مستدام يضمن وصول الإمدادات للرعاية العاجلة إلى الفئات الأشد هشاشة.

٣. تصميم تدخلات مستهدفة تراعي الاختلافات البيئية والاجتماعية بين الولايات.

٤. بناء القدرات المحلية عبر التدريب والشراكات البحثية لضمان استمرارية التطوير والتكيف مع المتغيرات.

ومع تطبيق آلية مراجعة وتحديث مستمرة تضمن بقاء النماذج على صلة بالواقع، وتبني سياسات واضحة لحوكمة البيانات تحمي خصوصية المرضى وتكسب ثقة المجتمعات، يمكن للسودان أن يؤسس لمسار صحي رقمي مستدام. ويعد ذلك الأساس لبناء منظومة صحية قادرة على مواجهة التحديات المستقبلية بمرونة وفعالية، ترفع من مستوى الرفاه والصحة العامة لكل مواطن ومواطنة.

* أكاديمي وباحث مستقل.

وفي ذات الإطار

ملح على الجرح

مصطفى عمر مصطفى هاتريك *

● في ثمانينيات القرن الماضي كتب المؤلف والسيناريست الشهير (تموثي هاريس) نصاً سينمائياً كامل الأوصاف، مكتمل الشكل، تحول بمقدرات المنتج والمخرج (جون لانديس) إلى واحد من أروع أفلام كوميديا هوليود بعنوان (trading places) ترجمت فنياً باللغة العربية ليصير العنوان (تبادل الأماكن).

أسندت بطولة الفيلم لنجم الكوميديا الأمريكي (إيدي ميرفي)، الذي لم يدخر جهداً في إضفاء بصمته المميزة على الكاركتر.

داخل الإطار

تدور أحداث الفيلم حول محورين من الصراع، الصراع الطبقي المعروف، وصراع خاص بين رجلي أعمال يتراهنان رهاناً غريباً، مفاده إذا وضعت أياً كان في موقع المسئولية، وأتحت له بيئة مصنوعة بعناية، فسيظهر وكأنه يتماهى مع الوضع الجديد.

ملخص القصة لويز وينثرثوب يعمل في شركة ديوك وديوك؛ المملوكة للإخوة ماريتمو وراندولف ديوك، الاثنان يتشاحنان على أتفه الأمور، حتى لو كان ذلك الأمر هو الطقس، يشعران بالملل، ويريدان تجريب أمر جديد. حينما يصطدم (وينثرثوب) ب(بيلي راي) المتشرد بالشارع، معتقداً أنه يحاول سرقته، تقوم الشرطة بالقبض عليه. يجد الأخوان ديوك الفرصة، فيقرران طرد لويز وتعيين بيلي مكانه، ليريا كيف سيتصرف كلاهما في حياته الجديدة عندما يتبادلان الأماكن، فيصبح المدير متشرداً والمتشرد مديراً، ويتراهنان على ذلك بمبلغ واحد دولار.

إطار أخير

المتأمل للواقع السياسي السوداني الآن، يرى كأنما الإخوان (ديوك) يتراهنان على واقعنا، فيشردان المتمكن، ويمكنان المتشرد، فيبدو المشهد الكوميدي الذي نتابع، وكأنه قدر مكتوب علينا أن يولى علينا كل فاشل، ويدير أمورنا كل مغامر.

كيف تمكن هذا الثنائي الدقلاوي من الوصول إلى قمة السلطة والحكم في السودان، رجلان ينضحان جهلاً وغباء، والمؤسف أن ذات الصناعة تتجدد، وذات المأساة تتكرر، ولا زال الرهان مستمراً.

أتابع بحكم عملي في مجال الشحن البري، ما يدور في المعابر والمحطات الجمركية ما بين مصر والسودان، من جبايات غير مقبولة، وقرارات متخبطة لا تصب إطلاقاً لا في مصلحة المواطن ولا الوطن، بل تبدو وكأنها صناعة للمعوقات بكل أسف في زمن يتطلب التيسير والتسهيل، ولربما تتفجر في قادم الأيام أزمة كبرى في انسياب حركة البضائع بين البلدين، و السبب في تقديري وضع شخص غير مناسب في توقيت يحتاج الرجل المناسب.

حكمة في إطار

لن تشتري بالوهم إلا الهباب والسجم.

* كاتب صحفي.

VOICE of sudanese community

صوت السودانيين بدول المهجر - أسبوعية - مستقلة

www. thesdvoice.com

رئيس التحرير

الناجي صالح

Editor In Chief : Elnagi Salih

VOICE - WEEKLY INDEPENDENT NEWSPAPER

أول صحيفة سودانية إلكترونية تصدر من لندن

نائب رئيس التحرير

الشيخ أحمد الشيخ

مستشار التحرير

محمد المهدي الأمين

الإعلانات

VISION Creative Media Group

info@thesdvoice.press

الآراء الواردة في الصحيفة وأعمدة الرأي لاتعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة او موقفها

المراسلات باسم رئيس التحرير :

editorial@thesdvoice.press

للاشتراك في مجموعات الواتساب امسح الكود

خواطر

الناطقون في المهد (٢)

البراء بشير *

● ذكرنا في المقال السابق أنه قد ورد في بعض الآثار أن هناك ستة صبية تكلموا في مهدهم، ثلاثة متفق في أمرهم، وقد تناولنا الحديث عنهم آنفاً، وثلاثة مختلف عليهم. ومنشأ الخلاف حول ذلك أن الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم – رحمهما الله– يحصر المتكلمين في المهد في ثلاثة، وهم: عيسى – عليه السلام– وصاحب جريج، والرضيع من بني إسرائيل. وقد ورد لفظ الحصر صراحة في أول الحديث: (لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة)، ولكن جاء في روايات أخرى ضعّفها أكثر أهل العلم ذكرُ ثلاثة غير هؤلاء، وقد قال بعض أهل العلم بصحتها وعدم تعارضها مع الحديث الأول، ولهم في ذلك أكثر من تعليل. فذكر بعضهم أن صيغة الحديث الأول لا تفيد حصر كل من تكلم صغيراً، وإنما تفيد حصر من تكلم صغيراً في مهده. ولكن ورد حديث يعكر هذا القول حيث فيه:(لم يتكلم في المهد إلا أربعة)، وهناك تعليل آخر للعلماء حيث قالوا بأنه قد يكون ما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مراحله أن الذين تكلموا في المهد ثلاثة، ثم بعد ذلك أخبره الله عز وجل أن هناك غيرهم. ورغم عدم ثبوت هذه الروايات عند كثير من أهل العلم، سنذكر أخبار أصحابها، ونتطرق للحديث عن اثنين منهم في هذا المقال من باب العلم بالشيء ليس إلا، وهم شاهد يوسف عليه السلام، وابن ماشطة ابنة فرعون. أما طفل أصحاب الأخدود فسنترك الحديث عنه لمقالٍ آخر، وذلك لطول قصته وكثرة تفاصيلها.

أولاً: شاهد يوسف

قد شهد أحدٌ ليوسف– عليه السلام – حين اتهمته امرأة العزيز زوراً وبهتاناً، وذلك ثابت بنص القرآن الكريم، الآية: (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧))، ولكن الخلاف وكما ذكرت في المقال السابق قائم على أن هل هذا الشاهد طفل أم شيخٌ ذو لحية وهو ابن عم المرأة، وقد ذهب بعضهم إلى أنه لم يكن من الإنس أصلاً، ولكن نُقل عن ابن عباس وعن سعيد بن جبير أنهما قالا: (كان صبياً في المهد)، وعلى هذا تكون هذه كرامة ليوسف – عليه السلام.

ثانياً: ابن ماشطة ابنة فرعون

والقصة أن ماشطة ابنة فرعون كانت تمشطها، فسقط المدرى من يدها –والمدرى هو مفراق الشعر– فقالت: بسم الله فقالت ابنةُ فرعون: أبي، قالت الماشطة: لا ولكن ربي ورب أبيك، فقالت البنت: أخبره، أي أخبر أبي بأمرك، فقالت الماشطة المؤمنة: نعم، فأخبرت والدها فرعون، فدعا الماشطة وقال: وإنَّ لك رباً غيري؟ قالت : نعم ربي وربك الله، فأمر بإلقائها وأولادها في قدرٍ من نحاس مُحمى، فألقوهم بين يديها واحداً تلو الآخر، إلى أن انتهى ذلك إلى صبي رضيع، فكأنما تقاعست من أجله فأنطقه الله وقال: يا أمه؛ اقتحمي فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، فَاقْتَحَمَتْ. وكان ذلك تثبيتٌ من الله عز وجل لها، وهو على كل شيءٍ قدير.

* كاتب صحفي.

مداد أخضر

أكتب شنو؟

معتصم تاج السر *

● أمسك قلمي وأتأمل الصفحة البيضاء كأنها مرآة لصمتي وأسأل نفسي: أكتب شنو..؟

أكتب شنو وقلبي مشطورا بين أشواقي المبعثرة بين البلاد.

انا في بلد وذكرياتي وبيتي، ووطني ومهجتي في السودان.

طفلتي في بلد ....!

أسميتها «حنين» فأخذت كل حنين فؤادي ومهجتي صار اسمها مرآةً لقلبي تحمل بين حروفه كل أشواقي سرقت كل إحساسي وتركتني معلقاً في سفرٍ لا ينتهي.

أمي في بلد تسكن قلبي هي الوطن الأول، وحدود حناني، وصوتها هناك، رغم المسافات، يأتيني كل صباح كالدعاء المرتل، ينساب في روحي سكينة، ويفتح نوافذ يومي بطمأنينة لا تشبه أي سلام.

هي الحنين الذي لا يشيخ، هي الحكاية التي لا تنتهي، أكتب عنها ولا توفيها الكلمات حقها، فالأم وطنٌ يحتويني حتى وأنا بعيد. أمي هناك، وأنا هنا، وبيننا بحر من الدعوات والانتظار.

وزوجتي صوني ومسكني في بلد ....!

وإخوتي عزوتي وجاهي في بلد وعموم أحبابي منتشرين في بلاد الله الواسعة...!

وأنا قلبي موزع ومشتت بين انتظار وأمل وبين حنين لا ينطفئ.

أكتب شنو؟

عن الأصحاب والإخوان؟ عن الحبيب العليش وذكرياته التي كلما هبت رياحها عليّ، غمرتني بالدفء؟

أم عن شيخ كمال، ذاك النبيل الذي يطوف حديثه على القلب كما يطوف النسيم على صفحة النهر؟

أم عن دكتور محمد ابراهيم ذاك الشفيف صاحب الكلمة الطيبة والابتسامة الوديعة التي تبعث السلام قبل أن ينطقها لسانه؟

أم عن قطبي الهميم ورمز الوفاء وصاحب الهمة التي لا تعرف الكلل؟

أكتب شنو؟

عن الجيران في المعمورة ومسجد القبب، حيث ذكريات السودان تعودني كلما سكنت الروح، وحيث الأيام الطيبة تمشي بأقدام الناس الطيبين.

أم عن كل الأحباب في الفردوس والطائف ولمتنا هناك تلك اللحظات الدافئة التي تتوهج في القلب مهما طال الغياب وامتدت المسافات؟

أكتب شنو؟

عن لمّاتنا في مسيد شيخنا إبراهيم بشرق النيل، وطلاب الخلوة الذين زانوا المكان بآيات الله، وحفظوا القرآن بنقاء قلوبهم، وأصواتهم التي تشبه تغريد العصافير عند أول الصباح، وعن عصري الجمعة حينما كانت الأرواح تلتقي قبل أن تفرّقها الدنيا.

أكتب شنو؟

عن ليالي المديح، عن مادح النبي، شيخ إسماعيل محمد علي، وصوته الشجي الذي يضيء القلب قبل أن يملأ الأذن، وتلك الليالي الوضيئة التي لا تستطيع الغربة ولا المسافات أن تمحوها، فهي جزء من الروح ومسكن للحنين.

كلما هممت أن أخط حرفاً وجدت أن قلبي أصدق من قلمي وأوفى من الكلمات.

ربما لا أكتب اليوم شيئاً وربما يكفيني أن أضع قلبي فوق هذه الورقة وأتركه ينزف بصمت ليخطها بمدادٍ أحمر لعلّ الحروف تجد وطنها كما يتمنى قلبي أن يجد كل أحبابه مجتمعين تحت سقف واحد وفي وطن واحد اسمه السودان.

ويا قُراء «مِدَاد أخضر» عجزت أن أكتب ليكم شيء هذة المرة فقد تداعت جدران قلبي بين لوعتي واشتياقي وضاعت الحروف بين الشوق والحنين.

محبتي والسلام.

* كاتب صحفي.

ثقافة قانونية

العدالة الانتقالية

د. ندى صلاح بيومي *

● إكمالاً لما بدأه زميلي الأستاذ هشام فرنيب الأسبوع الماضي عن العدالة الانتقالية، فإنني أواصل ما بدأه في سبيل الوصول إلى وطن معافى بعد الحرب.

رغم حداثة مصطلح العدالة الانتقالية، إلا أنها متجذرة في القانون الدولي الإنساني. ويقع على عاتق الدول والمجتمعات التي تحاول إعادة بناء نفسها من جديد والانتقال من تاريخ عنيف يتسم بانتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان، ارتكبت في سياق ممارسة القمع، أو في سياق نزاع مسلح، أو غير ذلك من السياقات الأخرى، الالتزام بتوفير سبل إنصاف لضحايا.

انتهاكات حقوق الإنسان وتلبية حقوقهم

ومن أجل الوفاء بهذه الالتزام، يجب الاعتراف بهذه الانتهاكات، ومنع تكرارها، وتلبية مطالب العدالة، واستعادة نسيج المجتمعات المحلية الاجتماعية، وبناء سلام مستدام، فالعدالة الانتقالية هي النظام الذي يسعى إلى بذل كل ما يلزم، كي تنجح المجتمعات في التعامل مع مثل هذه الموروثات الصعبة، وتطوير أدوات مختلفة من أجل تحقيق هذه الغاية.

تهدف العدالة الانتقالية، إلى الاعتراف بضحايا تجاوزات الماضي على أنهم أصحاب حقوق، وتعزيز الثقة بين الأفراد في المجتمع الواحد، وثقة الأفراد بمؤسسات الدولة، وتدعيم احترام حقوق الإنسان، وتعزيز سيادة القانون. وكي تكون العدالة الانتقالية قادرة على المساهمة بفعالية في السلام والمصالحة المستدامين، لا بدَّ من اتباع الآليات القضائية وغير القضائية، وإحراز تقدم على مستوى جميع أبعاد العدالة وبطريقة متكاملة، وتشمل محاكمات الأفراد، وتقصي الحقائق، والإصلاح الدستوري والقانوني والمؤسسي، وتقوية المجتمع المدني، وتجليد الذكرى وفحص السجل الشخصي للكشف عن التجاوزات.

ولتوطيد أركان السلام على نحو طويل الأجل، لا يمكن أن يتحقق إلا إذا كان السكان على ثقة من إمكان كشف المظالم عن طريق الهياكل الشرعية، لتسوية النزاعات بالوسائل السلمية، وإقامة العدل بشكل منصف.

وتختلف المفاهيم والتعريفات بمصطلح العدالة الانتقالية، إلا أنه يمكن القول بأنها آلية يراد بها قيام دولة القانون، وإحقاق العدالة، بالقضاء على انتهاكات حقوق الإنسان، والتجاوزات المرتكبة من القائمين على الحكم أو النظام في حق أفراد المجتمع الواحد، بحيث تشهد البلاد حالة من التعسف والتسلط في نظام حكمها. وعرفها تقرير الأمين العام السابق للأمم المتحدة (كوفي أنان) المقدم إلى مجلس الأمن (سيادة القانون والعدالة الانتقالية في مجتمعات الصراع ومجتمعات ما بعد الصراع). وعرفها المركز الدولي للعدالة الانتقالية، الذي أنشئ في عام ٢٠٠١م ومقره نيويورك، بأنها (السعي من أجل العدالة الشاملة أثناء مدد الانتقال السياسي).

آليات تحقيق العدالة الانتقالية:-

ينطوي تحقيق العدالة الانتقالية على حزمة من الآليات والتدابير اللازمة، لمواجهة إرث انتهاكات حقوق الإنسان، التي خلفتها الحقبة الزمنية الماضية، فما هي الآليات لإزالة هذه المرارات والانتهاكات التي لازمت المبدأ السامي لحق الإنسان في الأمن والسلم المجتمعي، فهي الآليات القضائية وغير القضائية.

آليات غير قضائية:-

لجان تقصي الحقائق:- بدأت لجان تقصي الحقائق تزداد عدداً وانتشاراً، حيث شكلت على المستوى الدولي في الآونة الأخيرة العديد من هذه اللجان عن طريق الأمم المتحدة، للتعامل مع الانتهاكات الجسيمة للقانون الدولي.

وعرفت أيضا بأنها كيانات مؤسسية مستقلة غير قضائية، تختص بالبحث عن حقيقة الانتهاكات، وتحدد واجباتها وصلاحياتها بموجب قرار أو لائحة بقرار رئاسي، أو تشريع وطني، لاتخاذ الإجراءات اللازمة لكشف الحقائق، وتوفير أدلة موثقة بشأن الانتهاكات. وينبغي الاعتراف بارتكاب الأفعال والانتهاكات غير الإنسانية، وتختم عملها بتقديم تقرير نهائي، يضم استنتاجاتها وتوصياتها، وتركز في عملها على المعايير الإنسانية.

المهمات الجوهرية للجان تقصي الحقائق:-

أ/ مهمة مادية واقعية: حيث تبحث في الخلفية التاريخية لأسباب العنف والانتهاكات، وتحدد هوية مرتكبيها.

ب/ مهمة علاجية: الحفاظ على توافق المجتمع واستقراره، وتنمية الشعور بالشفافية والثقة في السلطة السياسية، كونها تهتم بإظهار الحقيقة لطوائف الشعب.

ج/ مهمة إصلاحية: تتجسد في إصدار توصيات بشأن التعامل مع فساد أو انتهاكات فترة الماضي.

د/ اتخاذ قرارات تتعلق بطريقة عملها: المعايير التي تعتمدها لكشف الحقيقة، وبما يشمل تقدير حجم خسائر الضحايا وتقرير التعويض عنها، وكذلك تقرير كيفية إعادة تأهيل الضحايا، أو قرارات إدماج الجناة في المجتمع.

الأهداف الأساسية لعمل لجان الحقيقة:

١- الرغبة في عدم طمس الماضي، وهو أساس الحاضر والمستقبل، ولا بدَّ من توحيدوتوثيق الذكرى، ولا بدَّ من معرفة تفاصيل ما حدث.

٢- الرغبة في معرفة الحقيقة كاملة بكل عناصرها، والسؤال: هل يمكن معرفة كل شيء ؟ هل بإمكاننا إدراك ما حصل بتقادم السنين؟ وربما يرغب في هذا بعض صناع القرار، مثلما يذهب البعض ممن أرادوا النسيان.

٣- تشجيع محاسبة المذنبين من تجميع الأدلة والمحافظة عليها، وتحديدها بشكل علني للأشخاص المسئولين عن الجرائم.

٤- التوصية ببرامج مفصلة لتعويض الضحايا، والإصلاحات القانونية والمؤسسية الضرورية.

٥- توفير قاعدة إعلامية للضحايا والإصلاحات القانونية والمؤسسية الضرورية.

٦- الاعتراف بالمسئولية وتحقيق ما يصبو إليه الضحايا، وتحقيق المصالحة والتوصل إلى نبذ روح الانتقام.

* محامية ومستشارة قانونية.

أبجد سوداني

وغادرنا الشهيد.. إلى حيث تشرق الشمس

فريعابي محمد أحمد *

● عرفته منذ يفاعة الأصابع..
استثناءً في الأخوة..
استثناءً على براكين السجايا
فمنذ أن وطئت عيني على شخصه
أول مرة....
لم أره يوماً يحمل (كوب) ضغينة لأحد...
ولم يحرك شفتيه مطلقاً (بملاعق) الحسد
لا يجادلك إلا في معروف....
ويثابرك على (بر) الخيرات...
حين تجثو خطاه على الحب...
أرصفته دوماً مرصعة بالمودة
وحشود كلماته... متعة للسامعين
أتعبني حياً... في وصفه...
فإن أنا مدحته فقد (رزأته)..
وإن جال لساني يوماً في فعاله...
فقد (بهته)
(أتعبني) حياً. و(حيرني) مغادراً
كان يحفظ خريطة الفردوس أكثر من كتاب الأرض
فلم يك إلا (متوضئاً) قرب حياته..
فلم يمر يوماً على (نجاسات) الضمير
كأن حياته (زلل) من الفردوس
كانت حياته عبئاً على الليل...
صواماً... قواماً
فكلما أخفى بكاءه في (الفجر)...
صعدت إليه على مصلاة (الضحى)
لم يكن جاراً للغبار... ومفردات السهو
حياته هو.. اختارها كما يريد
فقد احترم (القيامة) قبل أن يذهب إليها مغسولاً من حقوق الغير
رتب أحلامه... دون وصايا... كأنها مكنسة من عبء الذنوب
كان كما الفراشة حينما تجد أمها عند فوهة الصباح
أحلامه... ضيقة على أبوابنا نحن أصدقاءه
فقد ارتفعت (همته) إلى بهو السماء
كان يصنع حكاية للوردة.. حين ينكسر شذاها وتنام على تقشف ظلها
كان ك(يمامة) لم تغيّر عشها الوضيء على (تبروقة) النداء الأول للسحر
لذا فقد صار له ماضٍ وثير على (المحراب)
كان صديقي وحبيبي هذا....
يافطات توقظ (الهمم) ليكبح بها الزمن السريع على إشارات المرور
مرور (الهم)... على شوارع (الغم)
كان يضع إجابة بين يدي كل (علة) تهفو إلى (العافية)..
ماسحاً بابتسامته (البيضاء)..
زمراً من آثام تسربلت السقم
فقد نسي كأنه لم يكن شخصاً متفرداً..
شهيدنا:
(اتبع) رؤاه.. و(اتعب) خطاه
كان حراً في كنايته..
فقد شهد أنه حر حين ينسى الإساءة..
رتب خطواته وفق جدول (اليقين)..
كأنه منسي في عشب الصيف..
كان يدبج فرحاً لطفلة.. تبرجت بحيائها..
عاش على ظاهر (الهداية).
متسربلاً جلباباً من (التقوى)
أخذ صفاته وتحرر عن (الدنايا)
أعطته الخصال يدها.. فصار وردة كاملة (التعقيم)
غادرنا... مغسولاً على نعش (الشهادة)
مغموراً بدعاء للطيبين
مشمولاً... بأكف الضراعة
ومتكئاً على رفرف (خضر)...
وعبقري حسان
لندعو له:
ألا... يا ساتر السر..
وكاشف العلل
أن تغسله بماء الثلج...
ونقاء البرد...
وعافية الغفران
أن تضعه... حثيما تحب
وكيفما... أردت للشهداء
في ذرا الجنان...
إلى برازخ من الحور العين
آمين.. آمين
(إنا لله وإنا إليه راجعون).

* كاتب صحفي.

غابة الدليب

شبكات الاتصالات في جنوب كردفان لماذا هذه الذبذبة؟

د. خالد مصطفى إسماعيل *

● نحن نتمتع ولله الحمد والمنّة بأسوأ خدمة لشبكات الاتصال. شبكات تعمل (على كيفها)، تغيب وقت ما تريد الغياب لأيام، وقد يمتد الغياب شهوراً دون تنبيه أو حتى مجرد اعتذار للمشتركين، وهم الذين يدفعون ثمن تلك الخدمات مقدماً.

والأسوأ من ذلك تغيب الشبكة أياماً وشهوراً، وعندما تعود يطالبون المشترك بكل المتأخرات، علماً بأن المشترك لم يتمتع بالخدمات، فلماذا تأخذ الشركات مبالغ مالية دون مقابل.

وأس البلاوي هي خدمة الإنترنت، فهي الأسوأ على الإطلاق، ويمكن أن نقول بشيء من التحفظ: لا توجد خدمة إنترنت في هذه الشبكات، واختصرت الخدمة على المكالمات والرسائل النصية، وحتى هذه رديئة جداً في معظم الأوقات.

غياب خدمة الإنترنت جعل المواطن يعتمد اعتماداً مباشراً على خدمة «الاستارلنك»، فيدفع المواطن الواحد يومياً ألف جنيه ليدخل الإنترنت لتحويل بنكك، أو مراسلة أهله في الخارج، أو لتنزيل المحاضرات عند الطلبة، أو للترفيه أو غيرها.

فتخيلوا حجم العبء الذي يقع على المواطن بسبب ذلك. وحتى خدمة «الاستارلنك» هذه غير متوفرة بصورة دائمة لأسباب أخرى.

معاناة الطلاب والطالبات تكمن في أنهم وُضعُوا أمام خيارين (أحلاهما مر) كما قال أبو فراس الحمداني، فإما تجميد العام الدراسي إلى أجل غير معروف، وإما السفر إلى مدن أخرى تتوفر فيها خدمة الإنترنت بصورة مناسبة، وتحمّل نفقات السفر والسكن والإقامة والإعاشة وغيرها، في بلد يعاني أصلاً من الفقر. مما جعل كثيراً من الطلاب يتركون الدراسة إلى أجل غير مسمى، ويمتهنون مهناً أخرى، وربما لن يعودوا إلى مقاعد الدراسة مرة أخرى إذا استمرت هذه الأوضاع، وهو ما يشكّل خسارة كبيرة لا تعوض.

أما معاناة بقية المواطنين، فتكمن في أنهم في حيرة من أمرهم، لا تعاملهم شركات الاتصالات بمسؤولية واحترام، فتوضح لهم لماذا تغيب هذه الشبكات عندما تغيب، ولماذا هذا الضعف في الاتصالات، وما هي المشكلة، وإلى متى تستمر هذه الحالة، وغيرها من الأسئلة. هم يريدون إجابات واضحة وصريحة، وتعاملاً يليق بإنسانيتهم، ومسؤولاً يحس بمعاناتهم، ويضع جدولاً واضحاً لمعالجة الخلل ورفع هذه المعاناة.

فنحن في عصر أصبح من المستحيل فيه الاستغناء عن الاتصالات، وأصبحت حياة الناس كلها مرتبطة بهذه الاتصالات.

لذلك رسالتنا واضحة لهذه الشركات، نحن لا نعرف كثيراً من التفاصيل عن الاتصالات والشبكات وكيفية عملها، والفلسفة التي تقوم عليها هذه الشركات، ولكن نحن المواطنين نريد خدمات ممتازة طالما أننا ندفع ثمنها مقدماً (ومن أخذ الأجر حاسبه الله بالعمل)، لذلك ندعو شركات الاتصالات (سوداني، زين، أريبا) للإسراع إلى حلحلة مشكلاتنا، وتحسين خدمات الاتصالات. والسلام...

* كاتب صحفي.

إضاءة

السودان... البحث عن البوصلة

محجوب الخليفة *

● تحت وطأة صراع دموي تتشابك فيه خيوط الجغرافيا والتاريخ والطموحات الشخصية، يجد السودان نفسه اليوم أمام منعطف حاسم، تتداخل فيه الأزمات مع الفرص، ويشتد فيه البحث الوطني عن بوصلة تُعيد للأمة اتجاهها الصحيح، وتنقذ ما تبقى من الوطن الذي أنهكته الحرب، وفتّت كيانه التنازع الحزبي، وأضعفته الولاءات الضيقة والارتهانات الإقليمية والدولية.

لقد بلغ السودان حدّاً من التأزم لم يعد معه ممكناً ولا قبولاً أن تُدار البلاد بعقليات ما قبل الدولة الحديثة، أو بمنهجية الغنائم السياسية، أو بإرث الحروب والمزايدات الإيديولوجية والقبلية. ففي ظل الانهيار المؤسسي المتسارع، وتلاشي مفهوم الدولة، وانزلاق المجتمع إلى حافة التفكك، بات من الواضح أن الحل لا يكمن في بندقية، ولا في صفقة، بل في فكرة: فكرة «المؤتمر القومي الجامع» بوصفه المخرج الوحيد والضروري لصياغة مشروع وطني جديد، يتجاوز لحظة الخراب نحو أفق النهضة والبناء.

المؤتمر القومي الجامع لحظة التأسيس لا التسوية

ليس المطلوب مؤتمراً لتقاسم السلطة بين النخب، ولا تفاهماً هشاً ينتهي بمجرد تقاطع المصالح، بل ما نحتاجه هو «لحظة تأسيس» حقيقية، تُعيد تعريف السودان كفكرة وهوية، وتُخضع المستقبل لمنطق التخطيط لا للقدرية السياسية. مؤتمر يضم كل أطياف المجتمع السوداني، لا على أساس التمثيل السياسي فقط، بل على قاعدة الكفاءة والنية الصادقة في خدمة الوطن.

ينبغي أن يُبنى المؤتمر على مرتكزات علمية ومدنية، يُستبعد فيه السلاح كوسيلة للتفاوض، ويُستبدل بمنهج الحوار الرشيد والعقل الجماعي. مؤتمر لا يُقصي أحداً، لكنه لا يُكافئ أمراء الحرب، ولا يُكرّس لاحتكار السلطة من قبل من تسببوا في خرابها.

بوصلة العصر العدل، العلم، والدولة الرقمية

السودان الجديد لا يُبنى بالحنين إلى الماضي، بل بالفهم الدقيق لمعطيات الحاضر ورهانات المستقبل. ومشروع الدولة العصرية في السودان ينبغي أن يقوم على ثلاث ركائز متكاملة:

١- العدل

وهو حجر الزاوية في بناء أية أمة متماسكة. فلا دولة بلا عدالة، ولا تنمية بلا مساءلة، ولا سلام بلا إنصاف للضحايا. العدالة ليست شعاراً خطابياً، بل نظام قانوني ومؤسسي يضمن الحقوق، ويحمي الحريات، ويحاسب على الانتهاكات بلا تمييز.

٢- العلم

لا يمكن لأمة أن تنهض ما لم تجعل من المعرفة قاطرة للتغيير. الاستثمار في التعليم، وتمكين الجامعات، وتحديث المناهج، وتبني البحث العلمي كأداة لحل مشكلات الاقتصاد والزراعة والصحة والبنية التحتية، كلها أولويات لا غنى عنها لأي مشروع نهضوي.

٣- الدولة الرقمية

في عصر الذكاء الاصطناعي والحوسبة السحابية، لا مكان للدولة الورقية. السودان بحاجة إلى ثورة رقمية شاملة في مؤسساته، وفي نظامه الإداري، وفي اقتصاده. فالحكومة الإلكترونية ليست ترفاً بل ضرورة لمكافحة الفساد، وتسريع الإجراءات، وتحقيق الشفافية في إدارة الموارد.

الخروج من عباءة الحرب

إلى هندسة السلام المستدام

السودان لم يعرف سلاماً حقيقياً منذ الاستقلال، بل كانت كل محطات السلم مجرد استراحات محارب تُفضي إلى جولات أعنف. والسبب الجوهري يكمن في غياب المشروع الجامع، وافتقاد الإرادة السياسية لتحويل التنوع من لعنة إلى نعمة. السلام المطلوب اليوم ليس وقفاً لإطلاق النار، بل إعادة تشكيل للوعي الجمعي، ولعلاقة المواطن بالدولة، وللتوزيع العادل للثروة والسلطة.

السلام في السودان لا يُصنع في عواصم العالم، بل يبدأ من الداخل، من اعتراف الذات السودانية بكل تعقيداتها وتناقضاتها، ومن الشجاعة في مواجهة الأخطاء، ومن إعادة الاعتبار للمشروع الوطني بوصفه السبيل الوحيد للخلاص من الحرب والانقسام.

الدور الإقليمي والدولي من التدخل إلى التمكين

لا يمكن عزل السودان عن محيطه، لكن لا ينبغي أيضاً أن يتحول إلى ساحة تصفية حسابات إقليمية ودولية. آن الأوان لأن يتعامل العالم مع السودان ككيانٍ له إرادته، لا كملف تُتداول حوله المصالح. ويجب أن يكون دور الخارج – من الاتحاد الإفريقي إلى الأمم المتحدة – دوراً داعماً لعملية وطنية حقيقية، تُبنى من الداخل، وتُدار بيد السودانيين أنفسهم.

نحو عهدٍ جديد

المؤتمر القومي الجامع هو بوابة السودان إلى القرن الحادي والعشرين، وهو السبيل الوحيد لتحويل البلاد من ساحة نزاع إلى مركز إشعاع حضاري واقتصادي في إفريقيا والعالم العربي. بوصلة السودان لا يجب أن تحددها البنادق، ولا مصالح العواصم، بل إرادة شعبه، وعقل علمائه، وحكمة حكمائه، وشجاعة شبابه.

السودان لا تنقصه الإمكانيات، بل الرؤية. لا يفتقر إلى الموارد، بل إلى الإدارة الرشيدة. وما لم تُبْنَ الدولة على أسس جديدة: العدل، والعلم، والتحول الرقمي، فإن الحرب لن تكون سوى البداية لسلسلة من الانهيارات.

فلنضع الخلافات جانباً، ولنلتقِ كمواطنين لا كخصوم، ولنصنع معاً وطناً يليق بتاريخ السودان، وبأحلام أبنائه.

* كاتب صحفي.

VOICE of sudanese community

السبت ٢٦ أبريل ٢٠٢٥م - ٢٨ شوال ١٤٤٦ هـ
SATURDAY 26 APRIL 2025 - ISSUE No. 31

تُسوَّق على أنها مفتاح الرشاقة المثالية

حبوب التسمين في السودان: جمال مزيف أم كارثة صحية؟

□ في ظل السعي المحموم لتحقيق معايير جمالية مُعيّنة، انتشرت في السودان في الآونة الأخيرة ظاهرة خطيرة تثير القلق: الإقبال على حبوب التسمين كحل سحري لاكتساب القوام الممتلئ الذي يُعتبر في بعض الأوساط دليلاً على الجمال والازدهار. لكن وراء هذا الوهج البرّاق تكمن مخاطر صحية جسيمة، تتراوح بين الاضطرابات الهرمونية والفشل الكلوي، وصولاً إلى حالات وفاة سُجّلت بسبب الجرعات العشوائية أو التركيبات المغشوشة.

بين ثقافة تُقدّس «الجسد الممتلئ» كرمز للصحّة والجمال، وتحذيرات الأطباء من تداعيات هذه الحبوب التي تُباع دون رقابة، يبرز سؤال ملح: هل تُجسّد هذه الظاهرة صراعاً بين التقاليد والوعي الصحي؟ أم أنها نتاج غياب التوعية وسيطرة الوهم الاجتماعي؟ هذا المقال يُسلّط الضوء على حقيقة هذه الحبوب، من انتشارها في الأسواق السوداء، إلى قصص ضحايا وقعوا في فخّها، مُقدّماً توجيهات طبية تُحذّر من أن ثمن «الجمال المزيف» قد يكون حياة بأكملها.

دكتور - عصام صالح

● والله يا جماعة، نحنا في السودان عندنا مشكلة كبيرة اسمها «حبوب التسمين». بقت ظاهرة منتشرة في وسط البنات والنسوان، والموضوع ده ما ساهل، بقى بيأثر على الصحة الجسدية والنفسية، وكمان في حالات وصلت للموت.

حبوب التسمين ومسمياتها

الحبوب دي بتتباع في الأسواق والبوتيكات بطريقة غير قانونية، بدون أي رقابة. بتتسمى بأسماء غريبة زي «ورك الدجاج»، «الهجمة»، «راجلي رجع لي»، و«مدهشة». وهي في الحقيقة عبارة عن أدوية زي «ديكساميثازون» و«حبوب سكر»، والمصيبة إنو الناس بتستعملها بس عشان تزيد وزنها.

البيع والتوزيع

البنات بيمشوا يشتروها من محلات المكياجات والكريمات، وفي بوتيكات ما عندها ترخيص حتى، والحبة مرات بتتباع بـ50 لحدي 200 جنيه، حسب النوع. أدوية بتم تهريبها من برة، والناس بتتعامل معاها زي الحل السريع، لكن هو طريق نهايتو خطرة.

الأضرار الصحية

الأضرار الصحية الخطيرة الناتجة من استخدام حبوب التسمين

الكلام الجاي دا ما للتخويف ساكت، دا واقع مر حصل لبنات كتار قبل كدا. الحبوب دي بتشتغل على الجسم بطريقة غير طبيعية، وبتسبب خلل كبير في كل الأجهزة تقريباً. خلونا نشوف بالتفصيل:

1. فشل كلوي

الحبوب دي فيها مواد زي «الستيرويدات» و«أدوية السكر» و«مضادات الحساسية»، كلها بتجهد الكلى فوق طاقتها. الكلى مفروض تنقي الدم من السموم، لكن مع الاستعمال الطويل للحبوب، الكلى بتنهار.

● حالات حقيقية لفتيات انتهوا بغسيل كلى مدى الحياة، وبعضهم توفوا لأنهم وصلوا مرحلة الفشل الكلوي الحاد.

2. ضعف في عضلة القلب أو توقف مفاجئ للقلب

الحبوب بتأثر على ضغط الدم ومعدل نبضات القلب. ممكن تسبب:

ارتفاع ضغط الدم فجأة.

اضطراب في ضربات القلب.

وفي بعض الحالات: سكتة قلبية مفاجئة.

● تخيلي زول يكون ماشي كويس، بعدين يقع فجأة بدون أي إنذار... كلو بسبب إنو حب يملأ جسمو بحبة.

3. السمنة المرضية والتشوه الجسدي

الوزن الزيادة الجاي من الحبوب ما صحي. الجسم بينتفخ، لكن ما عضلات، كلها دهون ومياه محبوسة. بعد فترة بتبدأ مشاكل:

تشققات في الجلد (علامات تمدد).

تهدل في الجسم، خاصة في الأرداف والصدر.

شكل غير متناسق... وأحياناً بتحصل ترهلات تخلي البنت نفسها تتمنى ترجع زي زمان.

4. اضطرابات نفسية واكتئاب

الحبوب دي بتأثر على كيمياء الدماغ، وممكن تسبب:

نوبات بكاء بدون سبب.

قلق وتوتر مستمر.
عزلة عن الناس.

اكتئاب حاد... وبعضهم وصل لمرحلة التفكير في الانتحار.

● الجمال المفروض يفرح الإنسان، لكن الجمال المزيف دا بيجرّك لظلمة ما بتعرفي تطلعي منها بسهولة.

5. اختلال هرموني

الحبوب فيها كورتيزون وستيرويدات، بتلخبط كل النظام الهرموني:

الدورة الشهرية بتتلخبط أو بتختفي تماماً.

تكيس في المبايض، مما يؤدي لصعوبة الإنجاب.

نمو شعر في أماكن غير مرغوبة (الوجه، الذقن)

تضخم في الوجه (بيسموه وجه القمر).

6. هشاشة العظام

الكورتيزون يسحب الكالسيوم من العظم، ودا بيخلي العظم يتكسر بسهولة.
بنات صغار، عظمهم بقى زي بتاع كبار السن.

ألم مستمر في المفاصل والظهر.

7. مشاكل في الكبد والجهاز الهضمي

التهابات مزمنة في الكبد.

تغير في لون الجلد (اصفرار).

غثيان، إسهال، أو إمساك مزمن.

8. حالات وفاة مفاجئة

دي أسوأ نتيجة. نعم، في حالات موثقة لبنات ماتوا بسبب حبوب التسمين. واحدة من الحالات كانت عروسة، استخدمت الحبوب لمدة شهر عشان «تكون مليانة» في الفستان، وتوفيت قبل ما تكمل يومها الأول كزوجة.

حلول علمية وآمنة لزيادة الوزن

أ. الأكل الصحي

3 وجبات في اليوم، مع سناكس في النص.
أكلات فيها سعرات زي اللبن الكامل، المكسرات، العسل، التمر.
التكلفة تقريباً 500 – 1500 جنيه في الشهر.
ب. الرياضة

تمارين قوة (حديد)، ورياضة خفيفة.

تحسن الشهية وتزيد الكتلة العضلية.
اشتراك الجم ممكن من 1000 – 3000 جنيه في الشهر.
ج. المكملات الغذائية

مكملات زي البروتين، لكن لازم تستشير دكتور.
سعرها حوالي 2000 – 5000 جنيه في الشهر.
د. خلطات طبيعية مثلاً خلطة الحلبة مع السمسم والعسل والكاكاو.
ساهلة، ومكوناتها موجودة في أي بيت.
تكلفتها تقريباً 1000 – 2000 جنيه في الشهر.
شنو الحل؟

التوعية ضرورية. الناس لازم تعرف مخاطر الحبوب دي.
الحكومة والمجتمع لازم يشتغلوا على الرقابة.
لازم نشجع البنات على الحُب الذاتي وتقبل الجسم زي ما هو.
ونعلمهم إنو الجمال الحقيقي ما في الوزن، بل في الصحة.

رسالة أخيرة

يا ريت بنات بلدي يعرفوا انو الجمال الحقيقي ما في وزن ولا شكل... الجمال في الصحة، في طلتك، في ضحكتك، في راحتك النفسية.
الجسم البتبنيه بالحُب، بالأكل الصحي والرياضة، هو الجسم البعيش معاك، ويديك ثقة ما بتنهار.

منظمة الصحة العالمية: حرب السودان تقضي على المركز الوحيد في العالم لأبحاث المايستوما

○ الخرطوم – «أ ف ب»

● لا شك أن الحرب في السودان بين الجيش والدعم السريع خلفت العديد من الضحايا، فضلا عن الخراب الذي لحق بمناطق عدة لاسيما الخرطوم. إلا أن ما لا يعرفه الكثيرون أن الصراع دمر المركز الوحيد في العالم لأبحاث المايستوما (الورم الفطري)، وهو مرض مداريّ مُعدٍ يصيب خصوصا الفئات المحرومة.

فقد أعلنت منظمة الصحة العالمية أن المركز الوحيد في العالم لأبحاث مرض المايستوما في الخرطوم تعرض للتدمير حيث انهارت الأسقف وتناثرت الوثائق.

كما أشارت منظمة الصحة إلى أن الوصول إلى موقع المركز لا يزال متعذراً على السلطات الصحية، مما يحول دون إجراء أي تقييم دقيق للأضرار.

أول تجربة في العالم

كما أكدت المنظمة أن المركز الذي تأسس عام ١٩٩١ برعاية جامعة الخرطوم هو الوحيد في العالم المخصص لدراسة الورم الفطري.

وصرح مكتب منظمة الصحة العالمية في السودان لوكالة الصحافة الفرنسية أمس، «لقد تضرر مركز أبحاث المايستوما في الخرطوم بشدة جراء الحرب، وتعرض لدمار كبير».

وفي مقطع فيديو تلقته وكالة الصحافة الفرنسية الأربعاء، يظهر مركز الأبحاث متضررا بصورة كبيرة، إذ يمكن خصوصا رؤية أسقف منهارة ورفوف مقلوبة ووثائق متناثرة.

«فقدنا كل المحتوى»

وقال أحمد فحل، مؤسس المركز «فقدنا كل المحتوى الموجود في بنوكنا البيولوجية، وكانت فيها بيانات منذ أكثر من ٤٠ سنة»، مضيفا أن هذا وضع «يصعب تحمله»، وفق ما نقلت وكالة فرانس برس.

وكان المركز يستقبل كل عام ١٢ ألف مريض، وفقا لمؤسسه.

ولا يزال متعذراً على السلطات الصحية الوصول إلى موقع المركز، مما يحول دون «إجراء أي تقييم للأضرار»، وفقا لمنظمة الصحة العالمية

وأكدت المنظمة أن المركز، الذي تأسس عام ١٩٩١ برعاية جامعة «الخرطوم»، هو الوحيد في العالم المخصص لدراسة الورم الفطري، وكان المركز يستقبل كل عام ١٢ ألف مريض، وفقا لمؤسسه.

تآكل العظام

ويمكن للورم الفطري، الذي تسببه بكتيريا أو فطريات موجودة في التربة أو الماء، أن يؤدي إلى تآكل العظام.

وفي عام ٢٠١٦ صنفت منظمة الصحة العالمية مرض المايستوما، الذي يؤثر خصوصا في الفئات السكانية المحرومة وكذلك المزارعين والعمال والرعاة في البلدان النامية، على أنه من بين «الأمراض المدارية المهملة».

في عام ٢٠١٩ أجرى المركز أول تجربة سريرية في العالم على هذا الورم، بدعم من منظمة الصحة العالمية والحكومة السودانية.

وعالجت عيادة موقتة في كسلا شرق البلاد ٢٤٠ مريضا مصابين بالورم الفطري، وفق منظمة الصحة العالمية.

وأعيد افتتاح مركز طبي آخر في قرية ود أونسة في جنوب شرقي البلاد، ويتلقى كلا المرفقين دعما من وزارة الصحة، لكنهما يواجهان تحديات تمويلية كبيرة، بحسب منظمة الصحة العالمية.

٢٢٦٧ طبيبا وطبيبة يجلسون لأداء امتحان الجزء الأول لمجلس التخصصات الطبية

○ دنقلا – «سونا»

● أكمل المجلس القومي السوداني للتخصصات الطبية استعداداته لعقد امتحان الجزء الأول (الاختياري) من امتحانات مجلس التخصصات الطبية، دورة أبريل ٢٠٢٥م، رغم التحديات التي تمر بها البلاد من انقطاعات في التيار الكهربائي وضعف في شبكة الإنترنت.

ومن المقرر أن يجلس للامتحان، الذي سيعقد اليوم السبت ٢٦ أبريل في تمام الساعة السابعة صباحًا، عدد ٢٢٦٧ طبيبًا وطبيبة من الدفعة (٥٣)، موزعين على ١٢ تخصصًا تشمل: الطب الباطني، طب المجتمع، الجراحة العامة، جراحة العظام، جراحة الفم والوجه والفكين، جراحة الأنف والأذن والحنجرة، جراحة العيون، جراحة الأطفال، أمراض النساء والتوليد، التخدير والعناية المكثفة، علاج الأورام، والأنسجة المرضية.

ويُعقد الامتحان على مدار ثلاث جلسات، تحت إشراف قيادات المجلس، برئاسة بروفيسور محمد المكي أحمد عبد الله، والأمين العام دكتور أحمد فرح شادول، وأمين الشؤون العلمية بروفيسور أحمد شرفي.

وصرح دكتور أحمد فرح، الأمين العام للمجلس لـ(سونا)، بأن الامتحان سيُجرى إلكترونيًا في ١٦ مركزًا، منها ١٠ مراكز داخل السودان، تشمل:

الأبيض (كلية شيكان)
كوستي (جامعة النيل الأبيض – كلية الحاسوب)
القضارف (جامعة القضارف – كلية الحاسوب)
كسلا (جامعة الشرق للعلوم والتكنولوجيا)
بورتسودان (الجامعة الوطنية – البحر الأحمر)
عطبرة (جامعة عطبرة – كلية الحاسوب)
شندي (جامعة شندي – كلية الحاسوب)
بربر (جامعة الشيخ البدري)
دنقلا (جامعة دنقلا – كلية التقانة)

أما المراكز الخارجية، فهي:
جدة (كلية ابن سينا)
الرياض (جامعة المعرفة)
الشارقة (جامعة الشارقة)
مسقط (Smart Platforms for Business Development)
الدوحة (مركز العطية للتدريب)
القاهرة (مركز فاطمة للتدريب)

هذا و تقدمت قيادات المجلس بالشكر والتقدير لكافة المراكز الداخلية والخارجية التي قدمت التسهيلات اللازمة لضمان قيام الامتحانات بالصورة المثلى.

انطلاق العمل التجريبي بمستشفى حاج الصافي ببحري وعيادات متخصصة للاستشاريين

○ الخرطوم – «فويس»

● دشنت وزارة الصحة ولاية الخرطوم، العمل التجريبي لمستشفى حاج الصافي بمحلية بحري، ونظمت اليوم الجمعة، عيادات متخصصة للاستشاريين بالتخصصات الطبية المختلفة بمبادرة من الأطباء بالجامعات السودانية بالتنسيق مع إدارة المستشفى لتقديم الخدمات الصحية للمواطنين المتواجدين ببحري، واستقبلت العيادات خلال اليوم (٣٠٠) مريض قاصدين التخصصات المختلفة، أبرزها الباطنية والروماتيزم والأطفال والعظام.

ووقف مدير عام وزارة الصحة ولاية الخرطوم د. فتح الرحمن محمد الأمين يرافقه مدير الإدارة العامة لطب العلاجي د. أحمد البشير فضل الله، على العيادات وعلى سير عمليات إعادة التأهيل بالأقسام المختلفة بالمستشفى.

وأوضح د. فتح الرحمن أن اليوم الصحي للاستشاريين الذي تم اليوم ببحري سوف ينتظم عدداً من المستشفيات بمحليات الخرطوم وشرق النيل، كاشفاً عن تشغيل أكثر من ٩٠٪ من المستشفيات والمراكز الصحية بمحلية أم درمان خلال المرحلة الأولى من الخطة الإسعافية التي نفذتها وزارة الصحة ولاية الخرطوم والتي يتم تشغيل المستشفيات والمراكز الصحية بمحلية بحري في مرحلتها الثانية لتقديم خدمات تخصصية للمواطنين.

وثمّن مجهودات جميع الاستشاريين القائمين على اليوم الصحي والدور الكبير الذي يتولاه المدير العام للمستشفى د. إدريس في هذه المرحلة، إلى جانب الدور المتعاظم لأبناء بحري والمقاومة الشعبية

وناشد الكوادر الطبية بالعودة للخدمة لسد الفجوة ومقابلة التوسع في تقديم الخدمات الطبية للمواطنين بمحليات الخرطوم السبع التي باتت تشهد كثيراً من الاستقرار والعودة الطوعية للمواطنين.

من جهته، أعلن د. إدريس عبد الله صالح، بدء العمل التجريبي لمستشفى حاج الصافي بعيادات خارجية منذ (٦) أيام خلت تستقبل نحو (٧٠) حالة في اليوم الواحد، مشيراً الى أن اليوم الجمعة صحي متكامل يتولى العمل فيه أطباء استشاريون بالجامعات السودانية من جامعة أم درمان الإسلامية وبحري والنيلين وشندي.

وأشار إلى أن إدارة المستشفى أشركت فيه معها المجتمع المدني في إعادة التأهيل، وتمكنت إدارة المستشفى من حفر بئر للمياه بإمكانها مد الأحياء المجاورة للمستشفى بعد ملء مواعينها الأساسية.

دعوة لأهل الحصاحيصا لتكريمهم والاحتفاء بهم

أسرة مستشفى الحلة الجديدة الخيري قصة من الجمال والعطاء .. لا تنتهي

○ كتب – وليد العشي

■ أصل الحكاية انهم رائعون .. اسما وقولا ومكانا وزمانا .. اسرة مستشفى الحلة الجديدة الخيري .. نضال وثبات وصبر طوال فترة الحرب لبوا نداء الواجب بعظمة وشموخ الابطال .. اطباء واداريين وكوادر مساعدة ومعامل وصيادلة وعمال .. سدوا الفرقة وتحملوا الصعاب والاساءات والاستفزازات والضغوط .. بروح المسئولية وبدافع الانسانية وعملوا ليلا ونهارا .. دفعوا من حر مالهم وبذلوا جهدهم في كل الاوقات وقدموا العلاج بالمجان لكل محتاج .. قصة ونضال وتضحيات وثبات .. سوف تظل على ذاكرة التاريخ والايام ... انهم لا يستحقون التكريم فقط بل يستحقوا ان تخلد اسماءهم في قلوب اهل السودان شكرا وعرفانا وامتنانا ..

تقديرا واحتراما على سبيل المثال والافراح .. الدكتور عثمان قنديل والدكتور محجوب حسن جلي والدكتور الهادي الطيب .. والمدير المالي الفارس عصام على العاقب وشباب الهمة مازن احمد الشيخ وعمر على حسن وغيرهم من الجنود المجهولين خلف الكواليس .. جميعهم ركازة صحة وعافية وشيالين تقيلة وواجب واخلاص ونكران ذات .. وهبوا انفسهم لكل المترددين على المستشفي من داخل وخارج محلية الحصاحيصا .. هذه دعوة لتكريمهم يا اهل الحصاحيصا والاحتفاء بهم والفرحة من اجلهم ..

انهم بكل الحب اسرة مستشفى الحلة الجديدة الخيري ..

همس الحقول
تصدر عن حركة السودان الأخضر

حكاية وطن أخضر

من جراح الحرب إلى خُضرة الأرض

السودان وأمل البيئة في يوم الأرض العالمي

بقلم: أ. د. طلعت دفع الله عبد الماجد *

□ يُحتفل بيوم الأرض العالمي في ٢٢ أبريل من كل عام لزيادة الوعي بأهمية حماية البيئة.

وفي عام ٢٠٢٥ يأتي الاحتفال تحت شعار «قوتنا، كوكبنا» والذي يذكّر العالم بأهمية التحرك الجماعي نحو مستقبل أكثر استدامة. يؤكد هذا الشعار دور الطاقة المتجددة كحل أساسي لحماية البيئة ومواجهة تغير المناخ ، حيث تُدعى الحكومات والمؤسسات والأفراد إلى مضاعفة الجهود والاستثمارات في مصادر الطاقة النظيفة. تعكس أهمية هذا الشعار إدراكًا عالميًا بأن قوة المجتمعات تكمن في قدرتها على التكاتف لحماية كوكب الأرض وتأمين موارد مستدامة للأجيال القادمة. إنه دعوة صريحة لتعزيز المشاركة المجتمعية والعمل الجماعي من أجل كوكب أكثر أمنًا وصحة، وخاصة في ظل تزايد تحديات التغير المناخي والتدهور البيئي.

أثر الحرب في السودان على البيئة

اندلعت الحرب بين القوات المسلحة السودانية وقوات الدعم السريع في أبريل ٢٠٢٣، مما أدّى إلى أزمة إنسانية حادة طالت البشر والطبيعة معًا. انعكس النزاع سلبًا على الغابات والتنوع الحيوي والمراعي في السودان، وفاقم وتيرة تدهور الأراضي بشكل غير مسبوق. فعلى صعيد الغابات، أدّى غياب الاستقرار الأمني إلى انتشار القطع الجائر للأشجار لاستغلالها في الوقود والبناء، خاصة مع صعوبة توفر مصادر الطاقة الأخرى. وتشير التقارير إلى أن نزاع دارفور تسبب في زيادة هائلة في قطع الأشجار لاستخدامها كفحم وحطب نتيجة انعدام وقود الطهي مثل الغاز.

هذا الاستنزاف المستمر للغطاء الشجري يهدد الغابات المتبقية ويقلّص موائل العديد من الأنواع البرية. أما بالنسبة للتنوع الحيوي، فقد تعطّلت جهود حماية الحياة البرية في المحميات الطبيعية بسبب انشغال الدولة بالنزاع، مما جعل الحيوانات البرية أكثر عرضة للصيد غير المشروع وللنفوق نتيجة تدمير موائلها. كذلك، تأثرت المراعي بصورة واضحة؛ إذ إن اضطراب حركة الرعاة والنزوح إلى مناطق جديدة أدى إلى ضغط كبير على المراعي الآمنة، فتدهورت نباتاتها جراء الرعي الجائر في بقع محدودة، في حين تُركت مراعي أخرى بلا إدارة أو حماية. هذا الخلل أسهم في تفاقم مشكلة تعرية التربة وزحف التصحّر في مناطق واسعة. وبشكل عام، يمكن القول إن الحرب لم تدمّر البنية التحتية والمنازل فحسب، بل طالت تأثيراتها الأرض نفسها والأنظمة البيئية الهشّة، تاركةً بصمة عميقة من الدمار البيئي يصعب معالجتها دون تضافر الجهود.

تحديات بيئية فاقمها النزاع

أدت الحرب الدائرة إلى تفاقم جملة من التحديات البيئية كانت السودان تعاني منها أساسًا، لتصبح أكثر حدة وإلحاحًا. فيما يلي أبرز هذه التحديات التي ازدادت سوءًا تحت وطأة النزاع:

إزالة الغابات والتصحّر المتسارع

تسببت الاضطرابات الأمنية وانهيار سيادة القانون في ازدياد عمليات قطع الأشجار بشكل غير قانوني للحصول على الأخشاب والوقود. وقد كان السودان يعاني أصلاً من فقدان مساحات شاسعة من غاباته نتيجة عوامل متعددة؛ حيث أشارت تقارير الأمم المتحدة ومنظمة الأغذية والزراعة (FAO) إلى أن السودان فقد ما بين ٢٥٠ ألف و١,٢٥ مليون هكتار من الغابات منذ عام ٢٠٠٥.

وجاء النزاع ليزيد الوضع سوءًا، مسببًا اجتثاث مزيد من الأشجار . تساهم إزالة الغابات في تمدد رقعة التصحّر، علمًا بأن نحو ٦٤٪ من أراضي السودان مهددة بالتصحّر بفعل عوامل طبيعية وبشرية ما يعني أن استمرار النزاع يُسرّع فقدان التربة لخصوبتها وامتداد الكثبان الرملية نحو المناطق الزراعية والرعوية.

النزوح البيئي وضغط السكان على الموارد: خلفت الحرب واحدة من أكبر حركات النزوح في تاريخ السودان الحديث، حيث أُجبر الملايين على ترك ديارهم بحثًا عن الأمان. وبحسب تقارير إنسانية موثوقة، فقد اضطر أكثر من ١٠ مليون شخص للفرار من مناطقهم منذ اندلاع النزاع ، منهم من نزح داخليًا إلى ولايات أكثر أمانًا، ومنهم من لجأ إلى دول مجاورة. أدى هذا النزوح الجماعي إلى ضغط هائل على الموارد الطبيعية في مناطق الاستقبال، سواء داخل السودان أو في دول الجوار. فتكدّس النازحين في مخيمات ومستوطنات مؤقتة حول المدن والقرى أدى إلى استهلاك مكثّف للمياه الجوفية ومصادر الغذاء والحطب. وتشير الشواهد من مخيمات اللاجئين على حدود تشاد إلى أن تدفق الآلاف من الفارين إلى بيئات هشة سبّب اجهادًا للنظم البيئية المحلية، بما في ذلك استنزاف الغطاء النباتي وتفاقم التصحر وتعرية التربة نتيجة الاستخدام المفرط للأراضي. كما تنشأ نزاعات على الموارد بين النازحين والمجتمعات المضيفة بسبب التنافس على المياه والحطب والأراضي الزراعية المحدودة.

تلوّث الموارد الطبيعية وتدهور نوعيتها: في ظل أجواء الحرب، تراجعت إلى حد كبير جهود إدارة المخلفات والمراقبة البيئية. فقد أدى القتال في المدن (مثل الخرطوم والأبيض ونيالا) إلى تدمير البنية التحتية لشبكات المياه والصرف الصحي والكهرباء، مما خلّف آثارًا بيئية خطيرة. على سبيل المثال، انقطاع خدمات جمع النفايات والتخلص الآمن منها أدى إلى تراكم النفايات في الشوارع ومصادر المياه، ما يهدد بتلوث التربة والمياه الجوفية. كما أن تسرب المواد الكيميائية والوقود من المنشآت الصناعية أو محطات الوقود التي تضررت بفعل الاشتباكات ساهم في تلويث التربة ومياه الأنهار. يضاف إلى ذلك أن الحرائق التي اندلعت في بعض المنشآت (كمستودعات الوقود أو المصانع) خلال القتال أطلقت انبعاثات ملوِّثة في الهواء، مما أثر على جودة الهواء محليًا. كل هذه العوامل أدت إلى تدهور نوعية الموارد الطبيعية التي يعتمد عليها السكان في سبل عيشهم، لتزداد بذلك معاناة المواطنين الصحية والاقتصادية.

السياسات والاتفاقيات الدولية ودور السودان فيها

على الرغم من الظروف الراهنة، لا يزال السودان جزءًا من الجهود الدولية لمواجهة التغير المناخي والحفاظ على الغابات والتكيّف مع آثار المناخ. ومن أبرز هذه الجهود السياسات والاتفاقيات الدولية التي انخرط فيها السودان والتي توفر إطارًا عامًا لحماية البيئة حتى في ظل التحديات:

مبادرة REDD+ للحد من إزالة الغابات: السودان مشارك في مبادرة خفض الانبعاثات الناجمة عن إزالة الغابات وتدهورها (REDD+) التي أطلقتها الأمم المتحدة. تهدف هذه المبادرة إلى توفير حوافز للدول النامية من أجل حماية غاباتها والحد من قطع الأشجار غير المستدام. وقد عملت الجهات المختصة في السودان قبل الحرب على إعداد استراتيجيات للادارة المستدامة للغابات بغية الاستفادة من دعم REDD+ المالي والفني. فالسودان يدرك أن الحد من إزالة الغابات لا يحمي التنوع الحيوي فحسب، بل يسهم أيضًا في تقليل الانبعاثات الكربونية ومكافحة التغير المناخي.

ورغم أن النزاع أعاق بعض برامج المحافظة على الغابات، فإن الالتزام السوداني المعلن بهذه المبادرة الدولية لا يزال قائمًا على المدى الطويل، أملاً في الحصول على الدعم الدولي لإعادة التشجير وحماية ما تبقى من غطاء شجري.

برامج التكيّف الوطني مع تغيّر المناخ

يُعتبر السودان من الدول الأكثر تأثرًا بتغيّر المناخ (من جفاف وتصحر وفيضانات)، وقد تبنى خططًا وطنية للتكيف مع هذه التأثيرات.

في إطار اتفاقية الأمم المتحدة للمناخ، أعدّت السودان في السابق برنامجًا للتكيّف الوطني يحدد الإجراءات ذات الأولوية لتعزيز صمود القطاعات الحيوية (كالزراعة والمياه والصحة) أمام تغير المناخ.

كما قدم السودان مساهماته المحددة وطنيًا (NDCs) بموجب اتفاق باريس للمناخ، والتي تشمل إجراءات لخفض الانبعاثات والتكيّف مع آثار المناخ. وتضمنت تلك الإجراءات مشروعات لتحسين إدارة الموارد المائية، وتطوير الزراعة الذكية مناخيًا، وبناء أنظمة إنذار مبكر للكوارث الطبيعية.

إن تفعيل هذه الخطط يتطلب السلام والاستقرار وكذلك التمويل والدعم التقني الدولي. وبرغم التحديات الراهنة، فإن وجود هذه البرامج والالتزامات يوفر خارطة طريق يمكن السير عليها عند عودة الاستقرار، لضمان ألا يتخلف السودان عن ركب الدول الساعية لحماية شعوبها من مخاطر المناخ.

كذلك السودان جزء من مبادرات إقليمية أيضًا، مثل مبادرة السور الأخضر العظيم الرامية لمكافحة التصحّر في منطقة الساحل،

دور المؤسسات الوطنية في حماية الموارد الطبيعية

رغم المصاعب، تضطلع مؤسسات الدولة البيئية في السودان بأدوار مهمة في حماية الموارد الطبيعية والتخفيف من آثار النزاع على البيئة قدر الإمكان. من أبرز هذه المؤسسات:

الهيئة القومية للغابات

وهي الجهة المعنية بإدارة الغابات والمحميات الغابية في السودان. تقوم الهيئة بوضع خطط للتشجير وإعادة تأهيل الغابات المتدهورة، كما تعمل على سن القوانين المنظمة لقطع الأشجار واستغلال الأخشاب. في ظل النزاع، تسعى الهيئة عبر ما تبقى من مكاتبها الفاعلة في الولايات الامنة إلى مراقبة عمليات القطع الجائر والحد منها، وتوفير شتول الأشجار للمجتمعات من أجل إعادة الزراعة في المناطق الآمنة. كما تساهم الهيئة في تنفيذ مشاريع الحزام الأخضر حول المدن للحد من زحف الرمال، بالتعاون مع منظمات دولية عند توفر الدعم.

الإدارة العامة للمراعي والعلف

تختص هذه الإدارة بحماية وتنظيم المراعي الطبيعية في السودان، وضمان استخدامها بشكل مستدام. فهي تضع خططا لتنظيم حركة الرعاة عبر المسارات التقليدية، وتوفر إرشادات حول أوقات الرعي المناسبة لمنع إنهاك النباتات. خلال النزاع، برز دور هذه الإدارة في توعية المجتمعات الرعوية النازحة بأهمية عدم الإفراط في الرعي في مناطق اللجوء، ومحاولة توفير بذور للأعلاف لزرعها في مواقع قريبة لتخفيف الضغط على المراعي. كما تعمل على مراقبة حالة المراعي عن بعد – قدر المستطاع – والتبليغ عن أي تعديات أو حرائق قد تندلع فيها. إن جهود هذه الإدارة تسعى لتفادي انهيار النظام الرعوي الذي يُعتبر عصب الحياة لملايين الرعاة ومربي الماشية في السودان.

إدارة الحياة البرية: وهي الجهة المسؤولة عن حماية التنوع الحيواني وإدارة المحميات والمتنزهات الوطنية (مثل محمية الدندر القومية وغيرها). تضطلع هذه الإدارة بمهمة مكافحة الصيد الجائر والتعديات على موائل الحيوانات، وتطبيق القوانين الدولية الخاصة بحماية الأنواع المهددة.

خلال فترة الحرب، ورغم شح الموارد، حاولت إدارة الحياة البرية تأمين المحميات الطبيعية قدر الإمكان ومنع استغلال غياب الأمن للصيد غير المشروع. إن دور إدارة الحياة البرية في هذه الظروف يتسم بالصعوبة، لكنه حيوي للحيلولة دون خسارة المزيد من الكنوز الطبيعية للسودان وسط ضجيج الحرب.

مساهمات منظمات المجتمع المدني في حماية البيئة

إلى جانب المؤسسات الرسمية، تلعب منظمات المجتمع المدني دورًا أساسيًا في حماية البيئة السودانية ونشر الوعي البيئي، لا سيما في ظل انشغال الدولة بالنزاع. وقد برزت عدة منظمات ومبادرات أهلية تساهم بفعالية في التخفيف من حدة الأزمة البيئية وتعزيز صمود المجتمعات المحلية:

الجمعية السودانية لحماية البيئة

تُعتبر هذه الجمعية من أعرق المنظمات البيئية في السودان، إذ تأسست منذ عقود على يد نشطاء وأكاديميين معنيين بالحفاظ على البيئة. تركز الجمعية جهودها على نشر الوعي البيئي عبر الندوات وورش العمل والحملات الإعلامية، وتنفذ حملات تشجير في المدن والأرياف لزيادة الرقعة الخضراء.

خلال فترة الحرب، لم تتوقف الجمعية عن نشاطها التوعوي، فقامت بإعداد نشرات توجيهية حول إدارة النفايات بشكل صحي في ظروف النزوح، وحثّت المجتمعات المحلية على حماية الأشجار في مناطقها وعدم قطعها إلا للضرورة القصوى. كما رفعت الصوت حول قضايا تلوث المياه وخطورة استخراج الذهب العشوائي (الذي يستخدم مواد سامة كالزئبق والسيانيد) على البيئات المحلية.

إن وجود الجمعية المستمر كجهة ضغط إيجابي يساعد في إبقاء قضايا البيئة ضمن أجندة الاهتمام العام حتى أثناء الأزمات.

جمعية البيئيين السودانية:

وهي من الجمعيات التي تأسست من داخل معهد الدراسات البيئية جامعة الخرطوم، وخرجت من الإطار الاكاديمي الي المجتمع، ومن أبرز أعمالها تبنيها لتقرير السودان للتنمية المستدامة بشراكة مع مركز ادج للاستشارات البيئية

بقيادة الراحل العلامة بروف حسن عبد العاطي، وقد شاركت الجمعية في حملات التشجير والتوعية واصحاح البيئة في الأحياء والقري بالريف السوداني.

حركة السودان الأخضر

وهي حركة شبابية نشطة ظهرت في السنوات الأخيرة، تضم متطوعين وناشطين يجمعهم حُبّ الطبيعة والرغبة في رؤية سودان أخضر مزدهر. تعمل هذه الحركة بأسلوب ديناميكي عبر منصات التواصل الاجتماعي وحملات ميدانية.

من أبرز أنشطتها حملات التشجير الجماعية في الأحياء والمناطق التي تضررت بيئيًا، حيث يقوم المتطوعون بزراعة الشتول ورعايتها، وكذلك تنظيم أيام نظافة عامة لجمع المخلفات وإعادة تدوير الممكن منها.

كما تهتم الحركة بمبادرات الزراعة الحضرية في المساحات الصغيرة بالمدن لتأمين خضروات محليّة وتشجير المدن والمستوطنات السكنية. ومع اندلاع النزاع، ركزت حركة السودان الأخضر جهودها على دعم الأسر النازحة عبر برنامج بنك البذور ومنافذ اخري وكذلك مواصلة برامج التشجير في الولايات الآمنة نسبيًا لتهيئة الأرض لإعادة الإعمار الأخضر بعد الحرب..

مبادرة الزريع السوداني

هي مبادرة أهلية مبتكرة انطلقت هذه المبادرة من مجموعة من المهندسين الزراعيين والشباب المهتمين بالزراعة المستدامة، وتهدف إلى نشر ثقافة التشجير والزراعة المنزلية في السودان. تقوم المبادرة بتوزيع بذور الأشجار المحلية والأشجار المثمرة على الأسر والمزارعين الصغار مجانًا، مع تقديم إرشادات حول طرق زراعتها وريّها، بهدف زيادة الرقعة الخضراء وتحقيق قدر من الأمن الغذائي الذاتي. ، ركزت مبادرة الزريع السوداني على دعم المجتمعات الريفية التي استقبلت نازحين، عبر توفير بذور سريعة النمو تساهم في استصلاح الأراضي المتروكة وزيادة إنتاج الغذاء محليًا. تعدّ المبادرة مثالًا حيًا على قوة المجتمع المدني في ابتكار الحلول ومساندة جهود الدولة تحت أي ظرف.

إن مساهمات منظمات المجتمع المدني هذه وغيرها تشكل شعاع أمل فهي تثبت أن حس المسؤولية تجاه البيئة متجذّر في وعي الشعب السوداني، وأن هناك من يهب لنجدة الطبيعة تمامًا كما يهب لنجدة الإنسان في أوقات المحن. عبر نشاط هذه الجمعيات والحركات، تتواصل رسائل التوعية وتستمر مشاريع صغيرة لكنها مؤثرة، تصون الأشجار وتحمي التنوع الحيوي وتزرع قيم الاستدامة في الأجيال الصاعدة.

نداء ختامي: مسؤولية جماعية من أجل البيئة

بينما يمر السودان بظروف استثنائية من النزاع وعدم الاستقرار، يبقى النداء مفتوحًا لجميع المواطنين ومؤسسات الدولة لتحمّل مسؤوليتهم البيئية المشتركة. إن حماية البيئة ليست ترفًا يمكن تأجيله حتى تنجلي الأزمات، بل هي ضرورة ملحّة تسير بالتوازي مع الجهود الإنسانية والإغاثية. فالأزمات إلى زوال والوطن باقٍ، ولا يمكن إعادة إعمار ما تهدّم إلا ببيئة سليمة قادرة على دعم الحياة والإنتاج. من هذا المنطلق، نحن مدعوون جميعًا – أفرادًا وأسرًا وجمعيات وشركات وجهات حكومية – إلى تبنّي سلوكيات صديقة للبيئة حتى في أبسط تفاصيل حياتنا اليومية. يمكن لكل فرد أن يساهم بزرع شجرة أو الحفاظ على شجرة قائمة بعدم قطعها عبثًا،

لنجعل من يوم الأرض ٢٠٢٥ نقطة تحول نؤكد فيها أن معاناتنا لن تُنسينا واجبنا نحو أرضنا. ولنهتف معًا بأن بيئتنا هي حياتنا، وبأننا مهما اختلفت توجهاتنا وتباينت رؤانا السياسية، نستطيع الالتقاء على هدف سامٍ يجمعنا جميعًا: أرض السودان أمانة في أعناقنا. الحفاظ عليها ورعايتها اليوم هو الضمان لمستقبل مزدهر وغدٍ أفضل لنا ولأبنائنا.

من أجل حاضرنا ومستقبلنا وكل الأجيال القادمة.

---

* مستشار بيئة وغابات وأستاذ جامعي وعضو مؤسس في حركة السودان الأخضر.

VOICE of sudanese community

السبت ٢٦ أبريل ٢٠٢٥م - ٢٨ شوال ١٤٤٦ هـ
SATURDAY 26 APRIL 2025 - ISSUE No. 31

«لا أحد يحكي سوانا»..

صحافيون يخاطرون لتغطية حرب السودان

○ الخرطوم - «أ ف ب»

● يضطر الصحافيون داخل السودان إلى العمل في السر وإخفاء هوياتهم، إذ يلاحقون ويعتقلون من قبل طرفي الصراع بسبب تغطيتهم للحرب والانتهاكات التي يتعرض لها المدنيون، واضطر بعض الصحافيين إلى التوقف عن ممارسة عملهم.

في مدينة الجنينة أقصى غرب السودان قرب الحدود مع تشاد، يتسلق صحافيون سودانيون جبل عمير لالتقاط شبكات الاتصال التشادية لمراسلة وسائل الإعلام التي يعملون فيها، بسبب انقطاع الاتصالات جراء الحرب.

ومنذ اندلاع الحرب قبل عامين بين الجيش السوداني وقوات «الدعم السريع» يغرق إقليم دارفور في ظلام إعلامي، بسبب انقطاع الكهرباء والاتصالات واستهداف طرفي النزاع للصحافيين.

وتقول الصحافية السودانية نون في اتصال مع وكالة الصحافة الفرنسية من الجنينة في إقليم دارفور «لا كهرباء ولا ماء ولا إنترنت»، مضيفة «نضطر للمشي مسافات طويلة لشحن هواتفنا» عبر ألواح الطاقة الشمسية المستحدثة.

التحديات التي تواجه الصحافيين السودانيين لا تنتهي هنا، ففي حال تغلبوا على العوائق اللوجيستية فإن فرص نجاتهم الجسدية أو الوصول إلى المعلومات والتحرك على الأرض أقل بكثير.

ملاحقة الصحافيين والتعرض لهم

خلال عام ٢٠٢٤، كان السودان إحدى أخطر الدول لممارسة الصحافة وثاني أكثر دولة يقتل فيها الصحافيون، بحسب لجنة حماية الصحافيين.

وطلبت نون وكل الصحافيين الذين تحدثت معهم وكالة الصحافة الفرنسية تغيير أسمائهم، حرصاً على أمنهم.

وتتابع الصحافية البالغة ٣٥ سنة أنه بعد تغطية هجمات لـ«الدعم السريع» في الجنينة، اقتحم مسلحون منزلها و«سرقوا كل معداتي. كانت لدي كاميرتا فيديو وكاميرا فوتو بملحقاتها. سرقوا كل شيء».

وفي عام ٢٠٢٣ شهدت مدينة الجنينة المرتفعة عن سطح البحر والمعروفة بمزارعها الخصبة مذابح، انتهت بمقتل ١٠ إلى ١٥ ألف شخص معظمهم من قبيلة المساليت، في سلسلة هجمات على أساس عرقي نفذتها قوات «الدعم السريع»، بحسب الأمم المتحدة.

وتتحدث نون عن اقتحامات أخرى استهدفت منزلها. وتروي «في المرة الثالثة التي اقتحموا فيها بيت عائلتي، ناداني أحدهم باسمي وسألني أين الكاميرات؟»، وعندها قررت النزوح مع عائلتها إلى ولاية القضارف في شرق السودان، وهناك أوقفها الجيش أثناء تغطيتها تجمعاً للنازحين بتهمة التعاون مع «الدعم السريع»، وأطلق سراحها بعد توقيعها إقرارا بعدم ممارسة الصحافة من دون «أخذ إذن الجيش في ما تكتب قبل النشر». ولم تعد نون لممارسة عملها الصحافي منذ أكثر من عام.

28 صحفياً قتلوا خلال عامين

8 قتلوا أثناء تأدية عملهم

90 في المئة أو يزيد .. فقدوا وظائفهم

5 صحفيات تعرضن للاعتداء الجنسي

550 حالة اعتداء موثقة ضد صحافيين

67 حالة توقيف تعرضوا للاحتجاز والاعتقال

وفقاً لمنظمة «مراسلون بلا حدود»، فر منذ بدء الحرب في السودان أكثر من ٤٠٠ صحافي إلى الدول المجاورة. وأصبحت وسائل إعلام كثيرة تبث من الخارج، تاركة صحافييها داخل السودان للعمل من دون مكاتب.

وداخل مدينة ود مدني في ولاية الجزيرة التي تعد سلة غذاء السودان، يربي الصحافي يوسف (٦٢ سنة) الماعز ويزرع الذرة السودانية الرفيعة (ودعكر) ويتبادل المنتجات مع جيرانه الذين يربون الأبقار.

ويقول يوسف إن آخر راتب تلقاه مقابل عمله الصحافي، الذي لم يتوقف منذ بدء الحرب، كان في بداية ٢٠٢٤، قبل أن تغلق الصحيفة التي يعمل فيها مكتبها داخل السودان وتنتقل للعمل من القاهرة.

ويؤكد يوسف أنه مستمر في تأدية عمله الصحافي معتمداً على الكهرباء من ألواح الطاقة الشمسية والإنترنت المتقطع. «أرسل الخبر للصحيفة وأنتظر أن يلتقط الهاتف الشبكة، ليتم الإرسال».

وانقطع تواصل يوسف مع صحيفته لمدة ثمانية أشهر أثناء سيطرة «الدعم السريع» على ود مدني.

ويشير يوسف إلى أن مسلحي «الدعم السريع» اعتقلوه من منزله خلال فبراير (شباط) ٢٠٢٤، «تم تقييد يدي وعصب عيني ووضع الجنازير في قدمي وبقيت في الحبس لمدة ثلاثة أيام بلا طعام أو دورات مياه». ويقول «سألني المحقق هل أنت صحافي؟ قلت نعم. قال لي هذه أكبر جريمة».

ولم يطلق سراح يوسف إلا بعد أن وقع عمدة الحي ضماناً بألا يخرج يوسف من منزله.

انتهاكات «لا يتصورها أحد»

يعمل إبراهيم (٣٠ سنة) مصوراً صحافياً حراً، وهو واحد من قلائل ما زالوا يعملون من داخل إقليم دارفور الذي يشهد معارك عنيفة، بينما يعاني سكانه الجوع.

وفي مدينة طويلة التي تستقبل عدداً كبيراً من نازحي الفاشر، يجلس إبراهيم وزملاؤه في مقهى لشحن هواتفهم على لوح للطاقة الشمسية مصنوع من مواد بسيطة ومتاح للاستخدام العام.

ويقول «هاتفي هو كل ما أملك للتصوير وتعديل الصور وتغطية» الأحداث في مدينة طويلة ومخيمات النزوح المحيطة بالفاشر، عاصمة شمال دارفور.

ويشهد إقليم دارفور أكثر المعارك حدة. خلال الأسبوع الماضي وحده، قتل ٤٠٠ شخص ونزح ٤٠٠ ألف آخرون نتيجة هجوم لـ«الدعم السريع» على مخيم زمزم قرب الفاشر، وفق الأمم المتحدة.

ويوضح إبراهيم أنه يضطر إلى ممارسة عمله «بسرية تامة. لو عرفوا أنني أقوم بتغطية الأحداث، قد يتم اعتقالي مرة أخرى أو قد يصادرون هاتفي».

وخلال يوليو (تموز) ٢٠٢٤، قبل نزوحه إلى طويلة من الفاشر اعتقل مسلحو «الدعم السريع» إبراهيم، «عذبوني لمدة خمسة أيام لاتهامي بأني عميل للجيش». ويضيف أنهم أخذوا كل ما كان معه من معدات ومستندات وأموال.

وبحسب نقابة الصحافيين السودانيين، قتل ٢٨ صحافياً سودانياً في الأقل وتعرض ٦٨ للإخفاء القسري أو الاعتقال منذ بداية الحرب.

وبعد واقعة الاعتقال، نزح إبراهيم إلى طويلة تاركاً في الفاشر ما تبقى لديه من معدات وكاميرات خوفاً من اكتشاف عمله الصحافي، في حال توقيفه عند نقاط تفتيش. ويتساءل إبراهيم الذي أرسل أسرته إلى خارج دارفور «من سيوصل ما يحدث في دارفور إن خرجنا كلنا؟ لا أحد يحكي ما يحدث في دارفور سوانا. والانتهاكات هنا لا يتصورها أحد».

خبراء يؤكدون لا يمكن أن تكون بديلاً لافتقارها إلى الدقة والمصداقية

صحافة المواطن تتجاوز الإعلام التقليدي في حرب السودان

○ الخرطوم - «إندبندنت»

● مع دخول الحرب في السودان عامها الثالث، أصبح المواطن العادي مصدراً رئيساً للأخبار بعد تراجع الصحافة التقليدية ضمن مناطق النزاع، إلا أن الخبراء يؤكدون أن صحافة المواطن لا يمكن أن تحل محل الإعلام التقليدي، نظراً إلى افتقار الإعلام الجديد الدقة والمصداقية، مما يتطلب التحقق المستمر من الأخبار.

منذ اندلاع الحرب الطاحنة بين الجيش السوداني وقوات «الدعم السريع» قبل ثلاثة أعوام، لم يلتزم أطرافها قوانين الحرب الدولية، بل أصبح الصحافيون هدفاً سواء بالاعتقال أو التعذيب وأحياناً القتل، في حين تعرضت معظم المؤسسات الصحافية للتدمير والتخريب المتعمد، بالتالي فر معظم الصحافيين من مناطق النزاع بحثاً عن الأمان، مما أحدث فجوة إعلامية كبيرة وجعل المواطن العادي الذي لم يترك بيته ومنطقته ومدينته مصدراً للمعلومة من خلال بثه المتواصل للصور والفيديوهات وكل ما يدور على جبهات الحرب من عمليات عسكرية وانتهاكات وغيرها من أحداث، حتى أصبح مصدراً رئيساً للخبر تتناقله الوكالات والقنوات الإخبارية والمواقع الصحافية المختلفة.

فإلى أي مدى استطاعت صحافة المواطن (الإعلام الجديد) أن تسد فجوة غياب الصحافة التقليدية المحلية؟ وهل يمكن أن تحل محلها وأن تكون أكثر تأثيرا لدى المتلقي؟

خالد فتحي.

الحلقة العميقة

عضو مجلس نقابة الصحافيين السودانيين خالد فتحي قال «بالفعل أصبحت مواقع التواصل الاجتماعي ذات أهمية كبيرة من ناحية تتبع الأخبار أياً كان نوعها، ليس في السودان فقط بل في جميع أنحاء العالم، حيث وصفها المتخصصون بالحلقة العميقة التي لديها قدرة على إظهار الحقائق وتعقبها وتوثق لها بصورة عميقة وسريعة، وهذا تطور طبيعي للإعلام، فإذا اعتبرنا مواقع التواصل الاجتماعي منصات للإعلام الجديد، وليست البديل لأنها ليست بديلة لمنصات الإعلام التقليدية، فيُعد ذلك من دون أدنى شك تطوراً طبيعياً نشأ في عالم الميديا».

وأضاف أن «في الماضي كان الصحافي مصدر المعلومات الوحيد، وكان الناس ينتظرون الصحف أو يشاهدون التلفزيون أو يستمعون إلى المذياع لمعرفة الخبر، لكن مع انتشار التكنولوجيا وتوسع مواقع التواصل الاجتماعي وانتشار المحتوى الرقمي، أصبح المواطن العادي يشارك في عملية الصحافة عبر الهواتف الذكية بصورة مباشرة، وسميت 'صحافة المواطن'».

وتابع أن «المواطن الصحافي انتشر في السودان بسبب غياب المؤسسات الصحافية التقليدية ضمن مناطق كثيرة منذ تفجر الحرب، نتيجة لعوامل كثيرة أهمها انعدام القضاء القانوني الذي يمكن الصحافة من تغطية الأحداث الساخنة، فطرفا النزاع لم يهتما بوجود صحافة تغطي الأحداث بصورة يومية، بل بات الصحافيون دائماً أهدافاً مشروعة، سواء عبر الإبعاد من مناطق النزاع أو الاعتقال والتشكيك فيهم والتضييق عليهم، مع خطورة وجود الصحافيين».

وقال فتحي «لا يمكن أن يكون توثيق الأحداث عبر الهاتف، وأن يكون بديلاً عن الصحافة التقليدية لأن الهاتف لا يستطيع أن يوثق الأحداث بطريقة متكاملة، فقد يقوم بتوثيق فوري سريع للحدث، لكن الصحافة التقليدية لديها القدرة على التحقق من المعلومات حتى الصحافة الأميركية اشتكت من التزييف العميق الذي يحدث في المشهد الصحافي القائم على البث عبر صحافة المواطن، بالتالي تأتي الحاجة إلى التحقق من كل ما ينشر من معلومات ومقاطع الفيديو، هل هو صحيح أم مفبرك؟ وهل هو حديث أم قديم؟ وهل أعيد إنتاجه وتدويره؟».

أهمية التقصي

وأردف فتحي أن «كل هذه المسائل يجري التحقق منها عبر الصحافة التقليدية التي تتميز بأهمية التقصي بصورة دقيقة من المعلومات والتحليل العميق، فضلاً عن التزامها المعايير الأخلاقية والقانونية، مما يصعب تحقيقه عبر صحافة الهاتف التي غالباً ما تفتقر إلى الدقة والموضوعية».

وزاد أنه «في ظل هذه المفارقات الواضحة نجد أن الصحافة التقليدية هي الأكثر مهنيةً لأنها تتيح فهم الأحداث على نحو أعمق وأوضح، فضلاً عن أنها تعرض الحدث بكل جوانبه وتستعرض الرأي والرأي الآخر وآراء المحللين من مختلف توجهاتهم».

وقال «صحيح أن مقاطع الفيديو التي وثقت ما دار من قتال وانتهاكات في مناطق النزاع، بخاصة في ولاية الجزيرة والتي جرى تداولها بصورة واسعة على مواقع التواصل الاجتماعي، تمثل شهادات حية وصادقة للأحداث، وهي معظمها التقطت بكاميرات مواطنين عاديين وتناقلتها وسائل الإعلام المختلفة، لكن هذا لا يجعلها بديلة عن التقارير الإعلامية التقليدية المحكومة بالرقابة والقيود الأخلاقية والقانونية، فعندما تحصر أعداد الضحايا في المجازر، يعود ذلك لمصدر مستقل، وهو أمر مهم».

ويرى فتحي أن «الناس فقدوا ثقتهم بالإعلام التقليدي لأسباب عدة، من بينها الضغوط الاقتصادية والسياسية والأمنية، وهي غير متوافرة في الإعلام الجديد الذي من دون شك يكمل للمتلقي صورة الحدث، لكن هذا لا يعني أن صحافة المواطن تملك القدرة على ملء فراغ الصحافة التقليدية، فالأولى لديها مشكلات على رغم سرعة انتشارها ومواكبتها للأحداث تتمثل في افتقارها إلى المعايير المهنية والدقة المطلوبة والتحقق من الأخبار، فضلاً عن المهارة في تناول المادة وصياغتها».

وأردف «بالتالي يظل الإعلام التقليدي منافساً قوياً في تناول الأحداث، ويعتبر حضوره مؤثراً في الساحة الصحافية، فيما يمكن وصف منصات الإعلام الجديد بأنها تقوم بالإمساك بطرف الخيط الذي تتعقبه الصحافة التقليدية».

إثبات الجرائم

من جانبها قالت المتخصصة في مجال الإعلام الإلكتروني نازك محمد «في نظري أن الإعلام الجديد غير مفهوم الإعلام ككل، وأصبح بديلاً لا يمكن إنكاره في توثيق ما يدور من أحداث، وشاهدنا ما أحدثه في السودان من توثيق لأحداث ثورة ديسمبر (كانون الأول) عام ٢٠١٩، بخاصة أعمال العنف والقتل وغيرها من الانتهاكات، بل ساعد في سقوط حكم الرئيس السابق عمر البشير، وأيضاً قام بدور كبير في الحرب الدائرة حالياً بنقله تطوراتها على الأرض وخارجها بصورة لافتة وحية وسط غياب الصحافة المحلية».

وترى محمد أنه «من المؤكد أن صحافة المواطن أصبحت اليوم الأهم في نقل الأحداث بصورة سريعة وأقرب إلى الواقع من الإعلام التقليدي الذي كان دائماً تحت سيطرة مؤسسات معينة، لكن صحافة المواطن كسرت هذا الاحتكار، فالمواطن هو الذي يكتب وينقل ويوثق الأحداث بصورة مباشرة، بخاصة في مناطق الأزمات أو الحروب وأقرب دليل ما يحدث الآن في حرب السودان حيث أصبح المواطن المصدر الرئيس للمعلومة والصورة ومقاطع الفيديو وغيرها».

ونوهت إلى أن التكنولوجيا منحت صوتاً للمواطن العادي الذي تحول من متلقٍ كما كان في السابق، قبل ثورة الاتصالات، إلى مشارك ومتفاعل، وأحياناً صانع للمحتوى والحدث.

وأشارت نازك محمد إلى أنه «لولا الإعلام الجديد وأعني هواة الصحافة من المواطنين العاديين لما وثقت الانتهاكات والجرائم التي ارتكبت خلال الحرب من خلال نقل الصورة القاتمة والسوداوية لها إلى العالم، مما أدى إلى زيادة الضغط على أطرافها من أجل إيقافها من جهة، وزيادة مناصرة ضحاياها من جهة أخرى، إضافة إلى إسهامه مستقبلاً في إثبات تلك الجرائم والانتهاكات لدى الجهات العدلية المختصة».

خالد فتحي: يمكن وصف منصات الإعلام الجديد بأنها تقوم بالإمساك بطرف الخيط الذي تتعقبه الصحافة التقليدية ..

التكنولوجيا منحت صوتاً للمواطن العادي الذي تحول من متلقٍ كما كان في السابق، قبل ثورة الاتصالات، إلى مشارك ومتفاعل ..

رحلة متعمقة في كتابات الراحل محمد خير عبد الله (٢-٢)

تحقيق: نبوية سرالختم

● المفكر والكاتب الراحل محمد خير عبد الله لم تكن وفاته مجرد حدث عابر في حياته الأدبية بل تجسيد لرؤيته التي عاش من أجلها فالموت في كتاباته أداة للتأمل في الحياة ووسيلة لفهم العبثية والوجود الانساني وأداة لمقاومة القمع والظلم كانت وفاته بمثابة اختتام طبيعي لفكرته عن الموت كوسيلة للإرتحال والتحول بل وايضاً إعادة تشكيل الفهم الأعمق للوجود لهذا كان مستعداً للموت ، ليس كخوف ، بل كتحقيق لقيم دافع عنها مثل : الصدق، المواجهة، التحرر.

المتأمل في كتابات الراحل يكتشف في كل مرة ان أعماله أظهرت الموت في العديد من الصور منها : انه وسيلة لفهم جوهر الحياة التي تمكن الشخص من خلال التفاعل معه وتقبله رؤية الواقع على حقيقته بعيداً عن الأوهام ففي «شجن الروح شغف الجسد» مثلاً يقول : «الموت ليس نهاية للوجود، بل بداية لفتح الأعين على الأشياء التي لم نكن قادرين على رؤيتها في حياتنا.»

أي ان الموت يفتح اعيننا على حقائق كانت غائبة عن اعيننا في غفلة الحياة التي حالت بيننا ومعرفة المعنى المقصود من وجودها بمعنى آخر ان فقدان الحياة إنكشاف لمعاني اعمق ومن ناحية اخرى فيقول: «في كل موت، هناك أسطورة تولد من جديد، وتفتح لنا الأبواب لقصص لم تكتمل بعد.» وأيضاً «عندما يموت الإنسان في هذا العالم، فإنه لا يموت فعلاً. بل يكتشف نفسه في تلك اللحظة التي تتخطى كل حدود هذا الواقع المؤلم.»

ويشير إلى تجربته الشخصية والتي تؤكد على سعيه الدؤوب في رحلة اكتشاف ما وراء الموت الحقيقي فيقول «كانت كل لحظة في حياتي تدور حول الموت، لكنه لم يعطني أبدًا إجابة. كان العبث هو الحقيقة الوحيدة التي اكتشفتها.» ويكتفي فقط بالإشارة إلى نوع آخر من الموت والذي يأتي في سياق النقد للواقع السياسي والاجتماعي ويحمل في باطنه جذوة الثورة على الواقع»الموت ليس نهاية؛ إنه حالة من التغيير، ومن التحول الدائم.» اذ ينظر إلى المتمسكين بحياتهم ويعيشون في ظل واقع ملئ بالظلم والقهر بأنهم قد خانو انفسهم في سبيل الهروب من الموت الذي تذوقوه عدة مرات ولم يستبينو حقيقته ويمكن ان نلمس هذا في جزئية من روايته «ليلة قتلني الرئيس» حين قال : «أنت تموت مرات عدة في حياتك، ولكن الموت الحقيقي هو الذي لا ينتظره أحد، حين تكتشف أنك كُنت نفسك في سبيل الحفاظ على الحياة.».

وهذا الاقتباس يؤكد الحقيقة التي اشرنا اليها والتي تقول ان الموت له عدة اوجه من ناحية فكر الراحل هناك موت حقيقي وموت غير حقيقي فالموت غير الحقيقي هو العيش في ظل نظام قمعي ويسعى له الكل بينما الموت الحقيقي الذي لا ينتظره احد هو التحرر من هذا القمع والاستغلال بما يمكن الشخص من اعاده بناء نفسه بعيداً عن هذا الواقع المظلم فالموت الأول خيانة والثاني إعادة بناء للنفس المحطمة بفعل الظلم ويستعرض الكاتب في روايته «لعنة الحنيماب» نماذج اخرى من الموت غير الحقيقي مثل ذلك الذي يحدث في لحظات المواجهة مع الذات في اوقات الصراع الداخلي واوقات الإصطدام مع الأحلام والتوقعات التي لم تتحقق فالموت

يبرز هنا كنتيجة حتمية للخيبة والفشل في تحقيق الذات وتلبية احتياجاتها في مواجهة المبادئ اي الموت يأتي في لحظة العجز النفسي والروحي فيقول : «نحن لا نموت من جروحنا الخارجية، بل من تلك التي تصيب أرواحنا عندما نتخلى عن أنفسنا.» ويؤكد على هذه الحقيقة التي آمن بها في روايته «سيرة قدرة» حين قال: «الموت الذي يلاحقني ليس ذاك الذي ينتظرني في النهاية، بل هو الموت الذي بدأ منذ اللحظة التي ابتعدت فيها عن نفسي.».

وهنا يجعل الراحل الفرق بين الموت في الحالتين اكثر وضوحاً فالموت الحقيقي كما اشرنا اليه في السابق كان الراحل يلاحقه ليستبين حقيقة لم تتكشف له بعد يرى فيها الخلاص وبين موت غير حقيقي يلاحق الراحل وهو موت يكشف حالة الاغتراب الروحي في ظل نظام قمعي يسوده القهر والظلم فالراحل وقتها لم يحن اجله الجسدي بل كان يحس ان روحه ستموت بالابتعاد المستمر عن جوهر وجودها في ظل واقع ملئ بالخيبات والتحديات والعجز وتعد محاولة التمييز بين الموت في الحالتين محاولة لإستكشاف حدود الوعي فالراحل يرى ان الحياة موت طويل رغم قصرها في إشارة إلى عمق المعاناة فيها والموت حياة قصيرة رغم طولها لسهولة إدراك الحقيقة بعدها من هنا يطرح الراحل فكرة لايمكن ان تتكشف الا من خلال التجربة الذاتية فيقول»أن الحياة والموت ليسا مجرد حقيقتين متناقضتين، بل هما جزء من دورة مستمرة تستحق التأمل العميق» ويمكن ان نلتمس ذلك في اقتباس من روايته «هذيان كهل» «الحياة موت طويل، والموت حياة قصيرة. ومن هنا تأتي المعاناة في محاولة الإلمام بما بينهما.».

وتعتبر الدعوة التي ارسلها الراحل كانت محاولة منه ازالة الوحشة العالقة بأذهان المظلومين والمقهورين عن الموت الذي يبدو في ظاهره مروعاً ولكنه يحمل في مضمونه التحرر النهائي والوسيلة الأنجع لتحقيق الحرية ففي رواية المانوس يحاول ان يخفف من هول تصورات المضطهدين عن الموت فيقول : «الموت لا يمكن أن يقتلنا في النهاية، لأنه ما من شيء يمكن أن يُقتل في هذا العالم الذي لا يزال فيه بعض الأمل في الهروب.».

فالموت الذي يهرب منه المضطهدون هو سبيل للحرية والعيش في ظل نظام غير عادل وقمعي هو ما يجعلهم يموتون عدة مرات في سبيل الهروب من الموت الحقيقي الذي يحقق الانفلات من القيود الاجتماعية والسياسية التي لا تتحقق فيها تطلعات الذات الانسانية فيقول» في عالم مغلق، لا فائدة من الحياة ولا من الموت. نحن ضحايا، والموت هو الحل الوحيد.» وأيضاً «قد يظن البعض أن الموت نهاية، لكنني أرى أن الموت هو بداية رحلتنا إلى عالم آخر لم نكن نعرفه بعد.».

ويقول أيضاً للفارين من حقيقة الموت إلى الموت على حافة القهر ان الموت الحقيقي في كل تفاصيل حياتكم وهو حالة تترصدكم ولا مفر منها اذ ما تكشفت عين بصيرتكم عنها ستجدون حقيقتها تتسلل اليكم بين الاحداث البسيطة في حياتكم اليومية أي أن الموت الحقيقي الذي تفرون منه هو معكم ولا يمكن بأي حال من الاحوال الهروب منه ويمكن ان نلتمس ذلك في جزئية مقتطفة من رواية «لعنة الحنيماب» إذ يقول «إن الموت ليس كائنًا بانتظارنا في الزمان والمكان، بل هو في التفاصيل الصغيرة التي لا نلاحظها في حياتنا اليومية.».

وبما أن رحلة البحث والغوص في كتابات الرحل محمد خير عبد الله تمثل الغوص في بحر لا قرار له لإرتباطه بالبحث عن حقيقة الوجود في معنى الحياة والموت ورسالته العميقة في هذا الجانب سنكتفي بالإشارة إلى ما قاله في روايته هذيان كهل «الموت لا يعنيني بقدر ما يعني لي أنني عشت في عالم بلا معنى، وأن تلك الحياة كانت تتجسد في خيالات سخيفة.» وبما قاله في روايته لعنة الحنيماب «الموت هو لحظة الانبعاث في جسد جديد. في الموت لا ننتهي، بل نعيد بناء أنفسنا كما نشاء.»

كلمات متمردة

السّاعةُ الآنَ....

سارة عبدالمنعم *

○ أقلِّبُ وجهَ وسادتي ذات اليَمين وذات الشَّمال، وأحلامي باسطةٌ ذراعيهَا رغماً عن أنف واقعٍ مستَحيل. قميصُ الصبر مقدُودٌ، وثُقبُ الحنين ذاكرةُ الأمس. والشَّوقُ كذئبِ «يُوسُفَ» لا ذنبَ له. والتَّوقُ يرتدي ثوبَ «زُلَيْخَا». وأصَابِعي قطَّعَهَا النَّدم. وأبواب بلادي مُغلَّقة على أهلي دُوني.

الساعةُ الآنَ .. جلسة ضَحِكَات أبي، يُدخِّنُ أنفاسَه، ويحتَسي من صَنيعِ أمي كُوبَ المساء. يُشاغِبُها تارةً، ويثيرُ خطوطَ جبينِها تارةً أخرى. بمثل هذا الوقت كنتُ أُغامزُه لنَفتَعِلَ حَراكاً (أقصدُ إفتعالَ شجارٍ نَحرِّض به ضَجَر أمي). وقبلَ أنْ تُمارسَ علينا غضب «الحكومة» فتمنع عنا العَشاء، نعُودُ لتَبْجيلِها، نقدِّمُ لها كلمات الحُب والإمتنان. وأضحكُ حين تنقلبُ الطَّاوِلَةَ ويقفُ أبي في صَفٍّ عزيزة قَلبِه ضدِّي. أذكرُ همسَه حينَ يقولُ .. (المرأةُ تَعشقُ بأذنها)، ويقهقِهُ حين أهمهمُ لأمي بأنَّ رجُلَها مُراوغٌ، وماكرٌ! لكنها، رغم كل محاولاتي، لا تثق في حديثِ سواه. حقاً، هو رَجُلٌ يُجيدُ صُنعَ الحُجَجِ وإختراقَ الأفكار بالمنطق.

الساعةُ الآنَ .. تَتَمطَّى شَوكَاتُها على جسد وحَدتي. تستَدعي تَفَاصيلَ بيتي : رائحة أمي، صدر أبي، وغضب شَقيقتي وصُراخَهَا حين يُخبرُهَا أبي أنِّي سرقتُ فُسْتَانَها، وتلكَ الأسَاوِر ...!!

الساعةُ الآنَ .. تُخبرني أنَّ كل ما نعتادُ عليه لا نشعُر به، ونفتَقدَه إنْ لم نَفقدَه.

الَساعةُ الآنَ .. طويلة ثوانيهَا، مشلولة دقائقها دونَهم ..

والآنَ .. أقلِّبُ حرفي، أكتُبُه وأحذفَه. أرتشفُ قهوَةً لا تَصحَبُها ضَحَكَاتُ سُكَّر. أنهضُ عن مقعَدِ ضَجَرٍ من ثقَل أفكَاري. أتقرفَصُ. أقفُ. أجلسُ. أتأفَّفُ. أنظرُ من نافذتي وأُطَارِدُ نظراتي التَّائهة. أُجاهدُ بكلِّ التَّجاهُل لأُخرسَ صَوتاً يهمسُ بي «كم الساعة الآن في بيتك؟»، وأستَخْفَ من غُصَّة شوقٍ تعتَري مجرَى تنفُّسي. أستَعينُ بأحلامي وأتجاسَرُ. أردِّدُ بصمت : «الساعةُ الآنَ ستَمضي، وحتماً سينقضي الوقت مهما أبدَعَتْ ثوانيه في تمهُّلها، ولستَ بصغيرةٍ فقد كَبُرتَ على البُكاء.

و ...

عذراً سيدي الحرف، فالساعةُ الآنَ تحتاجُ مني الهروب منكَ ومن الوقت، فلا شيءَ يؤجِّجُ الحنينَ ويهزمُ التَّجلُّد أكثر من افتقادٍ تأتي بِهِ الذِّكريَاتُ والتَّمني.

و ...

هذهِ الأغنيةُ تعجبُني (غدا تَجِفُ مَدامِعي .. غداً نعُودُ كما نَودُ)..

* كاتبة روائية.

البروف سعد يوسف عبيد يكتب لـ (فويس): النكبة (١٠)

أ.د. سعد يوسف

الحلقة العاشرة

○ (المخلوق المرعب) ○

● خرجت من المنزل بذات الذهن الشارد متوجهاً نحو شارع الأسفلت.. وقبل أن أضع قدمي على الأسفلت سمعت صيحات عالية بلغة لا أعرفها لكنني فهمت أن صاحبها يأمرني بالتوقف .. وقفت في مكاني ثم التفت ببطء نحو مصدر الصوت فوجدته متحركاً نحوي شاهراً سلاحه .. كان بالفعل مخلوقاً مرعباً يرتدي الكثير من الملابس يخلط فيها بين الأزياء البلدية والإفرنجية و كلها شديدة الاتساخ .. دارعاً حول رقبته شريطان من أشرطة الرصاص يتقاطعان عند بطنه و مطوقاً خصره بسلسلة من التمائم والأحجبة .. رفعت رأسي لأرى وجهه فكان لون الوجه كلون (الكدمول) فلم أميز من ملامحه سوى عينين حمراوين ..

وقف في مواجهتي ووجه سلاحه نحو جبهتي ثم وجه إلي سؤالاً لم أميز كلماته لكنني قلت له أنني أسكن في ذلك البيت وأشرت بيدي نحو بيتي .. ثم بدأ يصيح في وجهي والرزاز يتطاير من فمه .. لم أفهم كلمة واحدة من ما كان يتفوه به ذلك المخلوق ، بل لم أتمكن من التعرف على اللغة التي يخاطبني بها .. ظللت جامداً أحدق فيه .. صمت لفترة قصيرة ثم قذف في وجهي بكلمة واحدة نطقها في صيغة الأمر .. ثم كررها عدة مرات مشيراً بيده نحو بيتي ففهمت أنه يأمرني بالعودة .. حمدت الله و أسرعت في العودة و لم التفت إلا بعد أن بلغت باب البيت .. لم أدخل البيت و جلست على كرسي أمام الباب .. كنت أتلفت يمنة ويسرى أتأمل الشارع الخالي .. لقد تأخر جلسائي في الوصول .. كنت وحدي مشتت الأفكار لا يكاد ذهني يستقر على موضوع أقلبه في ذهني وأصل فيه إلى حل .

و أنا في تلك الحالة من التوتر والقلق ظهر لي من على البعد شخص قادم في اتجاهي .. اعتقدت أنه من سكان الحي .. كان نظيفاً مرتب الثياب المكونة من بنطال وقميص ولا يعتمر شيئاً على رأسه .. و عندما اقترب مني لاحظت أنه كان يدرع سلاحه على كتفه .. وقف على مسافة مني و صاح في لهجة فصيحة :

يا زول إنت قاعد هنا تعمل شنو ؟

ده بيتنا

قاعد برة ليه؟

الكهربا قاطعة

الكهربا ؟ ولا عاوز توصل المعلومات لي ناس الاستخبارات؟

(هنا بدأت أرتاب في أسئلته) الكهربا والموية الإتنين قاطعات ليهم كم يوم

الكراسي دي خاتيها لي منو؟

لي ناس الحلة

ناس الحلة ولا ناس الجيش

ناس الحلة

الساكن معاك منو؟

ولدي

ولدك ؟

أيوة

مشى وين ؟

ما عارف لكن بكون مشى مع أولاد الحلة يفتشو رغيف

أقيف على طولك

وقفت فرفع سلاحه و فك تأمينه .. إقترب مني ودار حولي ثم ألصق فوهة السلاح على مؤخرة رأسي

و..نواصل

قصيدة

اصبحتا كيف

د. عمر محمود خالد (السعودية)

يا بلد اصبحت كيف؟؟
وكيف عيونك من وجع سهر الليالي
الحائرة في الصيف والخريف
تسلم انت ..
من المصاعب.. والمتاعب
والجراحات والنزيف
اصبحتا كيف؟؟
اصبحتا كيف؟؟
وكيف اصبح النيل.. والنخيل
والبراحات.. والتلال
وكيف اصبحت عزة ف هواك
والسمرة والناس الطوال
وكيف نامت امدرمان هناك؟؟
والكورة كان مريخ هلال
وجمهورك الواعي وحصيف
اصبحتا كيف؟؟
وانا في ضراك
متوسدك صدر وجناح
اصبحتا كيف؟؟
وانا في حماك
متوسمك.. لمسة وفا
وساعة صفا..وبلسم جراح
واصبحتا كيف؟؟
وانا في رجاك
مستلهمك.. طلة ندي
وبسمة رضا.. ونجمة صباح
في حضنك الزاهي الوريف
اصبحت كيف؟؟
تسلم انت من المصاعب..
والجراحات.. والنزي

الفنّان إسماعيل الأزهري

بقلم : زين العابدين الحجّاز

○ التقيت بالزعيم إسماعيل الأزهري وجها لوجه و لأول مرة عندما توفي الشهيد عوض إبراهيم عبدالرحمن في ثورة أكتوبر حيث خرجت الجنازة من منزله في الحارة الرابعة بمدينة الثورة و كنت من ضمن المشيعيين .

في ذلك الموكب كان يمشي الى يساري الزعيم الأزهري مرتديا بدلة الدمور و منتعلا مركوب جلد البقر الى أن و صلنا مقابر البكري . بعد الدفن سمعت هتافا وشاهدت مجموعة من المشيعيين وهم يحملون السيد محمد عثمان الميرغني على الأكتاف و لكنه زجرهم بشدّة و أمرهم بانزاله فورا فهو بطبيعته مثل والده لا يحب الأضواء كما عرفت لاحقا .

المرّة الثانية قابلته في حوش عائلتنا بحي البوستة أوائل الستينات عندما حضر للعزاء في وفاة جدنا و القطب الإتحادي محمد طيب الأسماء أبشر .

المرّة الثالثة التقيت بالزعيم الأزهري في المسرح القومي بأ درمان عندما حضر الاحتفال بالعيد الأول لثورة أكتوبر .

قدمت العديد من الأناشيد في ذلك الحفل وكثلاثي قام الفنان صالح سعد والطالب أحمد أبو علامة والطالب الذى يمثله شخصي الضعيف من مدرسة أم درمان الأهلية الثانوية باداء نشيد « فجر اكتوبر» بمصاحبة فرقة موسيقى القوات المسلحة بقيادة الموسيقار محمد إسماعيل بادي «زقل». النشيد من كلمات الشاعر محمد عبد القادر كرف أستاذنا فى مادة اللغة العربية وتلحين عمر الفاروق محمد خير الكاتب والمحاسب فى مدرسة أم درمان الأهلية الثانوية فى ذاك الزمان .

فتحت الستارة وبدأنا النشيد و في تلك اللحظات شاهدت الزعيم الأزهري يجلس أمامي مباشرة في الصف الأول مع الحاضرين و يرمقني بنظرات ثاقبة فركزت مع تلك النظرات للحظات لدرجة أن الكلمات الأولى للنشيد قد ضاعت مني و «بقيت ساكت افتح و أقفل في خشمي في الهواء « وحمدت الله لوجود الثنائي معي .

المرّة الرابعة قابلت الزعيم الأزهري في عام ٦٧ عندما حضر لافتتاح مكتب الإدارة لجامعة أم درمان الاسلامية الواقع في شارع الموردة أمام سينما أم درمان . كان في ذلك الوقت رئيسا لمجلس السيادة و قد طلب بالاسم حضور الفرقة الموسيقية لمدرسة أم درمان الأهلية الثانوية لعزف السلام الجمهوري عند استقباله حسب البروتوكول و كنت من ضمن عازفي الفرقة . حضر الرئيس يصحبه ابنه الطفل محمد الأزهري لابسا بدلة ضابط جيش برتبة عقيد وكذلك يصحبه ياوره الخاص النقيب شرطة فاروق المفتي . بعد أن عزفنا السلام الجمهوري قصّ الشريط و دخل الى المكاتب و بعد ربع ساعة خرج وصافح فرقتنا فردا فردا مما رفع من معنوياتنا عاليا ثم غادر بعدها . المرة الأخيرة قابلته عندما جاء الى مبنى وزارة التربية والتعليم لحضور حفل تكريم وفد الطالبات الكويتيات أثناء زيارتهم للبلاد .

شاركت في ذلك الحفل بطلب من الرئيس الأزهري الفرقة الموسيقية لمدرسة الخرطوم الثانوية ممثلة في الطلاب الفاتح عروة و هاشم حمدالنيل ضيف الله و محمد حمو و السموأل و مجدي أبو الريش الى جانب الفرقة الموسيقية لمدرسة أم درمان الأهلية الثانوية ممثلة في محمد الفاضل شداد وعبدالحميد محمد أحمد و محمد الخير و الطيب مصطفى و شخصي الهزيل . عرفت لاحقا أن ابنه المرحوم محمد الأزهري قد التحق بفرقة موسيقى مدرسة الموتمر الثانوية عازفا بارعا على آلة الأورقن . بمناسبة فن الموسيقى أورد سكرتير مكتب الأزهري عبدالرحمن أحمد المهدي في مؤلفه (حكايات عن الزعيم الأزهري) أن رائد الصحافة الأستاذ بشير محمد سعيد في كتابه (الزعيم الأزهري و عصره) قد ذكر أن إسماعيل الأزهري عندما كان مدرّسا بكلية غردون التذكارية كان مسؤولا عن جمعية الموسيقى و كان يجلس وقتا غير قصير يستمع الى أعضائها يعزفون على العود و الكمان و يوجههم ويصغي الى ألحانهم بكل مشاعره في نشوة و طرب مكتوم ينم عنه بريق عينيه و ابتسامته . لم يعرف الأستاذ بشير بأنه كان عازفا ولكن أحد زملاء شبابه حدثه بأن الأزهري كان في ذلك الزمان يقتني آلة موسيقية . سامية ابنة الأزهري في مرجع آخر ذكرت بأنهم منذ الصغر كانت هناك آلة بيانو في منزلهم . في عام ٦٨ السيدة أم كلثوم سيدة الغناء العربي زارت السودان و قدّمت حفلا على المسرح القومي حضره الرئيس الأزهري . حرص على الاستماع اليها عندما كانت تغني وكان يتابعها بكل مشاعره في نشوة واضحة . سافر الأزهري الى مقديشو عاصمة الصومال مع وفد للمشاركة في مناسبة قومية و كانت قد سبقتهم فرقة فنية سودانية من ضمنها الفنان صلاح ابن البادية .

قدّمت الفرقة عرضا في حفل على المسرح حضره الرئيس الأزهري والرئيس الصومالي شارماركي حيث جذب ابن البادية الحاضرين بصوته الجميل و صفقوا له كثيرا عندما غنّا أغنية « سال من شعرها الذهب «و خصوصا عندما مدّ صوته طويلا في « فنن لا و لا فنن» . بعد العودة من الصومال تحدّث الأزهري مع وزير الإعلام عبدالماجد أبو حسبو مبديا اعجابه بصوت صلاح ابن البادية العذب و نفسه الطويل و مخارجه الجميلة للحروف واقترح عليه امكانية ارساله للخارج لدراسة الفن الأوبرالي لأن خصائص صوته تناسب فن الأوبرا . قال له أبو حسبو مداعبا : « لم نكن نعلم أنك فنان يا سيادة الر ئيس « فردّ عليه الرئيس : « أنا و لو أنني لم أمارس الغناء و لم أشارك « الشياليين « لكنني أتمتع بأذن موسيقية تفرّق بين الأصوات الجميلة و غير الجميلة . الطريف هنا أن الرئيس عنما ذكر الشياليين أراد أن يرد على أبوحسبو بنفس روح الدعابة فقد قيل أن أبو حسبو في شبابه كان قد اشترك ضمن الكورس المصاحب لأحد فناني الحقيبة في ذلك الزمان .

VOICE of sudanese community

السبت ٢٦ أبريل ٢٠٢٥م - ٢٨ شوال ١٤٤٦ هـ
SATURDAY 26 APRIL 2025 - ISSUE No. 31

النبض الإبداعي

إشراف - محمد نجيب محمد علي

رواية ملوك الكمنجة

د. أحمد الصادق أحمد - كينيا *

● بعد غيبة طويلة، عاد جمال محجوب الي عالم الرواية. فقد توقف لسنوات وانصرف الي كتابة الرواية البوليسية وباسم بيتر بلال. كانت اخر روايته «تلاشي خط الأفق»-٢٠٠٦، الي ان عاد الي المشهد بسيرته الموسومة «الخرطوم: المدينة والنهر والذكريات».

عاد جمال مرة أخري وبه شوق وحنين وبعودته لموارده الأولي، السودان عشقه الأبدي أو كما قال. عاد لما حلم بالكتابة عنه، ألا وهو الموسيقي والغناء وكيف أنه تربي في أجواء يسمع فيها حسن عطية وابراهيم الكاشف وعثمان حسين والبلابل. احتفت بها الأوساط الأدبية في ذات الوقت الذي احتفاء بعودته لعوالمه السردية.

في الجزء الأول من الرواية، بعتبات نصية من الحسين الحسن: كثير الغيوم قصير العمر، من الأغنية الأكثر شيوعا وتلق «حبيبة عمري». نلتقي الأستاذ رشدي مدرس اللغة الإنجليزية-راو عارف-ونستمع الي سرديته/سردياته من فضاء سردي واضح الملامح-الخرطوم بحري- في أزمنة متداخلة مع بعضها البعض وإيقاع سردي آسر. ومن متواتر حكاياته ندرك ان الأستاذ رشدي قد تم إيقافه بتهمة اشاراته واحالاته المتكررة لنظرية النشؤ والارتقاء لدارون. في ذات السياق يقول انها مؤامرة من زملائه وبقيادة مدير المدرسة. عاد الي منزله حيث يسكن مع والدته وعمه المتقاعد وذلك منذ وفاة والده. يطرق باب المنزل ولما فتح رشدي الباب، يطالعه وجه سيدة وعلى فمها سيجارة وبها بقايا جمال حزين. وسرعان ما تعرف العم ماهر عليها ولما تمضي بضعة دقائق ويفاجأ رشدي ولأول مرة بأن عمه -عم ماهر- كان عازفا شهيرا وان تلك السيدة الغامضة، كما بدت لرشدي، كانت فنانة/ مغنية ذائعة الصيت في زمن مضي وكان عمه أحد كبار العازفين في فرقتها الغنائية. وتكشفت حقيقة العم الذي يعلم رشدي أنه وعلى الرغم من تقاعده منذ زمن طويل الا أنه لم يتنازل يوما عن المغني أو حتى انه ترك شلته القديمة وأعضاء فرقته التي اشتهرت باسم «ملوك الكمنجة».

خرجت تلك السيدة بعد ساعات قضتها مع عم ماهر والذي بدت عليه علامات السرور البهجة. تطورت الأحداث من بعد ذلك وتسارع إيقاع السرد حتى لحظة اجتمع فيها أعضاء الفرقة الموسيقية الغنائية القديمة التي تفرق أعضاؤها أيدي سبأ، بعد سنوات عسف وعنف دولة مارقة، وقرروا أن يستعيدوا تلك الأزمنة الذهبية. وهكذا تسرب الي بيت العم ماهر، الذي هو ولي أمر رشدي المدرس المغضوب عليه بسبب عبارات خطاب الدولة الأيديولوجي عبر أجهزتها الأيدلوجية، ومن بعد مشقة وعنت عظيمين، أعضاء الفرقة الذين-وهذا ذكاء سردي عظيم من المؤلف، مثلوا كل ألوان الطيف الموسيقي في السودان: من تمتم الي دليب الي آخر شفرات وعلامات التنوع والتعدد والاختلاف في ذاكرة السودان الموسيقية. من تلك السيدة العظيمة الكناري، المطربة التي ذاعت شهرتها في سن مبكرة وبنت أختها شادية وهشام صديق رشدي وجون واو والمثقف والقارئ الحصيف والموسيقار المحترف آدم كادقلي وأخيرا متعهد الحفلات الموسيقية

الروائي جمال محجوب.

السيد غندوري. وتدور معظم أحداثها في الولايات المتحدة الأمريكية.

ربما كانت أزمنة الرواية المتخيلة التي تحيلك لذاكرة ملتبسة قليلاً، الا أن بضعة مشاهد وحوارات تحيلك لسنة الجراد- المجاعة وسنوات الجفاف والتصحّر البؤس الذي خيّم على أرض السودان وتتداخل الأزمنة فيما بين نهاية حكم نميري وما بعد الانتفاضة.

أشرنا الي أن جمال أفتي في هوامش توضيحية: انه لطالما حلم بالكتابة عن فرادة وتميز الموسيقي السودانية وأضاف انه كم انفعل بما حدث لكثير من الفنانين، الموسيقيون والمغنون لما حاق بهم من عنف وأذى ومنذ أن كان ينظر إليهم كصعاليك.

علي الرغم من قناعة رشدي باستحالة فكرة احياء مناشط جوقة الكمنجات الضائعة الا انه ولدهشته تواترت بروفاتها وسرعان ما استعادوا ألقهم بل واستعادوا التواصل الإنساني الحميم وازمنتهم الاجتماعية أيضا. هنا يظهر أحد متعهدي الحفلات الموسيقية ويدعي غندوري بزعم ترتيب حفلات في أمريكا. وقد كان. بمجرد وصولهم اكتشفوا ان فساد ونصب واحتيال غندوري. اختفي فجأة. وترتب على كل ذلك مواجهة أجهزة الهجرة ومطاردة تلك الأجهزة لهم. في ذات الوقت كان عليهم مطاردة مستر غندوري لاسترداد حقوقهم. في هذه الأثناء ازدادوا قربا من بعضهم البعض واندفعوا في تواصل حميم زادته الغربة والصقيع وملاحقة السلطات لهم ألفة ومحبة. وبقدرما تتوتر الأوضاع من حولهم بقدر ما ازدادوا قربا، طلعوا ونزلوا درجا واحدا كبير مئات المرات في سبيل فسحة من الأمن والاستقرار حينما ظهر الأمريكي الطيب والدو ليكون منقذهم بلا من ولا أذى. في لحظة تراجيدية تموت الكناري مما ضاعف من بؤسهم ... تتواتر الأحداث سريعا ليرتفع إيقاع السرد لتهدأ مرة ثانية ويعود الجميع بسلام.

الفصول من ٣٠ وحتى ٣٢ بها ذلك التوتر الدرامي من تكثيف للأحداث، هنا وهناك إشارات للأيديولوجي، الأثني و القبلي بل وحتى ضرورة أن دعم ذهاب الرئيس الي الجنائية، موسيقي من الشرق والغرب والجنوب والشمال وكأن جمال أراد للموسيقي أن تكون لغة قومية علي غرار لغة كونية تحدث بها العالم أجمع نواحي برج بابل و هو اللسان الذي علمه الله لأبينا آدم حتي يعم السلام هذا الكون، نتجاوز بها كل تلك الاحن و المحن و البؤس و الموات. اشارات متعددة لموسيقي الجاز والبلوز والراب: أجواء كلها موسيقي، ملوك وكنداكات.

في خواتيم الرواية نقرأ:

«يبدو أن رحلتنا تلك بمثابة (ضربة) البداية أفضت الي لحظة تاريخية. الثورة انطلقت. احتلّ الناس الميادين والساحات وطالبوا بسقوط النظام. يبدو انها بداية رحلة جديدة ... علي الأقل فان ملوك الكمنجة قد شكلوا مصدرا للإلهام ... و أسهموا و لو كان قدرا ضئيلا ... هنالك لحظات يسجلها التاريخ، أو تسجل في كتب التاريخ، الا أن هنالك لحظات أخري لا يقف عندها التاريخ أو كتبه و هذا مما يذكرنا بأن المعجزات واردة بل و ممكنة الحدوث، تأتي و تروح في رمشة عين، ننتزع الخلود في لمح البصر، تمكننا من الصعود الي السماء، الي الفردوس، ترتفع أرواحنا في ليلة حالكة و ملتبسة، و التي عاجلا أو آجلا سوف تنسدل سترها علي الكون كله، ان لم يكن ذلك هو جوهر الموسيقي، لا أدري ما هو!.»

* أستاذ جامعي وناقد.

مبدعون ...وشهداء ...

○ لم يسلم الأدباء ولا الشعراء ولا الكتاب من رصاص الحرب اللعينة. ومنهم من دفعوا أرواحهم مهراً لأحلامهم بالوطن والحياة.. هناك قصص وروايات كثيرة سترويها الأيام

(١) قصة اولى ..
يرويها الناقد خالد أحمد بابكر

الطيب أحمد الطيب؛ الصديق العزيز الودود المثقف، رحمة الله عليه، كان وثيق الصلة بالكتاب والمعرفة والثقافة. انحاز منذ وقت باكر من سني عمره للكتاب ومطالعته، فظل هائمًا به وباحثًا عنه في كل مكان يمكن أن يعثر فيه على كتاب قديم أو جديد لم يتلقّفه الناس بعد.

الطيب أحمد الطيب.

كما عُرف عنه ولعه الكبير بالكتب القديمة النادرة التي يصعب الحصول عليها، فكان ملجأ كثير من أصدقائه ومعارفه من الباحثين والكتّاب ممن حملتهم أقدارهم على أن يكونوا خارج البلاد، ليستعينوا به في البحث عن كتب ومراجع لا يجدون لها سبيلا في الخارج. كما كان الراحل الطيب من محبي وقرّاء المفكر والكاتب الماركسي الكبير سمير أمين.

ولا أغالي إن قلت إن الطيب يكاد يكون قرأ كل ما كَتَب سمير أمين من مؤلفات ومقالات وترجمات، وتجده يحفظ كثيرًا من المصطلحات والتعبيرات التي كان يستخدمها سمير أمين في كتاباته ونقده الرأسمالية الذي لم ينقطع إلا برحيله.

رحل الطيب قبل أشهر قليلة بسبب الحرب الغاشمة الطاحنة إثر إصابته برصاصة الدعم السريع، وفقًا لإفادة أسرته، في داره العامرة بالمعرفة والثقافة.

محمد الامين النور إسماعيل

(٢) قصة ثانية ..
الشاعر محمد الامين النور اسماعيل

تقول الشاعرة ابتهال محمد مصطفى أن ما بلغهم أن الشاعر محمد الامين استشهد بمنزله بالصالحة وهو يقاوم فى أربعة ملثمين دخلوا عليه وأصابوه وكان فى معيته أحد اخوته ..ويضيف الشاعر يوسف عبد الرضي أن محمد الأمين كان قد عاد قبل فترة وجيزة من مسقط وهو شاعر مجيد يكتب بالفصحى والعامية وهو أحد مؤسسى منتدى حسن الزبير بمركز شباب امدرمان وهو مؤرخ مميز لحركة الفن وكانت له مشاركات واسعة فى الفعاليات الثقافية وهو من مواليد منطقة بارا ..ومن أبيات إحدى قصائده يقول عن الشعر

الشعر يكتبني فكيف ألام
انا لست أكتبه. ولا الأقلام
انا لا انام الليل. بين رحابه
لكنني بين. الحروف. أنام

من البلكونة

هذيان

ملكة الفاضل *

○ كان علي التعود على ذلك الضوء الباهر الذي يغشى الأعين ثم ينزاح عن ضياء مرتعش أو ساحات من العتمة. كان علي أن أعرف لماذا ذلك القلم متناه الصغر يظهر منهمكا في خط الحروف والكلمات على الجانب الآخر ثم ينهكني التقوقع في انتظار رسالة لا تصل. هذا الأمر ظل يتكرر معي كثيرا حتى اضطررت للاستعانة بصديقتي لتعطيني تفسيرا للأمر. وافقت انصياعا لرغبتي فأرسلت لها نماذجا من الرسائل الواردة والردود الصادرة التي احتشد بها بريدي. قالت لي في أولى رسائلها:

– ما تكتبيه أنت لا يعجبهم.
– أنا أرسل الرد المناسب.
– مناسب في نظرك. غير مناسب في نظر الكائنات الاسفيرية القابعة على الجانب الآخر . هذا يتحدث عن جمال عينيك فتسألينه عن رأيه في مقتل الصحفي الشهير. وهذا يكتب لك «سال من شعرها الذهب» فتردي بأنها أغنية لصلاح بن البادية.
– وأين هو الشعر الذي يسيل منه الذهب؟
– ولو. هو يعتقد بأن صورتك المعلقة في (البروفايل) ليست لك. المهم..

وهذا يا صديقتي العزيزة تحكي له عن عصفور يحلق خلف نافذتك بينما يتوقع صورة منك تلتقطها كاميرا الجهاز الذي تتواصلين من خلاله من موقع الحدث. وهذا يقول لك يا «عسل» فتردي له بعلامة استفهام وتعجب. هههه .. وهذا يطلب رقم هاتفك وتردي عليه بمساحة خالية.

– أفضل من الحظر على الأقل . لماذا رقم هاتفي؟
– حتى يتأكد من أنك كائن موجود حقيقة .
– أنا أتواصل إذن فأنا موجودة.
– ليس كفاية.
– أنا موجودة وسأكتب ما ينبغي علي كتابته.
– إذن سيظل القلم يكتب من هناك رسائلا لا تصلك هنا.

ما ذكرته صديقتي ظل يشغل بالي إلى درجة أنني ظللت أعقد مقارنات بين رسائل من تعرفت عليهم في (مونز) ووجدت أن ما ذكرته ينطبق على الجميع إلا أنت.. لم تستغرب تشجيعي لفريق كرة القدم أو تبد استنكارك بل وأخبرتني عن لعبة التنس التي تستحوذ على كل اهتمامك ومع ذلك بدأت ترسل لي أخبار فريقي المفضل ولم يظهر القلم المتناهي الصغر وهو يكتب رسائلا لا تصل.

وتعود صديقتي للتعليق على المزيد من الرسائل التي تصلني فتكتب:

– هذا يقول لك متسائلا، حدثيني عنك» هل أنت ممتلئة الجسم أم نحيفة؟». فتقولي له أيتها الفيلسوفة الحسناء :» ما رأيك في تجارة البشر؟ أليست هي الشكل الحديث لتجارة الرق؟ «. ولما يصهين عن سؤالك يعيد عليك سؤاله « نحيفة أنت أم ممتلئة؟»
– ماذا يهمه إن كنت نحيفة أم ممتلئة؟... على العموم أنا أخبرته بأن هذا شيء لا يخصه. وجاءت رسالة صديقتي تماما كرسائل تلك الكائنات :
– هههههههه.

شد ما أمقت هذه الضحكة . من الذي قال أن الضحكة تكتب هكذا؟ كنت أرى في مرسلها أحد تلك المخلوقات التي تظهر في أفلام الخيال العلمي وتبعث في النفس الاضطراب. كانت الضحكة تنتصب على الشاشة الصغيرة كلما عبرت عن نفسي بصدق وواقعية يصفني بها كل من عرفني. هذا السؤال بالتحديد عندما طرحته على بعضهم في (مونز) أجمعوا على التهرب ولم أر من جانبهم أي شيء سوى قلم متناه الصغر يكتب ولا تصل رسائله. إلا أنت . عندما طرحت عليك السؤال نفسه أعلنت رأيك بوضوح ثم أحلتني على عدد من الروابط التي أضافت لي الكثير عن تجارة البشر .

لا أكتمك القول بأنني ظللت لوقت طويل ضحية الخوف من أمرين أولاهما أن يظهر القلم متناه الصغر وهو يكتب رسائلا منك ولا تصلني والثاني أن تنطلق تلك الضحكة الاسفيرية من حيث أنت. ولكن ولله الحمد فانه ورغم كثرة الرسائل بيننا ورغم كل التساؤلات التي ظللت أطرحها من جانبي إلا أن القلم متناهي الصغر لم يظهر وهو يخط رسائلا لا تصل ولا تلك الضحكة انطلقت مثل قذيفة رعناء لتصيب سقف توقعاتي في مقتل. ظللت دائما هناك حضورا أخاذا يشجب بكل هدوء فوضى هذه العوالم الافتراضية وما تخلفه من تشظي وضجيج.

هذا الكل شيء الافتراضي كيف حل بين ظهرانينا فجأة ليشكل ويطوع أوقاتنا كما شاءت لها الأسافير؟ ومن نحن؟ وما هيتنا؟ وهل نحن الذين ندير هذا العالم الافتراضي أم أنه هو الذي يديرنا ويصنع في نفوسنا كل هذه المشاعر المختلطة والتحدي والغرائب والتناقضات؟ ومن اخترع وسائل وجود هذا العالم هل كان يتخيل أن اختراعاته ستؤدي إلى خلق عالم مكتظ بشعوب تضحك بلا سبب وتبكي لأي سبب وتكتب رسائلا لا تعرف الوصول وترسم القهقهة حروفا تبعث القلق والخوف بدلا عن الراحة والطمأنينة؟

حاولت أن أحصل على إجابات على ذلك «الهذيان» كما وصفه القلم متناه الصغر ومثل صاحبه أو صاحبته تلاشى بين طيات الأسافير مفضلا باب المغادرة . أرسلت هذياني إليك فأرسلت لي من الرسائل ما جعلني أتخلى عن طرح تساؤلاتي على الآخرين في (مونز).

* كاتبة وروائية.

الروائي السوداني الزين بانقا:

الكاتب في محنة ويعاني من الإهمال

□ الزين بانقا من أصوات الكتابة السردية الجديدة في عالم الرواية ، والتي تبوأ أحد مقاعدها في فوز روايته (أبجدية العشق والأرض _ مخمسات ضوين الأعرج) بجائزة الطيب صالح العالمية للإبداع الكتابي في دورتها الأولي عام ٢٠١١ ..

وتوالت من بعدها إصداراته (الغناء في مغارة الذئاب _رواية) و(عروس جدي حسب الله _مجموعة قصصية) و(وزهرة الصبار) ..و الجزء الثاني من رواية (_تبلديات كوكو القصاري)..
وللزين بانقا عالمه الخاص الذي يمارس تسكعه في شوارعه ومدنه وقراه بحرية جعلته يهجر عالم الوظيفة إختيارا ورغبة في تأسيس مشروعه الإبداعي .. مابين السفر والحلم والمقاهي الشعبية والتأمل والكتابة ... إلتقيته .. بأكثر من سؤال .. وكانت جلستنا

□ حوار : محمد نجيب محمد علي

● **لنبدأ حديثنا بملامح السير الذاتية ؟**

– أين ولدت ؟ .. أين درست ؟ هذه الأسئلة أضاع لمعتها تكاثر الإستهلال بها ، وعلي العموم أستطيع أن أقول أنني ولدت بمدينة النهود ، وتناولت جرعات أكاديمية متقطعة هنا وهناك وإنتهت بالقطيعة بيني وبين المؤسسة الأكاديمية ومع ذلك تواصلت لهفتي علي طلب المعرفة ..

● **لماذا كانت هذه القطيعة .. ؟**

– حالة المتسكع ظلت تلازمني منذ بدأت محاولاتي في الكتابة ، إنها تشكل معالم حياتي ، ملامح ثقافتي ، وجوه الغضب ، والحزن ، والأمل التي أقابل بها هزائمي ، ..

● **هل كان ذلك تمردا ؟**

– هو الإنفلات من أسر الأشياء ، محاولة الإحاطة بالمكان بعيدا عن القوقعة والتيه في نفق الحياة ، إلتقاط الدلالات بمشاعر من يبحث عن ما ينبغي أن يقال . لم أكن أكاديميا ناجحا ، أو أفندية مميزا ، ولماذا أكون كذلك وقد سبقتني رغبتي إلي كسر نمطية عصري ؟ كان السفر ، ونهم القراءة ، والإلحاح علي التعبير من خلال الكتابة يبتلع الفرص الأخري ، وكانت النهود مدينة تطفح بالترانيم والكتب ، عامرة بالأندية الثقافية والمنتديات ، حيث تستطيع لو تغلبت علي الرغبة في النوم وأنت صغير أن تشهد ليلة شعرية يكون من أبرز نجومها تاج السر الحسن ، والحسين الحسن ، وبشير سر الختم ، وعثمان آدم بيلو ، وقد تساعدك حظوظك فتحضر عرضا مسرحيا لهملت في نادي السلام ، أو ليلة غنائية يشارك فيها هاشم العوادي ، ومووردة ، وصديق عباس .

● **وماذا عن بدايات تجربة الكتابة ؟**

– تراكم قراءات ...قديم شائق أفلح في إقتناصي لأتعارض بقوة مع عقلاء عصري ، يلح علي الإعتقاد بأن لدي ما ينبغي أن أقوله ، لقد إستحالت هزائمي ألي مشاريع تقاتل لتصبح ممكنة ، كانوا يدهشون هل يقرأ هذا الولد علي صغر سنه لهؤلاء الكبار ؟ ولقد قبلت التحدي بشيء من (أن أكون أو لا أكون) فأغرقت مجلة هنا أمدرمان وجريدة كردفان بمحاولاتي المتعثرة المضحكة . كان قدري يضعني دائما بمواجهة مأزق الذات .. أن أطرح أسئلتي التي تتسع لتشمل الفضاء الميتافيزيقي وتندغم بذاتي لتعزز محنة صيرورتي .

● **و بدأت الكتابة بالقصة القصيرة ثم جاءت الرواية .. هل تبدأ الرواية بفكرة القصة القصيرة ؟**

– بعد بيان التأثيرين تمت إذابة الكثير من الحدود والفواصل وإستفادت الرواية من هذا الفضاء المتسع ، فراحت تعيد تشكيل نفسها وتجادل فيزياء عصرها . لم تكن تجاربي في كتابة القصة القصيرة إلا محاولة لدخول عالم الرواية الذي أحبه ، وإقتضي مني الأمر كل هذه السنوات لأمتلك القليل فقط من طرائق وأساليب السرد الروائي ، وأنت تري بأنني لست سوي صاحب محاولات ترفض تأطير النص السردي وإغراقه في جمود الحكي .

● **الناقد مجذوب عيدروس قال أن هناك إنفجار روائي يحدث في السودان .. كيف تفسر ذلك ؟**

– عيدروس محق فيما ذهب إليه فلقد لمس بشفافيته النقدية حقيقة الأمر ، إن ما يحدث في السودان هو ثورة معرفية وإنفلاق إبداعي عن مجرة الخواء والصمت ، فلقد إستحالت كل شروط الموت المفروض علينا إلي شروط بعث وحياة . الرواية تتحسس طريقها بقوة وثبات ، رغم صعوبتها وشح الوقت الممنوح لها ، وتعقد البنية السردية عموما بسبب إنجازات كتاب إنجلترا ، وفرنسا / وكتاب الإسبانية واليابانية المعاصرة ، وكتاب أفريقيا وحتي كتاب العربية ، وكم أشعر بالفخر والإعتزاز بهؤلاء الذين يبدعون في ظل هذا الفناء المصنوع ، ينتجون أدبا يتحسس طريقه ألي العالمية ، وهم غارقون في الإلحاح علي طلب لقمة العيش دون أن يحفل بهم أحد .

● **ماذا تعني ؟**

– الكاتب في محنة ويعاني من الإهمال والمؤسسات لا شأن لمن يديرونها بالثقافة وقضايا المعرفة ، أنظر ألي المغرب بلد يزاحم إلي العالمية بكل قوة ، كان أحد وزراء ثقافته روائيا نال جائزة بوكر العربية (محمد الأشعري) أنظر إلي تجربة كتاب الجزائر وما تفعله مصر لكتابها

● **الزين بانقا يكتب من ذاكرة الهامش ، من القرية القديمة ..إلي ماذا يعود ذلك ؟**

– نعم أنا أحتفي بالمكان ، البيوت ، الأعشاش المتداعية ، القري المهجورة ، الدروب المترية وهي تصارع لتبقي ، الأناس الشاحبون ، الطيور والدواب ، تقاسيم الصمت والصخب ، الأعماق المنفتحة في هذا الجدل المسكون بالكآبة ، الترانيم الخفية والبكائيات والأغاني ، أهوية الوديان الغامضة . (الأبيض) باعة الأقاشي والطعمية ، وبائعات الشاي والقهوة ، الأحياء القديمة المتجدد منها والخرب ، موشحات العشق وتقلباته ، القراءة كشرط بقاء ، الكتابة في الهواء الطلق كمتعة وشرط إستمرار ،وكما يقول يوسف القعيد (البديل الوحيد للإنتحار)

● **الراحل عيسي الحلو ذهب في مقال سابق له إلي أن الكاتب السوداني لن يحقق إبداعه إلا من خلال وجوده داخل البيئة التي يكتب عنها ، وقال إن الطيب صالح من روجت له هي الثقافة الغربية .. وهذه تجربة لن تتكرر..؟**

– كان عيسي الحلو محق فيما ذهب إليه لأن غياب المعرفة بالواقع الذي تستهدفه تجربة السرد يفقر النص ، فقد إستفاد الطيب صالح كثيرا من تجربته في ملامسة الثقافات التي كانت ترسم ملامح الإبداع العالمي في ذلك الوقت ، أما الآن فلقد تداخلت الثقافات وتطورت وسائل نقلها والتعبير عنها ، ولكي ننتج ثقافتنا علينا أن نتجزر في رحمها ، لقد كسرت التجارب الإبداعية الآتية من أفريقيا واليابان وأمريكا اللاتينية هذا الإحتكار .

● **كيف تنظر إلي المشهد الإبداعي الآن؟**

– الشعر يتهيأ ليستوعب في داخله شروط التحديث التي فرضتها المعارف المتاحة ، والجماليات المتجددة ، وحتمية الثورة ، والتقنية . والمسرح ماذا نريد أن نقول لعالم بلا مسرح ؟ والقصة القصيرة جيدة جدا وهناك الكثير من الإبداع القصصي الذي يزاحم علي العالمية مسكوت عنه . أما النقد هذا هو المأزق الكبير

● **ماذا عن المسابقات الإبداعية ، كيف تنظر لها .. هنالك من يري أنها (فائض إبداعي) ؟**

– المسابقات رغم أنها تحفز وتساعد علي تحرير المبدع من أسر الفقر إلا أنها لم تتوفر علي النجاح المقصود ، ربما لأن المقاصد في الأصل لم تكن تعني بالكاتب ،إنها إحتفالية وتظاهرة لابد أن يسبقها عمل دؤوب في الإعتناء بالكاتب لتعود علينا جميعا بالكسب الذي يعزز ثقافتنا بين الأمم ماذا لوبادرنا بمنح التفرغ للمبدعين ؟ لو عملنا علي طباعة الإنتاج الثقافي والترويج له وتسويقه ؟ لو عملنا علي إعمار المكتبات وتنشيط أسواق الكتاب ، ودعم المنتديات ؟ وإلا كيف تطلب من هذا الحصان المتعب المسلوخ الظهر والذي يجر عربة الكارو طيلة النهار ،أن ينافس ذلك الحصان الأميري الذي يعيش كما الأمير نفسه ؟

برأيي أن الجوائز تستحق المجازفة رغم إختلال قاعدة الفوز ، التي تقلل من فرص فوز ذلك الحصان المسكين ، وأظن أن السؤال الأساسي حول أهداف هذه المسابقات لم يطرح بعد ، أو لم يعرض علي نحو كافي للنقاش ، فإذا كان الهدف هو الإرتقاء بالفنون والآداب فلابد أن نبدأ بالمبدع نفسه / مالذي يحتاجه ؟ ومالذي يعمل علي إعاقته ؟

● **زهرة الصبار روايتك إقتربت كثيرا من المسكوت عنه ؟**

– زهرة الصبار رواية ذات بناء خاص وهي في بنيتها الفنية تحاول الإضافة والتجديد في بنية السرد الروائي ، مستخدمة تعدد الشخصيات الفنية بالمفاهيم والدلالات ومرتكزة علي قضايا لا تزال تلح علي الناس كقضية الرق .. والمسكوت عنه في تراثنا وواقعنا ومفاهيمنا قد يستوعب أعمال الجيل الحالي والقادم كلها بعض أساطير إتخذت لنفسها قناعات وبعض مفاهيم أخطأت سبيل الحقيقة ونامت في برك الجمل . والكثير من المعتقدات والمتخيلات التي تملأ الذات وتفيض ولا يستطيع المبدع الإقتراب منها لأنها إتخذت شكل القداس .. زهرة الصبار لن تكون الوحيدة بالنسبة لي أوحتي لغيري التي يتعين عليها أن تقتحم أودية المسكوت عنه وتجهر بالحقيقة

● **هل أصبحت الرواية ديوان العرب ؟**

– الرواية تملك الخواص التي تؤهلها للمزيد من النجاحات دون أن يتنازل الشعر عن عرشه إنها تحتوي ضمنا علي الشعر وتحتفي به ، ولكنها لا تقبل بالمشابهة ، والآن قد جاء دورنا لنخلق زمننا الروائي / وخواصنا التعددية في آلية السرد ، وملامح مانود أن نقوله في جدالنا مع ثقافة عصرنا ومن خلال ملامح أولئك الأناس الذين يلحون علي ذاكرتنا الإبداعية

● **وحين فاز الزين بانقا بجائزة الطيب صالح العالمية للإبداع الكتابي لم تكرمه الدولة .. علي عكس الفائزين العرب الذين فازوا بذات الجائزة وكرمتهم بلادهم ..؟**

– هل تريد مني في ختام حديثي أن أرسل قهقهة يا صديقي... لماذا تكرمني الدولة ؟ ماذا فعلت ؟!!!!

طقوس التألم وحيداً

سوزان ابراهيم - سوريا

○ ترتبط حياة معظم الكتّاب بمنهج تكون العزلة فيه كوناً آخر موازياً للواقع. هنا تكون العزلة منتجةً أكثر من الإقامة وسط الناس وصخب الحياة.

لطالما كانت العزلة مشغلاً حقيقياً للإبداع. حتى الرسالات السماوية جاءت من أمكنة العزلة كالغار والمغارة، وجاء بها أنبياء رعاة، ولا يخفى على أحد ما تتمتع به حياة الرعاة من عزلة وابتعاد عن الناس والحياة العادية.

تبدأ الكتابة والتأليف من سكون العزلة وصمتها، هي رحم يحتضن، لهذا يمكن وسم العزلة بأنها صفة أنثوية. في القديم القديم وكانت عشتار آلهة على عرشها، قام مردوخ بشطرها إلى نصفين، لأن أتباعها الذكور ملّوا حالة السكون والصمت باعتبارهما حالة أمومة، وانقلبوا عليها.

لكن الكاتب الذي يتقصد العزلة ويقصدها، لا يقبل بها حالة مستمرة لمنتَجه الإبداعي تالياً.. فنراه يخرج على العالم منتشياً بنصه- وليد العزلة ليعلو صراخ طفولته ويعلن بداية حياته.

حين يهمل الناسُ الكاتبَ، أو يهملون نصه، هل يدخلونه بيت عزلته مرة أخرى قسراً هذه المرة؟

إذ ثمة عزلة داخلية اختيارية، وعزلة خارجية مفروضة على الكاتب ممن يعزفون عن قراءة نصه- رسالته!

يبدو أن الكاتب يعيش تناقضاً كبيراً بين حاجته للعزلة، وحاجته للآخر، وحاجته للتقدير والثناء على عمله. بعض الكتاب يدّعون عدم الاكتراث بالقارئ، أو بالمتلقي، فهل يصحّ ما ذهب إليه هذا الكاتب من تقليل لأهمية العالم الخارجي وتأثيره على نصه؟ ألا يشكّل الآخر في هذه الحالة استمرارية لحياة النص؟

من جهة ثانية، يعيش معظم الكتاب والمثقفين مع الكتب، وغالباً ما تتوافر مكتبة كبيرة في بيت كل منهم، فهل يمكن اعتبار من يقيم مع الكتب في حالة عزلة؟

تختزن الكتب حيوات وعوالم وأزمان. تختصر الكتب الجغرافيا والتاريخ، فهل يكون الشخص وحيداً حقاً بينهم؟

حين تعيش مع كتاب جميل- خاصة إن كنت كاتباً- فلا يمكنك أن تكون وحيداً ومنعزلاً لابد أن همنغواي مرّ بك وألقى التحية. لابد أن يكون شكسبير قد حدّثك عن بعض تراجيدياته. لابد أن يكون «ياغو» دينمو الفعل في «عطيل» قد أثار حنقك، أو أنك بكيت لمصير «آنا كارنينا»! لابد أن تكون أوراق الذرة الحمراء الرفيعة ل «مو يان» قد خشخشت في صمتك.

ببساطة تتواشج حياة الكاتب بين العزلة كمرحلة أساسية لإنتاج النص، وبين الحاجة إلى الآخرين الذين يعطون الأهمية اللازمة لقيمة ذلك النص.

خرجت الرسالات من عزلة، إلى مجتمع وكان لابد لها من أتباع، فما نفع رسالات بلا أتباع!!

هكذا تغدو مهمة الكاتب متماهية مع مهمة الأنبياء، باستشرافهم المستقبل وقدرتهم على التواصل مع الماورائيات، وما ذلك إلا بفضل العزلة والصمت- حالة الخلق الأولى، حالة الرحم، حالة الأمومة.

نحن أبناء العزلة، نخرج إلى الحياة من عماء أول. نتكون من كل ما تخمّر في تلك الكينونة الصامتة، ثم نعود إلى صمت الموت وعزلته. الحياة مسافة فاصلة بين عزلتين! إنها مجرد فاصل منشط بينهما!

ولكن لماذا نكتب؟ هل نضمد جراحنا أو خساراتنا بالكتابة؟

نكتب لأننا أبناء الهشاشة- فالحياة أكثر المخلوقات هشاشة- نلجأ إلى صلب يسندنا، أو إلى كاهن لنعترف. الكتابة عزلة واعتراف، وربما انتقام من هشاشة الحياة. في عزلته يمارس الكاتب طقوس الألم وحيداً فالألم ليس طقساً جماعياً. يحترق. الكاتب في عزلته أنانيٌ وهو يعي ذلك. الكتابة أيضاً في مغارة العزلة ليست طقساً جماعياً، ولهذا يكون الخلاص دوماً فردياً وليس طقساً جماعياً.

في عزلته يتألم الكاتب ويحترق، لكنه يريد لهذا الضوء المنبعث من نيرانه أن ينير الكون.

خرجت الرسالات من عزلة، إلى مجتمع وكان لابد لها من أتباع، فما نفع رسالات بلا أتباع!!

هكذا تغدو مهمة الكاتب متماهية مع مهمة الأنبياء، باستشرافهم المستقبل وقدرتهم على التواصل مع الماورائيات، وما ذلك إلا بفضل العزلة والصمت- حالة الخلق الأولى، حالة الرحم، حالة الأمومة.

نحن أبناء العزلة، نخرج إلى الحياة من عماء أول. نتكون من كل ما تخمّر في تلك الكينونة الصامتة، ثم نعود إلى صمت الموت وعزلته. الحياة مسافة فاصلة بين عزلتين! إنها مجرد فاصل منشط بينهما!

ولكن لماذا نكتب؟ هل نضمد جراحنا أو خساراتنا بالكتابة؟

نكتب لأننا أبناء الهشاشة- فالحياة أكثر المخلوقات هشاشة- نلجأ إلى صلب يسندنا، أو إلى كاهن لنعترف. الكتابة عزلة واعتراف، وربما انتقام من هشاشة الحياة. في عزلته يمارس الكاتب طقوس الألم وحيداً فالألم ليس طقساً جماعياً. يحترق. الكاتب في عزلته أنانيٌ وهو يعي ذلك. الكتابة أيضاً في مغارة العزلة ليست طقساً جماعياً، ولهذا يكون الخلاص دوماً فردياً وليس طقساً جماعياً.

في عزلته يتألم الكاتب ويحترق، لكنه يريد لهذا الضوء المنبعث من نيرانه أن ينير الكون.

من الشعر العالمي

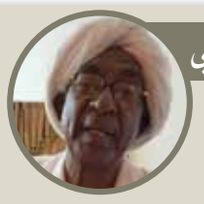

جيمس جويس
١٨٨٠ - ١٩٤٠

ترجمة الراحل السر خضر *

○ ولد في مدينة دبلن - إيرلندا
روائي و شاعر عالمي ذو رؤية إبداعية مركبة و ابعاد رؤيوية متشابكة و عالم غريب غامض
التعقيد بدون مبرر غير موجود لديه .
إستخدم تكنيك النظام داخل الفوضى و هو تكنيك ينسجم مع روح العصر الحديث ، كما استخدم ايضا تيار الوعي الذي استفاد منه بعض الكتاب العرب مثل نجيب محفوظ .
متقلب المزاج تتناسخ حياته مع فنه في اعماله .
و من اعماله :
١- ايرلنديون من دبلن
٢- صورة للفنان في شبابه
٣- عوليس (يوليسيس)
٤- فينيجانزويك

يضجع الوليد
لعل الحب والرحمة
يفتحان عينيه !
تُنسمت الحياة الصغيرة
على الزجاج ،
العالم الذي لم يك
ياتي ليمضي .
طفل يغط في إغفاءة
ورجل طاعن في السن قد مضى
يا أيها الاب المتخلي عنه ،
..... الصفح ..... عن ابنك !

على حدة
احالت عيون القمر الذهبية الرمادية
الليل كله خمارا ،
و مصابيحَ الشط على البحيرة النائمة
تُمددُ زهور الأُقحُوان
.....
تهمس الزمارات البارعات لليل
اسماً - اسمها -
و تضحو روحي كلها متعةً تتلذذ،
إغماء حياء.

زيورخ - ١٩١٦

انظر الى الطفل
من الماضي المظلم
اطل طفل
بالمسرة و الحزن
انفطر فؤادي !
هادئا في مهده

* السر خضر .شيخ المترجمين السودانيين، وهذه من ترجماته التى لم تنشر بعد للشعر العالمي.

قصيدة جديدة

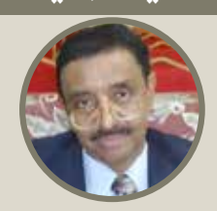

أعيديني
تَاج السِّرّ أَبُو العَائِلَة

أعيديني . .
إلي عينيك ياأمي..
بلا هم ولا غمّ ..
بحق اللّه .. بالله ..
وَمَاضي زماننا الزَّاهي
..
طفْلاً عابثًا لاَهي ..
بلاَ عشَم ولاحلم ..
ولاَ مال وَلا جاه ..
إلّى (كانونك) الشتويّ..
حين يضج باللهب ..
وأَنْت هُناك جالسة ..
بلا كدر... ولاتعب ..
تلتحفين في صمت ..
بِبردة ثوبك الذَّهبيّ ..
بوجهٍ باسمٍ باهي ..
وكم من خصلة جذلى..
على الكتفينْ تنْساب..
كما شلال أَمواه ..
أعيديني ..
إلّى عيْنيْك ياأمي ..
برب الْبيْت والْحرم ..
لبيْت العز والْكرم ..
وَأَهْل الْفضْلِ والشيم..
إلى أبتي...
صباح الْعيد مبتهجا ..
على (قفطانه)
الشاهي..
لعهد كان فينانا ..
نَعمنا فيه أَزْمانا ..
ودبنا فيه تحنانا ..
بلا بغض واكراه....
كان الْكون لي ملكا ..
وكنت بعرشه ملكا ....
كمن حيزت له الدنيا...
وكان الْأمر النَّاهي ..

رحلة جبلية.. رحلة صعبة:

فدوى طوقان تُحطِم ألـــواح «الوصايا»

بقلم : محمد بوزرواطة - الجزائر

-٠١-

تبدو كتابة «السيرة الذاتية» لدَى الكاتب العربي شديدة الصعوبة، مَلأى بالألغام والعثرات،فهو لا يستطيع التوغُّل أكثرفي حياته الخاصة دون أن يصطدم بحواجز الدين وإكراهات المجتمع ومحظوراته، لذا نراه يتحفَّظ، أكثروهو يروي سيرة حياته ،أو نراهُ يلجأ إلى التلميح أوالاشارة دون الخوض في التفاصيل، التي قد تخدُش «الحياء العام» أوتنتهك حرمات المجتمع والدين، طبعا هناك استثناءات قليلة خرجت عن الطَوْق ، وتحدثت بجرأة لا مثيل كمحمد شكري في خبزه الحافي،أو سُهيل إدريس في مذكراته ،التي أثارت بعضًا من الجدل و اللّغط، حول شذوذ والده الجنسي،في فترة ماَ مِن حياة الكاتب في طفولته الغابرة .

-٠٢-

وإذا كان وضْعِ الكاتب العربي، مَحفوفًا بالمخاطروالمحاذير، ومُحاطًا بالرقابة المتعدّدة الأوْجه والصفات،الذاتية منها والمجتمعية والدينية، فإنَّ وضع الكاتبة العربية ، يزدادَ ضراوة ، أمام مجتمع عربي ، لَا يُريد للكاتبة الإفصاح عن مكنوناتها والجَهْرِ الحقيقي بما عاشته وعانته، وإذا تيسَّر لها أن تكتُبَ عن ذلك ، فلا يُمكنُ لها أن تتعدّى «خطوط الطول..خطوط العَرض « بتعبير الروائي العراقي الراحل «عبد الرحمن مجيد الربيعي» أو أن تَحيدَ عنِ االدوائر المرسومة لها سلفاً، أو أن تُناطحَ «القلاع الراسخة» في مجتمعنا كالمساس بالدين، أو انتهاك «الأخلاق» ، في هذا السياق تبدو سيرة الشاعرة الفلسطينية الراحلة» فدوى طوقان» (١٩١٧-٢٠٠٣) التي صدرت عام ١٩٨٥ الموسومة ب» رحلة جبلية ..رحلة صعبة» على جانب كبير من الأهمية،إن لم أقُل تُعتبرُ هذه السيرة الأولى من نوعها تكتبُها إمرا ة بمزيد من الجرأة والكشف عن طبيعة مجتمع أبوي، يُولي عناية كبيرة للذكور على حساب الإناث،ويعمل جاهداً على وَأْد أحلام أي فتاة ترومُ الانفلات من القهرَ والحيف الإجتماعي والديني، لذا تأتي هذه «السيرة» لتخْرجَ عن المألوف والمتفق عليه،سيرة شُجاعة ، تتصدّى لقول «الحقيقة» كما هي ، دون رتوشٍ أو تنميق،غيرَ آبهة بسلطة «الدين» أو قيودِ المجتمع، فصاحبتُه تتناول بجسارة عوالمَ الجسد وتُسائل بجرأة بالغة، الموتَ والوجود، كما تتطَرق إلى لحظة «الإنخطاف» القصوى، حينما اكتشفت- فدوى- نفسها «امرأة» بالغة النضج ، لحظتها أُصيبت بالإنبهار والدهشة، أثناء

-٠٣-

دَخولها لأول مرة، حَماماً للنساء «بنابلس» ، حيث تفتَّحت عيونها على نعومة الجسد الأنثوي المُكْتنِز بأرداف النساء من كل لون.

تروي» فدوى» بأسلوبها الجميل ،عن عائلتها ووالدها-عبد الفتاح- الذي لم تكُن تحبه، ولكنّها أيضا لم تكُن تكرهه بدافع الغريزة، مع أنه كان شديد القساوة والتعامل معها، أمَا أمها فكانت خانعة مستسلمة لمشيئة الرجل ، وكانت على جانب من الفظاظة واللّامبالاة معها ،وقد تزوجت في سن الخامسة عشرة وأنجبت عشرة أبناء (خمسة أولاد وخَمسُ بنات) ، احتلّت «فدوى» بينهم المرتبة السابعة ، ويبدو أن حَمْلَ الأم، لفدوى لم يكن مرغوباً فيه، وقد حاولت -الأم- من جهتها ، قدر الإمكان التخلُّص من الجنين ، بأيّ طريقة، باللجوء إلى عمليات الإجهاض العديد من المرات ، لكنَّ كل المحاولات باءت بالفشل، كما لو أنَّ المصادفات الغريبة شاءت لهذه «النبتة «أو الفتاة أن تشُقَّ طريقها في الظلام قبل أن ترى النور، ويبدو أنّ هذا التعبير الاستعاري أقربَ إلى توصيف حالة «فدوى طوقان» طيلة مسار حياتها بأكمله، بدءاً من اصطدامها العنيف مع أعراف مجتمع كانت ترفضه بشراسة بعقلها، لكنّها كانت مُضطرةً لمُسايرته على نَحْوٍ من الأنحَاء، وانتهاءً بحَالات الإقتلاع والتشريد الفلسطيني من الأرض والجذور.

-٠٤-

هواجس كثيرة-إذاً- كانت تدعوها إلى التساؤل حول ماهيّة الموت الذي بدأ في انتزاع أعَزِّ الناس إليها، كابنة عمها «شهيرة» التي أهلكها الموت بالروماتيزم وهي سن الرابعة عشرة أو شقيقها الشاعر الفلسطيني «ابرهيم طوقان» الذي ساندها كثيراً في تحصيلها المعرفي والعلمي،وقد مات بذات الرئة عام ١٩٤١، لحظتها تقول فدوى» ..أحسَسْت باليُتم الحقيقي،وبالفقدان لم أُحِسَّه من ذي قبل، حتي وفاة والدي عام ١٩٤٨،لم تؤثر فيّ كماأثَّرَ عليّ رحيل ابراهيم المُباغت...» .

وفي سياق مُتصل وفي عبارة صادمة تقول» ..ظلَّ موت هؤلاءغير مُبرَر بالنسبة لي ،في أيّ حالٍ من الأحوال، حتى لو ذَهب «الموت» بهم جميعاً إلى الجنة...وبقي «السؤال» مُعلقاً على شفتي الطفلة:..لماذا ماتوا، ورحلُوا عني؟، وكان السؤال يَطرحُ نفسه بكل بساطة الطفولة ووضوحها»

بمثل هذا الحكي الرائع،والمُدهش، الذي لا تكلُّفَ فيه، تواصل صاحبة ديوان «وحدي مع الأيام» مغامرتها الكبرى لمعانقة أحلامها ،عبر رحلتها إلى «انجلترا» عام ١٩٦٢ للدراسة وبتشجيع من ابن عمها،فاروق، حيث حفَّزها هذا الأخير للمجيء إلى لندن لمواصلة مشوراها العلمي ،وهناك فقط أَفْردَت شاعرتنا «فدوى طوقان» أجنحتها للعلم والحب والحرية.

هوامش:
-رحلة جبلية..رحلة صعبة..ط٠١ دار الشروق الأردن ١٩٨٥

قصة قصيرة

مخرجات ما بعد الوليمة

مبارك الصادق - مدنى

○ راجعت بعض الكراسات ، لكني وجدت نفسي متعبة فنمت .. ولكن متى نمت ؟؟ لا أدري ..

ذاك المساء كان يمتلئ بالحركة ، أغان سابحة في الأثير ، ونوبات تئن لها إبزام وهدير ، أعراس وزغاريد ... طارات و أماديح .. وأبي كان لا يترنح في مثل تلك الحلقات كما يفعل العديد من أهل قريتنا ، عندما تقتحمهم تلك الفئة.

أبي يرى أن هذه الكوكبة لا تعدو أن تكون ثلة من العاطلين والمتبطلين الذين لا يأنفون من أن يسألون الناس إلحافا .. ولهذا يقول بعض أهل القرية عن أبي انه يدين بمذهب خامس بذلك الرفض لهكذا ممارسات ... بل حتى بعض شباب القرية والصبية يدركون موقف أبي المبدئي - وتأكد لهم حين أرسلوا ذات مرة كوكبة من المداحين الذين سألوهم (أين ينزل المداح ؟؟)

فدلوهم إلى أبي وأوصفو لهم المنزل - نكاية فيه وبه ! !

لكنه طردهم شر طردة وهو يقول لقد قال فيه ربه وإنك لعلى خلق عظيم .

فأي قول بعده تقولون ؟؟

نمت على كل حال على ذلك الصخب ، وعلى إيقاع الفرح الذي يهجس في داخلي بانتظار الغد الواعد بالهناءات والمسرة ، إذ سينفك « ساجوري» ليتم الانطلاق من أصفاد الوحدة القابضة بالتلابيب ، زميلتي في المدرسة وجه سعد وبشارة خير وفأل ، إن اسمها نفسه يحمل تلك المعاني « ميمونة» تآلفنا وتعارفنا فقط منذ أشهر ست حين جاءتنا منقولة - وها هي الآن تمنحني شقيقها ليقاسمني مشوار الحياة .. وأنا التي ظللت طوال عقد من الزمان ارسف في أغلالي ، لم ينحل قيدي

فيما انطلقن سابحات في بحور سعادتهن شقيقاتي الأصغر ثلاثتهن الآن وقد أطفلن وهن يعشن في كنف أزواجهن ... يترشفن كؤوس السعادة مترعات بالمودة والحب ..

استيقظت على هديل الحمام ، وزقزقة العصافير ، والنسمات الرخية التي ما تنفك تهب حاملة معها ندى الحقول ، نورها ونوارها ، والقلب مفعم بالوعد المرتجى ، وها هي الأيام التي خرجت عن طورها ، وخالفت ناموسها فراحت تداعب رغباتي الثاوية بعد جفوة امتدت وطال أمدها ، حتى خلت إنها سيمتد سرمدها إلى مالانهاية لا فوز في نهاية الأمر بذلك اللقب الذي يتجوهر معناه في معنى الكساد السوقي والبوار البايركسي ! !

من عجب أن تلميذاتي اللائي درستهن عرسن وتحنن وأنجبن ، وأنا هاهنا قابعة لا اعرف الزينة النسوية ، والطيب المركب ، والدخان الطلحي الذي أراهن وهن رافلات في نعيمه يكسو أجسادهن الغضة ويمنحها نعومة بضة ، تتلاصف في ذلك الوهج الجميل حيث يتبدى ذلك اللون الكركمي عبر سوقهن المدملجة يؤتلق فيها تشكيل الحناء المرسومة ! !

لحظتها تنطلق في داخلي نيران موقدة تطّلع على الأفئدة .. وأود لو أن نيران ذلك الطلح أحرقتني وشوتني - لكني سرعان ما أعود وأذكر مقولات الجدات عن النصيب والقسمة - فأثوب وأتوب - بانتظار ما هو مقدر ومكتوب ..

نهضت ، نظرت نحو الحاجّة .. فوجدتها في قمة نشاطها والحيوية .. ثم ما لبثت شقيقاتي وقد جنّ ثلاثتهن بأطفالهن وقد ملأن البيت صخباً وضجيجاً هن وأطفالهن ... فاليوم سيأتي أهل «سعيد» آه نسيت أن أحدثكم عن سعيد ، وان كنت قد أشرت لكم عن أخته.

سعيد هذا شقيق زميلتي - جاء لأخته بالمدرسة - ظننته ، وان بعض الظن «حسم» إنما جاء لأخته في شأن لها - ولم ادر إن الشأن شأني ! !

هيأت أخته جلسة عابرة بالنسبة لي كانت جلسة طارئة ... سلّم في تؤدة وأدب ، ونظر إلي مليّاً ونقّب - ارتسم الارتياح على تقاطيع وجهه المريح ... حتى تلك اللحظة لم يكن ثمة ما يلفت النظر ، أو يشرح جلية الأمر ..

دخلت الناظرة وهي أيضاً من قبيلة البايركس - سألت ميمونة :

أخوك ما لو ؟؟ إن شاء الله ما في عوجه .

تلعثمت ميمونة وهي ترد في لهوجة :

لا .. أبداً ما في حاجة زيارة ساكت ! !

وانتهى اليوم الدراسي ... وانصرفنا .. وراحت ميمونة برفقة سعيد .. لتأتي في اليوم التالي ، وتنفرد بي بعيداً ثم تفاجئني بقولها :

« آمال - والله أنا حبيتك من جوه قلبي .. وتمنيتك زوجة لشقيقي .. ورشحتك ليه منذ شهر .. وكل مرة يسألني عنك - وهو طبعا يعمل بالعاصمة ، وبالأمس فقط جاء وطلب أن يراك .. كما طلب أن لا تكوني على الزيارة وأسبابها ... أنا نفسي لم أكن لأخبرك قبل أن يراك صاحب الشأن - ومنذٍ الأمس لا حديث له إلا عنك ... لقد تركت لديه انطباعا طيبا . والآن يا صديقتي أنا وهو نتمنى أن نجد عندك القبول والموافقة ...

يا الله ... كدت أطير من الفرح .. الآن تبدو الدنيا خضراء ممرعة ، وأيام السعد أجدها قادمة ومهرولة . وهاهي البشريات تأتيني عبر رسائل بائنة .. تصادقني هذه المعلمة ويكون إسمها ميمونة .. وتأتيني بشقيقها خطيباً ويكون اسمه «سعيداً «! !

هل ثمة ما هو أوضح ؟؟ هل أجمل وأفصح ؟؟ لا ليست هي المصادفة ..

قلت لها وأنا لا أخفي دهشتي واضطرابي :

لكني يا ميمونة .. لماذا أنا ؟؟ لماذا أنا بالذات ؟؟

أسكتتني وهي تقول :-

أمي كانت تريد له قريبة لنا / هو لا يريدها / أنا أيضاً كذلك لا أطيقها / وعنك قال انه وجد فيك كل المواصفات والصفات التي ينشدها ... وأنتِ يا آمال تستاهلي كلك أدب وذوق وجمال . عموماً سيأتيكم الرجال فقط للخطبة .. أنا لن آتي وعندما نتلقى الضوء الأخضر سنأتي .. ومعنا قولة خير ...

كانت الأيام التي تلت ذلك أجمل الأيام - ملأى بالأماني .. حبلى بالأحلام ..

أقول لنفسي - أخيراً ..أخيراً .. ستغادرين محطة الانتظار واللاجدوى ! !

كان خروفنا مربوطاً .. ودقيقنا مطحوناً .. وخضارنا حاضراً .. انتقلنا تمدينا من البطاطا إلى البطاطس .. ومن الباذنجان مصقعاً .. إلى الأسود سلطة صاعقة .. الخبز والثلج والكاسترد .. تعدد إحدى شقيقاتي مطلوباتنا (!!)

أبي غادر على عجل - قال أنت تريد وهو يريد .. كنت أود أن أكون حاضراً لاستقبال الأضياف - لكني إن لم أسافر لأحضر الجلسة - ستشطب القضية ويضيع الطين .. عموما موسى موجود كذلك الشيخ وعثمان .. سيستقبلوا الضيوف .. ويقومون بالواجب .. وعلى خيرة الله .

وأبي في الطريق عرّج على عمي موسى وأخبره بضرورة استقبال الأضياف ، وإكرامهم ..

حيث أن هنالك كبشا ومستلزماته .. حددوا موعد الفرح وليكون قريباً .. قال . وإن أرادوا أن يعقدوا أعقدوا لهم ! ! وخير البر عاجله ! !

عند منتصف النهار جاء الركب الرباعي يركبون حمرهم العالية ذات الفراء المتدلية .. اختلست النظر إليهم من بعيد كانت وجوههم - مليحه / ملابسهم نظيفة ، وكانوا يسألون :

« ده بيت احمد الطيب السركتي ؟؟»

مرحب حبابكم وصلتوا .. قالت الحاجّه .. فيما تولى جارنا عبد الرحمن أبو خديجة إنزالهم وربط حمرهم .. وأرسلت أمي إلى العم موسى تبلغه أن الضيوف قد وصلوا .. فجاء على عجل .. مسلماً .. محيياً ، مرّحباً ومن ثم دلف إلى الداخل ، وحمل إليهم الشربات .

وما لبث أن شحذ مديته ، وهنالك في الجانب الآخر من المنزل ، وبمساعدة ابن الجيران ذبح ذلك الكبش الذي ظل الليل كله وطرفاً من النهار يرسل صوته العالي والآن قد صمت .. في نفسي قلت يا بنت يا آمال - الآن تتحقق الآمال .. نعم إن الزمن قد طال .. ولكن كل شيء له وقت وكل شيء له أوان - ذلك تقدير الواحد الديان الذي يقدر الأشياء كيف يشاء .

تهامس عمي موسى مع الوالدة - اشتركت معهم احدى شقيقاتي .. أقروا أن لا يدعون أحدا ... - فالمسألة خطبة فقط .. واستعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان ..

وبين الأنس الشجي ، والحديث الطلي ، عن الخريف والزراعة ، وغلاء الأسعار ، وجشع التجار ، والشد والجذب بين حكومة الولاية ، وحكومة الخرطوم وكثرة الرسوم .. امتدت المائدة حافلة كما ينبغي لأناس جاءوا يخطبون ! !

يقول عمي موسى عندما جاء يحدثنا أنا و أمي وشقيقاتي :

حقيقة كان طعاما طيباً .. ولقد دهشت لذلك النهم ، فقلت في نفسي أي نسابة هؤلاء ؟؟

لكني قلت أن حسن الطهي ، وجودة الأصناف قمين بأن يجعل المرء لا يستطيع أن يكبح جماح نفسه! ! بعد إن رفعت المائدة .. وشربوا الشاي .. وتجشؤا .. يواصل العم موسى ونحن كأن على رؤوسنا الطير ... تنحنح أكبرهم - فقلت لابد أن يكون ذلك هو الحاج الطاهر والد « سعيد»

قال وهو يثني على الطعام .. ويشكر لنا حسن الإكرام - جزاكم الله خير يا شيخ موسى .. والله ما قصرتوا والله قمتم بالواجب وزيادة ... وكأن شيخ احمد ليس بغايب .. دحين بعد ده نادوا لينا ناس الحلة . نسوي المديح .. باقي نحن مداح الرسول ! ! وفي تلك اللحظة نفسها كانت ثمة عربة وقفت بالباب وأطلقت بوقها إعلانا بالقدوم والقيدومة! !

VOICE of sudanese community
السبت ٢٦ أبريل ٢٠٢٥م - ٢٨ شوال ١٤٤٦ هـ
SATURDAY 26 APRIL 2025 - ISSUE No. 31

تاريخ الكلاسيكو: نظرة على نهائيات كوبا ديل ري بين برشلونة وريال مدريد قبل مواجهة اليوم

● اليوم السبت، سيشهد نهائي كوبا ديل ري مواجهة نارية بين قطبي الكرة الإسبانية، برشلونة وريال مدريد. يتنافس الفريقان أيضاً على لقب الدوري الإسباني، بينما يطمح برشلونة لإكمال «الترييل» هذا الموسم. لكن أوضاع الفريقين مختلفة تماماً:

ريال مدريد خرج من دوري أبطال أوروبا، ويتأخر بـ4 نقاط عن برشلونة في الدوري.

برشلونة يسيطر على مصيره في جميع البطولات.

حتى على مستوى المدربين، قد تكون هذه نهاية حقبة كارلو أنشيلوتي مع الريال، بينما يعيش البرسا أجواء إيجابية تحت قيادة هانسي فليك في موسمه الأول.

لكن في مواجهات الكلاسيكو، كل هذه المعطيات تُنسى، خاصة عندما يكون اللقب على المحك! هذه فقط المرة الثامنة التي يلتقي فيها الفريقان في نهائي الكأس، رغم مشاركتهما الدورية في دوري الأبطال، إلا أنهما لم يلتقيا أبدًا في نهائيها.

معلومات المباراة

– الموعد: الأحد 26 أبريل الوقت: 11 مساءً بتوقيت السعودية

– المكان: ملعب لا كارتوخا، إشبيلية – إسبانيا

– البث المباشر: قناة SSC 1

– الفرص: برشلونة (105+) : التعادل (280+) : ريال مدريد (200+)

تاريخ المواجهات في كوبا ديل ري

– يحمل أتلتيك بيلباو لقب البطولة حاليًا، لكن ذلك سيتغير بعد السبت. منذ انطلاق المسابقة عام 1903 (122 عامًا)، التقى الفريقان فقط 7 مرات في النهائي:

– برشلونة: الأكثر تتويجًا بالكأس (31 لقباً).

– ريال مدريد: فاز بالكأس 20 مرة.

– 18 مرة توج الفائز بالكأس أيضاً بلقب الدوري (دبل محلي).

– في المواجهات المباشرة: فاز برشلونة بـ3 نهائيات، بينما فاز الريال بـ4.

سجل النهائيات بين الفريقين

1936: ريال مدريد 2 – 1 برشلونة
في فالنسيا، تقدم الريال 2–0 في الدقائق الـ12 عبر يوجينيو هيلاريو وسيمون ليكوي.

جوسيب إسكولا سجل هدفاً للبرسا، لكنه لم يكفِ للتعادل.

1968: برشلونة 1 – 0 ريال مدريد
في السانتياغو برنابيو، فاز برشلونة بهدف ذاتي من فرناندو زونزونيجي (الدقيقة 6).

أول انتصار للبرسا في نهائي الكأس ضد الريال.

1974: ريال مدريد 4 – 0 برشلونة
في ملعب فيسنتي كالديرون (مدريد)، سجل سانتيانا مبكرًا (الدقيقة 5)، ثم أضاف الريال 3 أهداف في الشوط الثاني.

1983: برشلونة 2 – 1 ريال مدريد
في سرقسطة، سجل ماركوس ألونسو هدف الفوز في الدقيقة 90 برأسية انزلاقية!

1990: برشلونة 2 – 0 ريال مدريد
في ميسايا (فالنسيا)، سجل غييرمو أمور (68') وخوليو ساليناس (90') ليعيد الكأس للبرسا.

2011: ريال مدريد 1 – 0 برشلونة (بعد الأشواط الإضافية)
أول نهائي يحتاج لأشواط إضافية. كريستيانو رونالدو سجل الهدف الوحيد برأسية من تمريرة أنجيل دي ماريا.

2014: ريال مدريد 2 – 1 برشلونة
في فالنسيا مرة أخرى، سجل دي ماريا أولًا، لكن غاريث بيل صنع اللحظة الأسطورية في الدقيقة 85، حيث ركض نصف الملعب متجاوزًا مارك بارترا ليسجل هدف الفوز!

التشكيل المتوقع لفريق ريال مدريد

حراسة المرمى: تيبو كورتوا
خط الدفاع: فالفيردي، روديغر، أسينسيو، غارسيا
خط الوسط: سيبايوس، تشواميني؛ رودريغو، جود بيلينغهام
خط الهجوم: فينيسيوس ؛ مبابي.

التشكيل المتوقع لفريق برشلونة

حراسة المرمى: فويتشيك تشيزني
خط الدفاع: جول كوندي، مارتينيز، باو كوبارسي، أليخاندرو بالدي؛
خط الوسط: بيدري، فرينكي دي يونغ؛ لامين يامال، غافي
خط الهجوم: رافينيا؛ فيران توريس.

تصريحات مدرب برشلونة

أشاد هانزي فليك، مدرب برشلونة، بريال مدريد ومدربه كارلو أنشيلوتي، واصفاً إياه بأحد أفضل المدربين في العالم ورجل نبيل. وأعرب عن سعادته بلقائه في نهائي كأس الملك.

وتحدث فليك أيضاً عن مشاركة البدلاء في مباريات الدوري، وأبدى رضاه عن انسجام الفريق.

وعن فارق الراحة بين الفريقين قبل النهائي، قال إن الأمر قد لا يكون مؤثراً، مؤكداً أن برشلونة مستعد للفوز بكأس الملك والدوري، رغم صعوبة المواجهات أمام ريال مدريد.

تصريحات مدرب ريال مدريد

أكد كارلو أنشيلوتي، مدرب ريال مدريد، رضاه عن الفوز على خيتافي 1–0 في الدوري الإسباني يوم الأربعاء، مشيداً بأداء أردا جولر، لكنه أشار إلى ضعف الفعالية الهجومية.

ودافع المدرب المخضرم عن رودريجو رغم غيابه التهديفي، وأكد ثقته به.

وبشأن نهائي كأس الملك، اعتبر أن برشلونة هو المرشح الأوفر حظاً، لكنه شدد على أن النهائيات تظل مفتوحة، معتبراً أن الدفاع الجيد سيكون حاسماً.

كما أوضح صعوبة لحاق كامافينجا وألابا بالمباراة بسبب الإصابة، مشيراً إلى أن فران غارسيا هو الخيار الوحيد حالياً في الدفاع. واختتم بالحديث عن المهاجم إندريك، مؤكداً أنه لا يزال في مرحلة التعلم.

حكم مباراة ريال مدريد وبرشلونة

أعلنت لجنة الحكام الإسبانية تعيين الحكم ريكاردو دي بورجوس بينجويتكسيا لإدارة نهائي كأس ملك إسبانيا بين ريال مدريد وبرشلونة، المقرر إقامته في 26 إبريل في ملعب «لا كارتوخا» في إشبيلية. وسيتولى بابلو غونزاليس فويرتيس مسؤولية تقنية الـVAR.

ويتمتع دي بورجوس، البالغ من العمر 39 عاماً، بخبرة تفوق العقد في التحكيم، منها سبع سنوات كحكم دولي. سبق له إدارة عدة مباريات كلاسيكو، أبرزها نهائي كأس السوبر 2017 الذي شهد طرد كريستيانو رونالدو في واقعة مثيرة للجدل.

وقاد هذا الموسم 3 مباريات لبرشلونة (فاز في اثنتين وخسر واحدة)، ومباراة واحدة لريال مدريد في نصف نهائي السوبر الإسباني (فاز بها 3–0).

غيابات في فريق ريال مدريد

كامافينغا ودافيد ألابا يغيبان بسبب إصابات عضلية.

كارفاخال وميليتاو غائبان أيضاً.

مبابي وميندي قد يكونان جاهزين.

فران غارسيا مرشح للظهور كأساسي على الجهة اليسرى.

أنشيلوتي أكد إشراك رودريغو بالرغم من الانتقادات الأخيرة.

مبابي تعرض لكدمة في الكاحل أمام أرسنال بدوري الأبطال، ولم يشارك منذ ذلك الحين، لكنه تدرب بشكل كامل مع الفريق وتم استبعاده من مباراة خيتافي كإجراء احترازي.

غيابات في فريق برشلونة

روبرت ليفاندوفسكي يغيب بسبب إصابة في أوتار الركبة.

أليخاندرو بالدي يعاني إصابة مشابهة، وسيحل مكانه جيرارد مارتن.

المصابون الآخرون: مارك كاسادو، مارك برنال، تير شتيغن.

باو كوبيارسي يعود للدفاع، مع احتمال غياب رونالد أراوخو.

أنشيلوتي يفضل الاعتماد على كورتوا

من المرجح أن يبدأ المدير الفني لريال مدريد كارلو أنشيلوتي بكورتوا في حراسة المرمى رغم اعتماده على أندري لونين في الجولات السابقة، كما حدث في نهائي دوري الأبطال الموسم الماضي.

وفي مركز الظهير الأيسر، قد يفضل فران غارسيا على ميندي غير الجاهز تماماً، بينما سيعوض داني سيبايوس غياب كامافينغا في الوسط.

فليك يفضل الاعتماد على غافي رغم تألق أولمو

المنافسة الوحيدة في تشكيلة برشلونة لدي المدير الفني هانزي فليك، تدور حول مركز صانع اللعب، بين غافي، داني أولمو وفيرمين لوبيز. الخيار الأقرب هو غافي، الذي استعاد مكانته مؤخراً، رغم الأداء القوي للهداف أولمو في لقاء ريال مايوركا.

هذه المواجهات تثبت أن الكلاسيكو في الكأس دائماً ما يكون مفعماً بالدراما والأهداف الخالدة. من سيكتب الفصل الجديد مساء اليوم؟

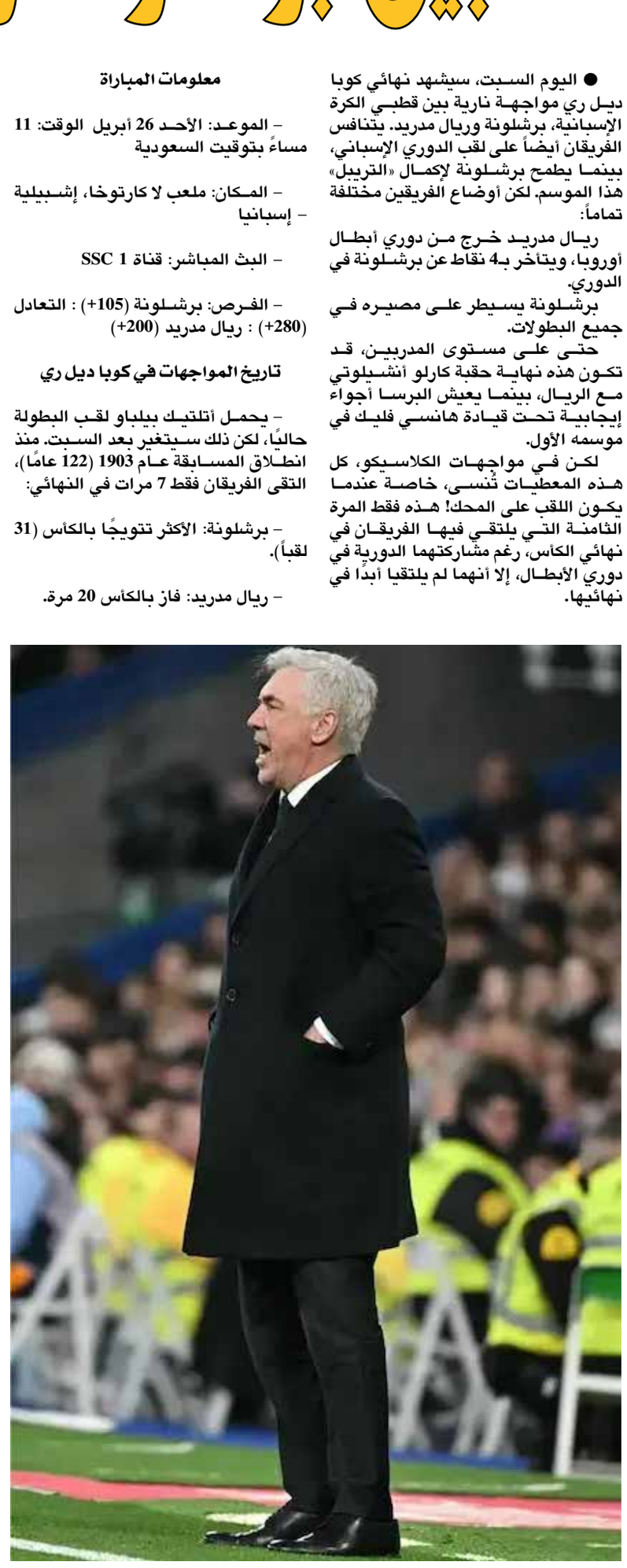

لاجئ سوداني تقوده الحرب إلى إيقاف رونالدو وماني

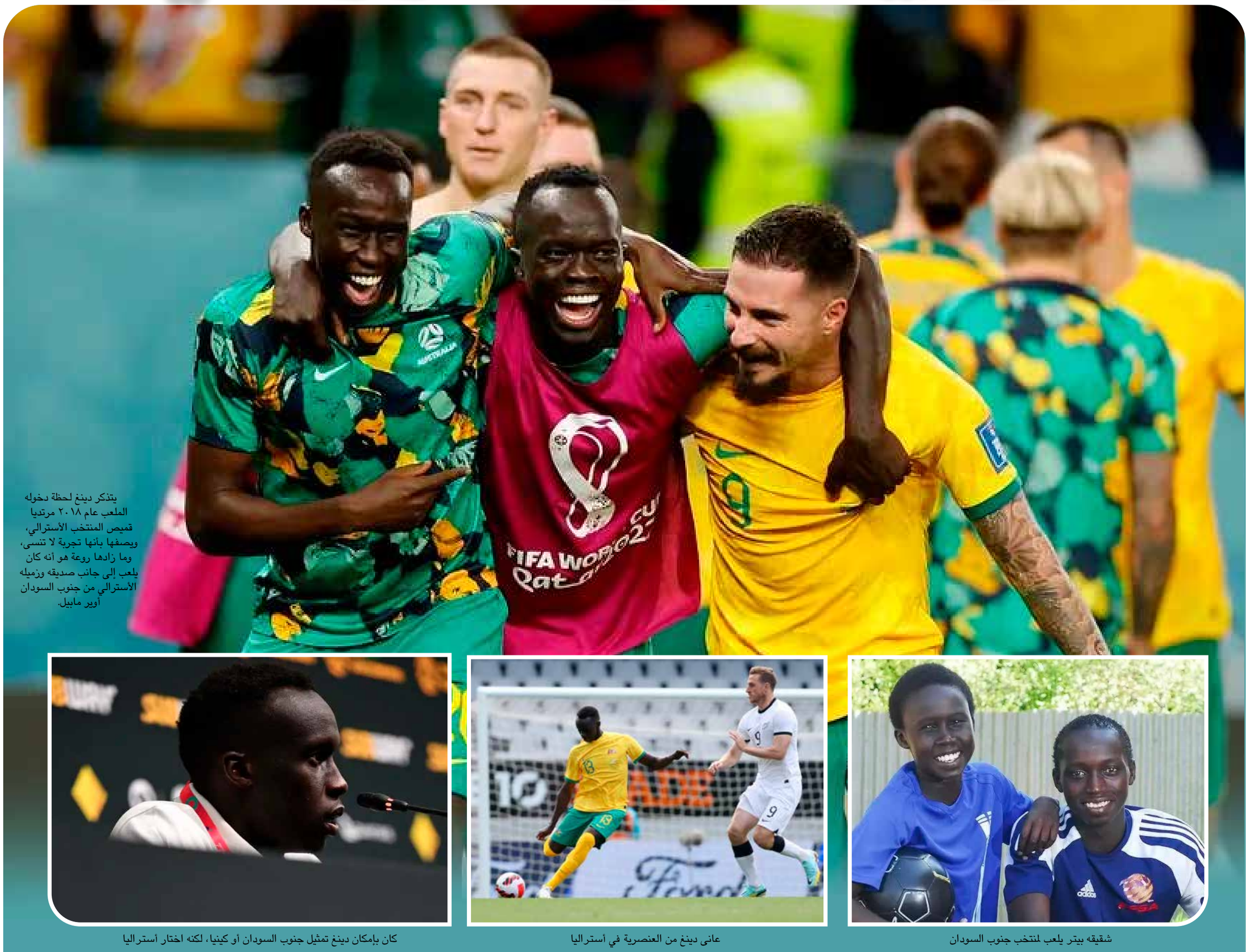

يتذكر دينغ لحظة دخوله الملعب عام ٢٠١٨ مرتديا قميص المنتخب الأسترالي، ويصفها بأنها تجربة لا تنسى، وما زادها روعة هو أنه كان يلعب إلى جانب صديقه وزميله الأسترالي من جنوب السودان أوير مابيل.

كان بإمكان دينغ تمثيل جنوب السودان أو كينيا، لكنه اختار أستراليا

عانى دينغ من العنصرية في أستراليا

شقيقه بيتر يلعب لمنتخب جنوب السودان

● ما زال توماس دينغ يواجه العديد من الصعاب، بداية من هروبه مع عائلته من الحرب الأهلية في السودان، وصولا إلى محاربته للعنصرية في أستراليا، قبل أن يجد نفسه، اليوم السبت، في مهمة الذود عن مرمى فريق يوكوهاما إف مارينوس الياباني، أمام لاعبين بوزن الأسطورة كريستيانو رونالدو وساديو ماني.

ويلتقي يوكوهاما إف مارينوس مع النصر السعودي، يوم السبت، على ملعب مدينة الأمير عبد الله الفيصل في جدة، ضمن ربع نهائي دوري أبطال آسيا للنخبة.

ويتطلع يوكوهاما، الذي أنهى مرحلة الدوري (منطقة الشرق) في صدارة الترتيب، إلى الوصول إلى النهائي الثاني على التوالي، بعد تأهله إلى أول نهائي له في نسخة ٢٠٢٣ / ٢٠٢٤ عندما خسر أمام نادي العين الإماراتي.

وفي سبيل تحقيق ذلك، يتعين على توماس دينغ مساعدة فريقه من أجل إيقاف خطورة هجوم نادي النصر.

سيتعين على توماس دينغ إيقاف خطورة رونالدو وماني

قصة مأساوية

قصة الدولي الأسترالي ذي الأصول جنوب سودانية أقل ما يقال عنها مأساوية، بعدما فرت عائلة البالغ من العمر «٢٨ عاما» من جنوب السودان الذي مزقته الحرب في التسعينات، وقضت سنوات في مخيم للاجئين بنيروبي الكينية، قبل أن تستقر في النهاية بأديلايد الأسترالية.

ولد المدافع في ٢٠ مارس ١٩٩٧ بنيروبي، بعدما فرت عائلته من السودان «انفصل جنوب السودان عن السودان في ٢٠١١»، وكان عمره ست سنوات فقط عندما حصلت عائلته على اللجوء في أستراليا، وبينما كان توماس وإخوته الأربعة الأكبر سنا ووالدتهم يتعرفون على المجتمع في أستراليا، ظل والده في كينيا للعمل كطبيب في منظمة إنقاذ الطفولة، ولم تجتمع العائلة مرة أخرى، إذ توفي والده بشكل مأساوي في عام ٢٠٠٧، تاركا والدته لتتولى كامل المسؤولية.

ورغم أنه كان صغيرا جدا بحيث لم يتمكن من تذكر تفاصيل رحلة عائلته إلى أستراليا، إلا أن توماس دينغ يدرك جيدا التضحيات الشديدة التي أجبر والدها على تقديمها بحثا عن حياة أفضل، إذ قال: لقد مررنا بخيم اللاجئين قبل أن ننتقل إلى أستراليا، أتذكر أن أمي كانت دائما تقول لنا إننا نأتي لهدف نبيل، كان الهدف دائما هو تعليم الأطفال وتوفير المزيد من الفرص للعائلة، لكن كان الأمر بمثابة صدمة كبيرة أن أنزل من الطائرة وأدخل مكانا جديدا من دون أن أعرف ما أتوقعه وكيف يعيش الناس هناك.

أقر بأن شغفه بكرة القدم نشأ في إفريقيا «كان لدي شغف بكرة القدم قبل مجيئي إلى أستراليا، كنت دائما أتبع إخوتي الأكبر سنا وألعب مع الأطفال في الشارع، وقد عشقتها منذ صغري، وما زلت».

وكان حب دينغ لكرة القدم، وحقيقة قدرته على التحدث باللغة الإنجليزية، سببا في جعل انتقاله إلى أسلوب الحياة الجديد في أستراليا أسهل بكثير مقارنة بالآخرين.

شقيقه بيتر يلعب لمنتخب جنوب السودان

وقال دينغ في تصريحات سابقة: شقيقي الأكبر بيتر يلعب كرة القدم أيضا، ومثل منتخب جنوب السودان مؤخرا، لذا فإن وجوده جعل من السهل تكوين صداقات في المدرسة، الجميل في كرة القدم هو أنك لست بحاجة إلى لغة، يمكنك تكوين الصداقات بمجرد اللعب، مما سهل علينا الانتقال كثيرا، وكذلك على العائلة بأكملها.

العنصرية

لقد أدت موهبة دينغ وهوسة بكرة القدم إلى صعوده عبر صفوف الناشئين في نادي أديلايد بلو إيغلز وانتهى به الأمر باللعب مع نادي ملبورن فيكتوري في عام ٢٠١٥، لكن أثناء إقامته في ملبورن، لاحظ دينغ أنه كان يُعامل بشكل مختلف بسبب مظهره.

وحكى: كان هناك أوقات ألعب فيها لفريق ملبورن فيكتوري في عطلة نهاية الأسبوع، ثم كنت أسيرا عبر المتاجر وأجد حراس الأمن ينظرون إلى بغرابة أو يتبعونني، معتقدين أنني سأسرق شيئا ما.

تمثيل أستراليا

لقد حاول المدافع الأسترالي الحفاظ على ارتباطه بتراثه الإفريقي من خلال تعلم اللغة السواحلية وزيارة عائلته في جنوب السودان - لكنه لم يرَ نفسه إلا كمواطن أسترالي.

يتذكر دينغ لحظة دخوله الملعب عام ٢٠١٨ مرتديا قميص المنتخب الأسترالي، ويصفها بأنها تجربة لا تنسى، وما زادها روعة هو أنه كان يلعب إلى جانب صديقه وزميله الأسترالي من جنوب السودان أوير مابيل.

تواجد مع منتخب أستراليا في كأس العالم ٢٠٢٢

في عام ٢٠٢١، شارك دينغ مع منتخب أستراليا في الأولمبياد، وقاده أداؤه الرائع إلى التواجد في كأس العالم ٢٠٢٢.

خاض المدافع تجربة في فريق آيدهوفن الهولندي تحت ٢١ عاما، قبل أن يتجه إلى الدوري الياباني ليلعب مع أوراوا ريدز العريق والبيريكس نيغاتا، وفي الانتقالات الشتوية الماضية انضم إلى يوكوهاما إف مارينوس. ويتابع دينغ ثنائي النصر السعودي كريستيانو رونالدو وساديو ماني عبر حساباته على مواقع التواصل الاجتماعي، لكن يتعين عليه مراقبتهما، يوم السبت، في ربع نهائي دوري أبطال آسيا للنخبة للحد من خطورتهما.

توماس دينغ

VOICE of sudanese community

السبت ٢٦ أبريل ٢٠٢٥م - ٢٨ شوال ١٤٤٦ هـ
SATURDAY 26 APRIL 2025 - ISSUE No. 31

إضاءات

تطبيق مفهوم التنمية الإدارية في السودان

أ. د. فكري كباشي الأمين العربي *

● تعتبر التنمية الإدارية من الأمور المهمة، وتحتاج إلى جهاز إداري فعال، يساعد في إعداد الخطط، ثم وضعها موضع التنفيذ، والقيام بأعمال متابعة الخطط وتعديلها إن استدعت ذلك الظروف. والمقصود بمصطلح التنمية الإدارية ليدل على الإصلاح، والتحديث والتطوير الإداري.

ويرى عدد من الباحثين أن مفهوم التنمية الإدارية يعني التطوير الشامل للجهاز الإداري للدولة، ولرفع مستوى قدراته الإدارية، لتمكينه من القيام بوظائف الدولة بشكل عام، ووظائف التنمية الاقتصادية والاجتماعية بشكل خاص، وذلك بدرجة عالية من الكفاءة والفعالية.

وتتحقق التنمية الإدارية عن طريق تطوير القوانين والأنظمة واللوائح، وتطوير المديرين والموظفين، والتطوير التنظيمي للأجهزة الحكومية، وتطوير نظم العمل وإجراءاته، ذلك ضمن نظرية إدارية وعقيدة يؤمن بها ويطبق مبادئها أفراد المجتمع.

كما (أن التنمية الإدارية هي الجهود التي يجب بذلها باستمرار لتطوير الجهاز الإداري في الدولة، سعياً وراء رفع مستوى القدرة الإدارية عن طريق وضع الهياكل التنظيمية الملائمة لحاجات التنمية، وتبسيط نظام العمل وإجراءاته، ومحاولة تنمية سلوك إيجابي لدى الموظفين تجاه أجهزتهم، والمتعاونين معها، وتحسين بيئة العمل التي تؤثر في الجهاز الإداري وتتأثر به، وذلك لتحقيق أهداف خطط التنمية الاقتصادية بكفاية عالية وبأقل تكاليف).

ويعدّ تطوير العنصر البشري وتنميته من أهمّ عناصر التنمية الإدارية خاصة بالنسبة للسودان، لأن المديرين والموظفين هم الذين يتولون مهمة القيام بتنفيذ وظائف الدولة. ويعتمد النجاح في تحقيق التنمية الإدارية بقدر كبير على ما يتحقق من نجاح في تطوير المديرين والموظفين وتنميتهم. وتشمل وسائل تطوير المديرين والموظفين وتنميتهم، والتي تبدأ بالاختيار السليم للمديرين والموظفين، إذ يجب أن يتم الاختيار على أساس الجدارة، وأن يعتمد على وصف واجبات الوظيفة، والمؤهلات والخبرات المطلوبة لشاغلها، وكذلك التدريب والتطوير المستمرين، والذي قد يترتب عليه توفير فرص الابتعاث للمديرين وللموظفين، للحصول على مؤهلات علمية مناسبة لأعمالهم، وتوفير الحوافز المناسبة لهم، ثم تفويض الصلاحيات اللازمة للقيام بالأعمال للمديرين وللموظفين، إذ إن الشكوى المتكررة هي من قلة أو عدم وجود الصلاحيات. وأخيراً لا بدّ من إعادة النظر في أساليب تقويم أداء المديرين والموظفين المعمول بها، والتي ينبغي أن تبنى على أسس عملية وموضوعية، ومنح المكافآت والحوافز المناسبة على ضوء ذلك التقويم الموضوعي.

* خبير اقتصادي.

قول الكاميرا:

□ بعدسة: فريعابي محمد أحمد

طفل يولد مرتين بعد عملية معقدة

○ شهد مستشفى جون رادكليف في مدينة أكسفورد البريطانية عملية جراحية نادرة ومعقدة، حيث خضعت معلمة بريطانية لإجراء طبي فريد من نوعه تم خلاله استخراج رحمها بالكامل من جسدها مؤقتاً لعلاجها من السرطان، بينما بقي جنينها حياً داخل الرحم — في حالة أشبه بمعجزة، وكأن الطفل كُتب له أن يولد مرتين.

كانت لوسي إسحاق، ٣٢ عاماً، في الأسبوع الثاني عشر من حملها عندما كشفت فحوصات الموجات فوق الصوتية الروتينية عن مؤشرات لسرطان المبيض، وفق ما جاء في تقرير لصحيفة مترو البريطانية.

وأنقذ التشخيص المبكر حياتها، لكنه وضعها أمام مفترق طرق صعب، إذ لم يكن بالإمكان انتظار الولادة لبدء العلاج، مثلما تكون العلاجات التقليدية ممكنة بسبب وجود الجنين.

أجرى الطبيب الجراح هومان سليماني مجد، عملية معقّدة تضمنت رفع الرحم بالكامل من بطن لوسي، مع الحفاظ على تواصله مع مجرى الدم والحبل السري والأنسجة الحيوية التي تبقي الطفل حياً.

وتم وضع الرحم في كيس معقم خارج الجسم لمدة ساعتين، ليتمكن الفريق الطبي من إزالة الأورام السرطانية التي كانت خلفه.

ورغم خطورة العملية، وافقت لوسي وزوجها آدم على الخضوع لها، بعد أن طمأنهما الجراح الذي لم يُجرِ هذه الجراحة إلا مرات قليلة من قبل. وكانت الحالة أكثر تعقيداً هذه المرة، لأن الأورام وصلت إلى الدرجة الثانية، وامتدت إلى الأنسجة المحيطة.

طوال مدة بقاء الرحم خارج الجسم، تولى فريق طبي متكامل مراقبة نبضات قلب الجنين «رافرتي»، وحرصوا على إبقائه في درجة حرارة مناسبة حتى لا يتعرض لأي خطر. وبعد الانتهاء من استئصال الخلايا السرطانية، أُعيد الرحم إلى موضعه داخل جسد الأم، ليستكمل الطفل نموه بأمان حتى موعد ولادته الطبيعي.

وفي يناير الماضي، وُلد الطفل رافرتي للمرة الثانية، بوزن ٢,٧٥ كجم، وسط فرحة عارمة من عائلته والفريق الطبي الذي خاض مغامرة إنقاذ معقدة.

وبعد ولادة رافرتي، قررت العائلة زيارة المستشفى من جديد ليلتقي الطفل بطبيبه «المنقذ». وقال الجراح ذو الأصول الإيرانية، عن هذه اللحظة: شعرت وكأني التقيت به من قبل. كانت تجربة مؤثرة ونادرة للغاية بالنسبة لي.

بصراحة

السعودية منصّة عالمية للحوار والسلام

نجيب عصام يماني *

● في مرحلة تاريخية حرجة، تتجه فيها الأنظار إلى مراكز القوى الناشئة والقادرة على إحداث التوازن في عالم يموج بالصراعات والتحديات، تبرز المملكة العربية السعودية كلاعب محوري جديد، يجمع بين ثقل الجغرافيا، وقوة الاقتصاد، ورؤية مستقبلية شجاعة، جعلت منها ليس فقط قوة إقليمية مؤثرة، بل منصة عالمية للحوار السياسي، والنهضة الرياضية، والتبادل الثقافي بين شعوب الأرض.

الرياض... عاصمة الحوار في عالم مضطرب

في ظل الانقسام العالمي الحاد بين الغرب والشرق، واحتدام الحرب الروسية الأوكرانية، وتزايد التوترات بين الصين وأمريكا، وانفجار الصراعات في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، تقف السعودية اليوم كواحة للاستقرار، وحاضنة للحوار، ووسيط مقبول لدى جميع الأطراف المتنازعة. لقد أصبحت الرياض وجهة محورية للمفاوضات، تستضيف الوفود من واشنطن وموسكو، وتفتح أبوابها لكل من يبحث عن تسوية سلمية أو مخرج سياسي.

الدور السعودي في الوساطة، سواء في الملف السوداني، أو التقريب بين إيران ودول الخليج، أو حتى في الحوار مع الصين وروسيا، يعكس نضجاً سياسياً غير مسبوق، يوازيه حضور دبلوماسي متوازن يقوم على احترام السيادة، وعدم التدخل، وبناء جسور الثقة لا الجدران.

من الرياضة إلى الدبلوماسية الناعمة: رؤية تتجسّد

لا يمكن قراءة التحول السعودي بدون الإشارة إلى النقلة النوعية في توظيف القوة الناعمة. فالمملكة لم تعد بلداً مغلقاً، بل باتت مسرحاً عالمياً لبطولات «الفورمولا ١»، ومباريات «السوبر الأوروبي»، والتعاقدات مع أشهر نجوم كرة القدم العالمية. وهذه ليست مجرد فعاليات ترفيهية، بل أدوات استراتيجية لربط الشعوب، وتهدئة النفوس، وإعادة تعريف السعودية كدولة حيوية وشابة ومتفائلة بالمستقبل.

الرياضة، كما تثبت التجربة السعودية، ليست هدفاً في حد ذاتها، بل وسيلة لصناعة السلام، وتخفيف الاحتقان، وكسر الحواجز النفسية بين الثقافات المتباعدة.

النهضة الثقافية من الصحارى إلى المنصات العالمية

أما على المستوى الثقافي، فإن المشهد السعودي يشهد ثورة غير مسبوقة في الإنتاج الفني، والمسرحي، والموسيقي، ومعارض الكتاب، وصناعة السينما. إنها صحوة ثقافية تعكس غنى المجتمع وتنوعه، وتعيد سرد الحكاية السعودية من منظور جديد، بعيداً عن الصور النمطية التي سادت لعقود.

برنامج «رؤية ٢٠٣٠» الذي يقوده ولي العهد الأمير محمد بن سلمان، لم يكن مجرد خطة اقتصادية، بل مشروع حضاري شامل، أعاد تموضع السعودية كقوة ناعمة فاعلة في الساحة الدولية، قادرة على تصدير القيم الإنسانية، ومبادئ التعايش، واحترام التعدد الثقافي والديني.

دور عالمي ينتظره العالم

في ظل عجز القوى التقليدية عن إطفاء الحرائق السياسية، وفشل الأمم المتحدة أحياناً في فرض حلول دائمة للنزاعات، تبرز الحاجة إلى دول جديدة تتحلى بالشجاعة والمرونة، للقيام بدور الوسيط النزيه، والمبادر الحكيم. والسعودية اليوم، بحكم ثقلها الإسلامي، وعلاقاتها المتوازنة شرقاً وغرباً، هي الأنسب لهذا الدور.

هي ليست طرفاً في صراعات كبرى، لكنها طرف موثوق به من جميع المتخاصمين. وهي ليست قوة استعمارية، بل دولة ذات رؤية تنموية تقودها إلى المستقبل لا إلى الماضي. ولهذا فإن دعوتها لاحتضان طاولة مفاوضات بين روسيا وأوكرانيا، أو بين أطراف الصراع في غزة والسودان واليمن، ستكون موضع ترحيب عالمي.

الرياض مدينة السلام... العالم الجديد

العالم يبحث عن مدينة ترمز للأمل والتوازن والحياد الذكي، بعد أن تعبت العواصم التقليدية من عناء الصراع والاستقطاب. والرياض، بكل تحولاتها العميقة، وثقة قيادتها، وانفتاح مجتمعها، تصلح لأن تكون عاصمة للسلام، ومنصة للحوار الحضاري والسياسي، مركزاً دولياً لصياغة ملامح العالم الجديد.

فهل آن الأوان لأن يُدرك العالم أن السعودية الجديدة، برؤيتها، وقدراتها، وتاريخها، هي الشريك الأمثل في صناعة المستقبل؟

* كاتب صحفي سعودي.

قتيل وجرحى بعملية طعن داخل مدرسة ثانوية

○ قتل شخص وأصيب ٣ آخرين، الخميس، في عملية طعن داخل مدرسة ثانوية، مدينة نانت غربي فرنسا.

وقالت الشرطة الفرنسية إن طالباً في المرحلة الثانوية قتل وأصيب ٣ في واقعة طعن بمدرسة في مدينة نانت.

وأكدت أنه لا توجد مؤشرات على أن الحادث كان عملا إرهابيا، وأن التحقيقات جارية لتحديد دوافع الجريمة.

وأوضحت أن المعلمين في المدرسة تمكنوا من السيطرة على الطالب المنفذ للهجوم الذي يبلغ من العمر ١٥ عاما قبل وصول الشرطة.

تصوير: زاهر العشابي

معلم سوداني في ظل النخيل.. يضيء العقول رغم ظلام الظروف

○ في قرية «مقاشي» حيث تلهب الشمس وجوه الصغار قبل الأكفّ، يُخرِس ذلك المعلّم صخب الحر بصوته الهادف، ويحوّل ظل النخيل إلى سقف للكلام الذي يُضيء. رغم انقطاع التيار عن العالم من حوله، إلا أن قلبه الموصول بالعلم لا ينطفئ، يُلقن التلاميذ دروساً في الصبر قبل الحروف، ويُذكرنا أن المعرفة لا تحتاج إلى مروحة أو جدران، بل إلى إرادة تشبه نخلة، تُرسخ الجذور في القدم، وتتحدى العطش بثمار لا تنضب. هنا، تحت سماء الشمالية السودانية، تُكتب أجمل الحكايات بأقلام التحدي، وتُزرع أحلام لا تقهرها رمال الصعوبات.

تصل سرعتها لـ ٥٠ غيغابايت/ الثانية
الصين تطلق أول شبكة 10G في العالم

○ ارتقت الصين بالإنترنت إلى مستوى جديد كلياً مع إطلاق أول شبكة إنترنت عريض النطاق بسرعة 10 غيغابايت في العالم في مدينة شيونغان المتطورة.

بفضل شركتي هواوي وتشاينا يونيكوم، تَعد هذه التقنية، التي تبلغ سرعتها 50 غيغابايت في الثانية، بسرعات فائقة تُحدث نقلة نوعية في عالم الاتصالات، بدءاً من تنزيل الأفلام الفوري ووصولاً إلى الألعاب السحابية دون أي انقطاع، بحسب تقرير نشره موقع «gizmochina».

شيونغان، مدينة مستقبلية تقع على بُعد 70 ميلاً جنوب غرب بكين، تُعدّ ميدان اختبار التكنولوجيا المتطورة في الصين، والتي حُلم بها عام 2017 في ظل رؤية الرئيس شي جين بينغ.

الآن، تُعدّ موطناً لشبكة إنترنت عريض النطاق بسرعة 10 غيغابايت في الثانية، تصل سرعات التنزيل فيها إلى 10 غيغابايت في الثانية، وفقاً لشبكة «MSN».

هذا يعني أنه يُمكنك تنزيل ملف فيلم ضخم في ثوانٍ أو بث فيديو بدقة 8K دون أي عوائق.

لا يقتصر الأمر على تشغيل سلس على «نتفليكس» فحسب، بل تفتح شبكة الجيل العاشر آفاقاً واسعة من الإمكانات، مثل أنظمة السيارات ذاتية القيادة، ومساحات الواقع الافتراضي والواقع المعزز الغامرة، وتقنيات المدن الذكية التي تربط كل شيء معًا.

كما أنها تُعزز الذكاء الاصطناعي، حيث تُمكّن نماذج اللغات الكبيرة من تدفق البيانات بسلاسة.

يضمن تصميم «دورة الحياة لمدة 15 دقيقة» في شيونغان للسكان الوصول إلى المتاجر وأماكن الترفيه على بُعد خطوات قليلة، مما يجعلها مثالية لهذا الطرح السريع.

لكن ليس كل شيء ورديا، أفادت تقرير سابق لـ «بلومبرغ» أن بناء شيونغان، الذي بلغت تكلفته 100 مليار دولار، لم يجذب الحشود، حيث وصفه البعض بأنه مدينة أشباح تفتقر إلى زخم استثمارات القطاع الخاص.

ومع ذلك، تبذل الصين جهوداً حثيثة لريادة سباق التكنولوجيا، وتُظهر شبكة الجيل العاشر هذه – المقرر توسعتها على مستوى البلاد – أنها لا تُماطل.

وبينما لا يزال العالم يلحق بركب تقنية الجيل الخامس، تُلقي شيونغان نظرة خاطفة على مستقبل فائق الترابط.

السلطات الأميركية تقاضي «أوبر» بتهمة غشّ المستخدمين

○ رفعت السلطات الأميركية، دعوى قضائية ضد شركة «أوبر»، تتّهم فيها منصّة نقل الركاب بغشّ مستخدميها، بواسطة عروض ترويجية لـ«أوبر وان»، وتسجيلهم حتى في هذه الخدمة دون موافقتهم، وفق ما نشرت «وكالة الصحافة الفرنسية».

وقالت «لجنة التجارة الفيدرالية»، الوكالة المعنية بحماية المستهلك، في بيان، إنّ «أوبر» ومقرّها في سان فرنسيسكو، انتهكت قانوناً يرعى الثقة بين مستخدمي الخدمات الرقمية.

ونقل البيان عن أندرو فيرغوسون، رئيس لجنة التجارة الفيدرالية، قوله إنّ «الأميركيين سئموا من إقحامهم في اشتراكات غير مرغوب فيها. ويبدو من المستحيل إلغاؤها».

وأضاف: «نحن لا نتّهم (أوبر) بغشّ العملاء بشأن اشتراكاتهم فحسب، بل أيضاً بجعل عملية الإلغاء صعبة بشكل غير معقول».

وبموجب العروض الترويجية التي تقدّمها الشركة، فإنّ المشتركين بخدمة «أوبر وان» يستفيدون من خصومات على الرحلات، أو على طلبات توصيل الوجبات الجاهزة التي توفّرها خدمة «أوبر إيتس».

وتبلغ تكلفة الاشتراك في هذه الخدمة نحو 10 دولارات شهرياً. وأغرت «أوبر» مستخدميها بالاشتراك في خدمة «أوبر وان» بأن وعدتهم بتوفير 25 دولاراً شهرياً، لكنّ هذا الوعد لم ينطبق على رسوم الاشتراك، وفقاً للدعوى.

وبحسب لجنة التجارة الفيدرالية، فإنّ وعد «أوبر» بتوفير مبالغ شهرية على المستخدمين كان مضللاً، وإنّ الشركة جعلت من الصعب على مستخدميها إلغاء اشتراكاتهم في «أوبر وان»، على الرغم من أنّها صرحت بأنّ هذه الاشتراكات «يمكن إلغاؤها بسهولة في أي وقت».

وتنفي شركة «أوبر» تسجيل أشخاص من دون موافقتهم، وتؤكّد أنّ معظم عمليات إلغاء الاشتراك تستغرق أقل من 20 ثانية في التطبيق.

وقال متحدث باسم «أوبر» لـ«وكالة الصحافة الفرنسية»: «نشعر بخيبة أمل لأنّ لجنة التجارة الفيدرالية اختارت المضي قدماً بهذا الإجراء».

وأضاف: «لكنّنا على ثقة بأنّ المحاكم ستوافق على ما نعرفه بالفعل، بأنّ إجراءات التسجيل والإلغاء الخاصة بـ(أوبر وان) واضحة وبسيطة، ومتوافقة مع نصّ القانون وروحه».

تخرق البروتوكول لتلقي نظرة على جثمان البابا

○ احتار كثيرون، في امرأة وجدوها تخرق بروتوكول الفاتيكان، وتشق طريقها وسط كرادلة وأساقفة ورجال دين محليين وأجانب، اكتظ بهم صحن كنيسة القديس بطرس، ثم تقف وتلقي نظرة دامت أكثر مما ينبغي على النعش المسجى فيه جثمان البابا.

من وشوشات عدد قليل من الحاضرين يعرفونها، وصل خبرها إلى البقية، وبينهم إعلاميون، ذكروا بأخبارهم المرفقة بفيديوهات صوّروها، أنها راهبة فرنسية أرجنتينية الأصل، صديقة قديمة للبابا، اسمها Geneviève Jeanningros وأصغر سناً منه بسبع سنوات، وأنها الوحيدة التي سمحت لها دائرة البروتوكول في الحاضرة الفاتيكانية، بالوصول إلى الحبال المحددة مساحة الاقتراب من النعش، وظهرت في فيديو وفيه يظهر أحدهم من دائرة البروتوكول، يرافقها إلى أقرب مكان من النعش.

كانت تحمل حقيبة خضراء على ظهرها، حين وصلت وتأملت النعش لدقائق، مررت خلالها قطعة من الورق على وجهها، لمسح دموع انهمرت من عينيها، من دون أن تدري كما يبدو أنها خرقت مادة من البروتوكول الفاتيكاني الصارم، تجعل الوداعات الأولى للبابا المتوفى مقتصرة على الكرادلة والأساقفة والشخصيات الدينية، محلية وأجنبية. «إلا أن إصرارها على الوقوف بجانب نعش فرانسيسكو، كان مدفوعاً برغبة قوية في تكريم صديق قديم» بحسب تعبير صحيفة Clarin الواسعة الانتشار بالأرجنتين.

الوارد أيضاً عن «جنيفييف جياننغروس» في وسائل إعلام لاتينية اللغة، أن «علاقة البابا بها قديمة، تعود إلى وقت كان فيه فرانسيس مجرد Jorge Bergoglio الشاغل منصب رئيس أساقفة بوينس آيرس»، على حد ما نقلت صحيفة El Pais الإسبانية عن مصدر لم تسمه.

وفي ذلك الوقت، اشتهرت هي بأنها ابنة أخت Leonié Duquet الراهبة التي اختفت في ١٩٧٧ أثناء الحكم الدكتاتوري بالأرجنتين، والتي تم العثور عليها جثة في مقبرة جماعية إلى جانب رفات Esther Ballestrino رئيسة فرنسيسكو عندما كان عاملاً شاباً في مختبر للكيمياء.